تفسير الثعالبي

الموسوم

بجواهر الحسان في تفسير القرآن

[illegible] هجرية

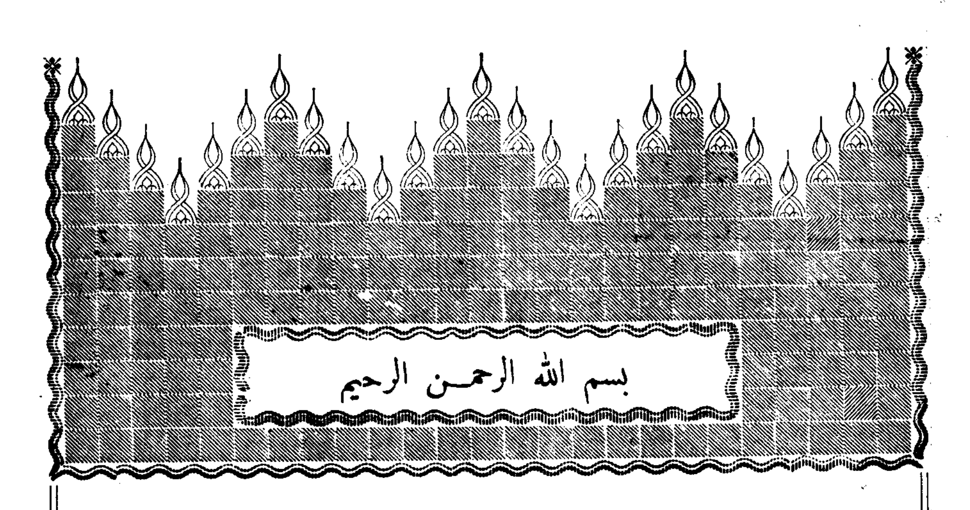
الجزء الثالث

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠



تفسير سورة مريم عليها السلام

هذه السورة مكية باجماع الا السجدة منها فقيل مكية وقيل مدنية * قوله عز وجل كهيعص قد تقدم الكلام فى فواتح السور * وقوله ذكر رحمت ربك مرتفع بقوله كهيعص فى قول فرقة وقيل انه ارتفع على انه خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا ذكر وحكى ابو عمرو الداني عن ابن يعمر انه قرأ ذكّر رحمة ربك بفتح الذال وكسر الكاف المشددة ونصب الرحمة * وقوله نادى معناه بالدعاء والرغبة قاله ابن العربي فى احكامه * وقوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا يناسب قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفى وذلك لانه ابعد من الرياء فاما دعاء زكرياء عليه السلام فانما كان خفيا لوجهين احدهما انه كان ليلا والثانى انه ذكر فى دعائه احوالا تفتقر الى الاخفاء كقوله وانى خفت الموالي من وراءى وهذا مما يكتم انتهى ووهن العظم

معناه ضعف واشتعل مستعار للشيب من اشتعال النار * وقوله ولم اكن
بدعائك رب شقيا شكر لله عز وجل على سالف اياديه عنده معناه قد
احسنت الي فيما سلف وسعدت بدعاءى اياك فالانعام يقتضى ان يشفع اوله
اخره (ت) وكذا فسر الداودي ولفظه ولم اكن بدعائك رب شقيا يقول
كنت تعرفنى الاجابة فيما مضى وقاله قتادة انتهى * وقوله وانى خفت
الموالي الآية قيل معناه خاف ان يرث الموالى ماله والموالى بنو العم والقرابة *
وقوله من وراءى اي من بعدى وقالت فرقة انما كان مواليه مهملين للدين
فخاف بموته ان يضيع الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده حكى هذا القول
الزجاج وفيه انه لا يجوز ان يسأل زكرياء من يرث ماله اذ الانبياء لاتورث
قال (ع) وهذا يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء لانورث ما
تركنا فهو صدقة والاظهر الاليق بزكرياء عليه السلام ان يريد وراثة العلم
والدين فتكون الوراثة مستعارة وقد بلغه الله امله قال ابن هشام ومن
وراءى متعلق بالموالى او بمحذوف هو حال من الموالى او مضاف اليهم اي
كائنين من وراءى او فعل الموالى من وراءى ولا يصح تعلقه بخفت لفساد
المعنى انتهى من المغنى وخفت الموالي هي قراءة الجمهور وعليها هو هذا التفسير
وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وجماعة خفت بفتح الخاء وفتح
الفاء وشدها وكسر التاء والمعنى على هذا قد انقطع اولياءى وماتوا وعلى
هذه القراءة فانما طلب وليا يقوم بالدين قال ابن العربي فى احكامه ولم يخف
زكرياء وارث المال وانما اراد ارث النبوءة وعليها خاف ان تخرج عن عقبه
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء لانورث ماتركناه
صدقة انتهى وقرأ علي بن ابى طالب وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم يرثنى
وارث من آل يعقوب (ت) وقوله فهب لى قال ابن مالك فى شرح الكافية

اللام هنا هي لام التعدية وقاله ولده فى شرح الخلاصة قال ابن هشام والاولى عندى ان يمثل للتعدية بنحو ما اكرم زيدا لعمرو وما احبه لبكر انتهى * وقوله من آل يعقوب يريد يرث منهم الحكمة والعلم والنبوءة ورضيا معناه مرضيا والعاقر من النساء التى لا تلد من غير كبرة وكذلك العاقر من الرجال * وقوله لم نجعل له من قبل سميا معناه فى اللغة لم نجعل له مشاركا فى هذا الاسم اي لم يسم به قبل يحي وهذا قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد وغيره سميا معناه مثيلا ونظيرا وفى هذا بعد لانه لا يفضل على ابراهيم وموسى عليهما السلام الا ان يفضل فى خاص كالسودد والحصر والعتي والعُسِيّ المبالغة فى الكبر او يبس العود اوشيب الرأس او عقيدة ما وزكرياء هو من ذرية هارون عليهما السلام ومعنى قوله سويا فيما قال الجمهور صحيحا من غير علة ولاخرس وقال ابن عباس ذلك عائد على الليالى اراد كاملات مستويات * وقوله فاوحى اليهم قال قتادة وغيره كان ذلك باشارة وقال مجاهد بل بكتابة فى التراب قال (ع) وكلا الوجهين وحي * وقوله ان سبحوا قال قتادة معناه صلوا السبحة والسبحة الصلاة وقالت فرقة بل امرهم بذكر الله وقول سبحان الله * وقوله عز وجل يايحي خذ الكتاب بقوة المعنى قال الله له يايحي خذ الكتاب وهو التوراة وقوله بقوة اي العلم به والحفظ له والعمل به والالتزام للوازمه * وقوله صبيا يريد شابا لم يبلغ حد الكهولة ففى لفظ صبي على هذا تجوز واستصحاب حال وروى معمر ان الصبيان دعوا يحي الى اللعب وهو طفل فقال انى لم اخلق للعب فتلك الحكمة التى اتاه الله عز وجل وهو صبي وقال ابن عباس من قرأ القرءان قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكمة صبيا والحنان الرحمة والشفقة والمحبة قاله جمهور المفسرين وهو تفسير اللغة ومن الشواهد فى الحنان قول النابغة

ابامنذر افنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض

وقال عطاء بن ابى رباح حنانا من لدنا بمعنى تعظيما من لدنا قال (ع) وهو ايضا ما عظم من الامر لاجل الله عز وجل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل فى خبر بلال والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا قال (ص) قال ابوعبيدة واكثر ما يستعمل مثنى انتهى والزكاة التنمية والتطهير فى وجوه الخير قال مجاهد كان طعام يحيي العشب وكان للدمع فى خده مجار ثابتة ولم يكن جبارا عصيا روي ان يحيي عليه السلام لم يواقع معصية قط صغيرة ولاكبيرة والبَر كثير البر والجبار المتكبر كانه يجبر الناس على اخلاقه * وقوله وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه وامان عليه قال (ع) والاظهر عندى انها التحية المتعارفة فهي اشرف وانبه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان عنه وهو اقل درجاته وانما الشرف فى ان سلم الله عليه وحياه فى المواطن التى الانسان فيها فى غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة * واذكر فى الكتاب مريم الكتاب هو القرءان والانتباذ التنحى قال السدي انتبذت لتطهر من حيض وقال غيره لتعبد الله عز وجل قال (ع) وهذا احسن * وقوله شرقيا يريد فى جهة الشرق من مساكن اهلها وكانوا يعظمون جهة المشرق قاله الطبري وقال بعض المفسرين اتخذت المكان بشرقي المحراب * وقوله سبحانه فاتخذت من دونهم حجابا اي لتستتر به عن الناس لعبادتها والروح جبريل عليه السلام * وقوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا المعنى قالت مريم للملك الذى تمثل لها بشرا لما رأته قد خرق الحجاب الذى اتخذته فاساءت به الظن اعوذ بالرحمن منك ان كنت ذا تقى فقال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا وقرأ ابوعمرو ونافع بخلاف عنه ليهب * قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا والبغي الزانية وروي ان جبريل عليه السلام حين

قاولها هذه المقاولة نفخ فى جيب درعها فسرت النفخة باذن الله تعالى حتى حملت منها قاله وهب بن منبه وغيره وقال ابي بن كعب دخل الروح المنفوخ من فمها فذلك قوله تعالى فحملته اي فحملت الغلام ويذكر انها كانت بنت ثلاث عشرة سنة فلما احست بذلك وخافت تعنيف الناس وان يظن بها الشر انتبذت اي تنحت مكانا بعيدا حياء وفرارا على وجهها واجاءها معناه اضطرها وهو تعدية جاء بالهمزة والمخاض الطلق وشدة الولادة واوجاعها وروي انها بلغت الى موضع كان فيه جذع نخلة بال يابس فى اصله مذود بقرة على جرية ماء فاشتد بها الامر هنا لك واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها لما رأته من صعوبة الحال من غير ما وجه ياليتني مت قبل هذا فتمنت الموت من جهة الدين ان يظن بها الشر وخوف ان تفتتن بتعيير قومها وهذا مباح وعلى هذا الحد تمناه عمر رضى الله عنه وكنت نسيا اي شيأ متروكا محتقرا والنسي فى كلام العرب الشيء الحقير الذى شانه ان ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه وهذه القصة تقتضى انها حملت واستمرت حاملا على عرف البشر واستحيت من ذلك ومرت بسببه وهي حامل وهو قول جمهور المتأولين وروي عن ابن عباس انه قال ليس الا ان حملت فوضعت فى ساعة واحدة والله اعلم وظاهر قوله فاجاءها المخاض انها كانت على عرف النساء * وقوله سبحانه فناداها من تحتها قرأ ابن كثير وابوعمرو وابن عامر وعاصم فناداها من تحتها على ان من فاعل بنادى والمراد بمن عيسى قاله مجاهد والحسن وابن جبير وابي بن كعب وقال ابن عباس المراد بمن جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها والقول الاول اظهر وابين وبه يتبين عذر مريم ولا تبقى بها استرابة وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم من تحتها بكسر الميم و اختلفوا ايضا

فقالت فرقة المراد عيسى وقالت فرقة المراد جبريل المحاور لها قبل قالوا وكان فى بقعة اخفض من البقعة التى كانت هي عليها والاول اظهر وقرأ ابن عباس فناداها ملك من تحتها والسري من الرجال العظيم السيد والسري ايضا الجدول من الماء وبحسب هذا اختلف الناس فى هذه الآية فقال قتادة وابن زيد اراد جعل تحتك عظيما من الرجال له شأن وقال الجمهور اشار لها الى الجدول ثم امرها بهز الجذع اليابس لترى ءاية اخرى وقالت فرقة بل كانت النخلة مطعمة رطبا وقال السدي كان الجذع مقطوعا واجري تحتها النهر لحينه قال (ع) والظاهر من الآية ان عيسى هو المكلم لها وان الجذع كان يابسا فهي ءايات تسليها وتسكن اليها قال (ص) قوله وهزى اليك تقرر فى علم النحو ان الفعل لا يتعدى الى ضمير متصل وقد رفع المتصل وهما لمدلول واحد واذا تقرر هذا فاليك لا يتعلق بهزى ولكن يمكن ان يكون اليك حالا من جذع النخلة فيتعلق بمحذوف اى هزى بجذع النخلة منتهيا اليك انتهى والباء فى قوله بجذع زائدة موكدة وجنيا معناه قد طابت وصلحت للاجتناء وهو من جنيت الثمرة وقال عمرو بن ميمون ليس شيء للنفساء خيرا من التمر والرطب وقرة العين ماخوذة من القر وذلك انه يحكى ان دمع الفرح بارد المس ودمع الحزن سخن المس وقيل غير هذا قال (ص) وقرى عينا اي طيبي نفسا ابو البقاء عينا تمييز اه * وقوله سبحانه فاما ترين من البشر احدا الآية المعنى ان الله عز وجل امرها على لسان جبريل عليه السلام او ابنها على الخلاف المتقدم بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها فى ذلك ليرتفع عنها خجلها وتبين الآية فيقوم عذرها وظاهر الآية انها ابيح لها ان تقول مضمن هذه الالفاظ التي فى الآية وهو قول الجمهور وقالت فرقة معنى قولى

بالاشارة لا بالكلام قال (ص) وقوله فقولى جواب الشرط وبينهما جملة محذوفة يدل عليها المعنى اي فاما ترين من البشر احدا وسألك او حاورك الكلام فقولى انتهى وصوما معناه عن الكلام اذ اصل الصوم الامساك وقرأت فرقة انى نذرت للرحمن صمتا ولا يجوز فى شرعنا نذر الصمت فروي ان مريم عليها السلام لما اطمأنت بما رأت من الآيات وعلمت ان الله تعالى سيبين عذرها اتت به تحمله مدلة من المكان القصي الذى كانت منتبذة به والفري العظيم الشنيع قاله مجاهد والسدي واكثر استعماله فى السوء واختلف فى معنى قوله تعالى يااخت هارون فقيل كان لها اخ اسمه هارون لان هذا الاسم كان كثيرا فى بنى اسرايل وروى المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله الى اهل نجران فى امر من الامور فقالت له النصارى ان صاحبك يزعم ان مريم هي اخت هارون وبينهما فى المدة ست مائة سنة قال المغيرة فلم ادر ما اقول فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال الم يعلموا انهم كانوا يسمون باسماء الانبياء والصالحين قال (ع) فالمعنى انه اسم وافق اسما وقيل نسبوها الى هارون اخى موسى لانها من نسله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان اخا صداء اذن ومن اذن فهو يقيم وقال قتادة نسبوها الى هارون اسم رجل صالح فى ذلك الزمان وقالت فرقة بل كان فى ذلك الزمان رجل فاجر اسمه هارون نسبوها اليه على جهة التعيير (ت) والله اعلم بصحة هذا وما رواه المغيرة ان ثبت هو المعول عليه وقولهم ما كان ابوك امرأ سوء المعنى ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة فكيف جئت انت بها والبغي التى تبغى الزنا اي تطلبه * وقوله تعالى فاشارت اليه يقوى قول من قال ان امرها بقُولى انما اريد به الاشارة * وقوله ءاتاني الكتاب يعنى الانجيل ويحتمل ان يريد التوراة والانجيل وءاتانى معناه قضى بذلك سبحانه وانفذه

فى سابق حكمه وهذا نحو قوله تعالى اتى امر الله * واوصانى بالصلوة والزكوة قيل هما المشروعتان فى البدن والمال وقيل الصلاة الدعاء والزكاة التطهر من كل عيب ونقص ومعصية والجبار المتعظم وهي خلق مقرونة بالشقاء لانها مناقضة لجميع الناس فلا يلقى صاحبها من كل احد الا مكروها وكان عيسى عليه السلام فى غاية التواضع يا كل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على الارض وياوى حيث جنه الليل لا مسكن له قال قتادة وكان يقول سلونى فانى لين القلب صغير فى نفسى وقالت فرقة ان عيسى عليه السلام كان اوتي الكتاب وهو فى سن الطفولية وكان يصوم ويصلى قال (ع) وهذا فى غاية الضعف (ت) وضعفه من جهة سنده والا فالعقل لا يحيله لاسيما وامره كله خرق عادة وفى قصص هذه الآية عن ابن زيد وغيره انهم لما سمعو كلام عيسى اذعنوا وقالوا ان هذا لامر عظيم * وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون المعنى قل يا محمد لمعاصريك من اليهود والنصارى ذلك الذى هذه قصته عيسى ابن مريم وقرأ نافع وعامة الناس قول الحق برفع القول على معنى هذا هو قول الحق وقرأ عاصم وابن عامر قول الحق بنصب اللام على المصدر * وقوله ان الله ربى وربكم الآية هذا من تمام القول الذى امر به محمد صلى الله عليه وسلم ان يقوله ويحتمل ان يكون من قول عيسى ويكون قوله ان بفتح الهمزة عطفا على قوله الكتاب وقد قال وهب بن منبه عهد عيسى اليهم ان الله ربى وربكم (ت) وما ذكره وهب مصرح به فى القرءان ففى ءاخر المائدة ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم الآية وامتراؤهم فى عيسى هو اختلافهم فيقول بعضهم لزنية وهم اليهود ويقول بعضهم هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فهذا هو امتراؤهم وسياتى شرح ذلك باثر هذا * وقوله فاختلف الاحزاب من بينهم هذا ابتداء

خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم بان بنى اسرايل اختلفوا احزابا اي فرقا وقوله من بينهم بمعنى من تلقائهم ومن انفسهم ثار شرهم وان الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين وروي فى هذا عن قتادة ان بنى اسرايل جمعوا من انفسهم اربعة احبار غاية فى المكانة والجلالة عندهم وطلبوهم ان يبينوا لهم امر عيسى فقال احدهم عيسى هو الله تعالى الله عن قولهم وقال له الثلاثة كذبت واتبعه اليعقوبية ثم قيل للثلاثة فقال احدهم عيسى ابن الله تعالى الله عن قولهم فقال له الاثنان كذبت واتبعه النسطورية ثم قيل للاثنين فقال احدهما عيسى احد ثلاثة الله اله ومريم اله وعيسى اله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فقال له الرابع كذبت واتبعته الاسرايلية فقيل للرابع فقال عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم فاتبع كلٌ واحد فريق من بنى اسرايل ثم اقتتلوا فغلب المومنون وقتلوا وظهرت اليعقوبية على الجميع والويل الحزن والثبور وقيل الويل واد فى جهنم ومشهد يوم عظيم هو يوم القيامة * وقوله سبحانه اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم يوم يرجعون الينا ويرون ما نصنع بهم لكن الظالمون اليوم اي فى الدنيا فى ضلال مبين اي بين وانذرهم يوم الحسرة وهو يوم ذبح الموت قاله الجمهور وفى هذا حديث صحيح خرجه البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموت يجاء به فى صورة كبش املح فيذبح على الصراط بين الجنة والنار وينادى يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت ثم قرأ وانذرهم يوم الحسرة الآية قال (ع) وعند ذلك تصيب اهل النار حسرة لا حسرة مثلها وقال ابن زيد وغيره يوم الحسرة هو يرم القيامة قال (ع) ويحتمل ان يكون يوم الحسرة اسم جنس شامل لحسرات كثيرة بحسب مواطن الآخرة منها يوم موت الانسان واخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك وهم

فى غفلة يريد فى الدنيا * قوله سبحانه انا نحن نرث الارض الآية عبارة
عن بقائه جل وعلا بعد فناء مخلوقاته لا اله غيره * وقوله عز وجل واذكر
فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيأ الآية قوله واذكر بمعنى اتل
وشهر لان الله تعالى هو الذاكر والكتاب هو القرءان والصديق بناء مبالغة
فكان ابراهيم عليه السلام يوصف بالصدق فى افعاله واقواله * وقوله يا ابت
اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن الآية قال الطبري اخاف بمعنى اعلم
قال (ع) والظاهر عندى انه خوف على بابه وذلك ان ابراهيم عليه السلام
فى وقت هذه المقالة لم يكن ءايسا من ايمان ابيه (ت) ونحو هذا عبارة
المهدوي قال قيل اخاف معناه اعلم اي انى اعلم ان مت على ما انت عليه ويجوز
ان يكون اخاف على بابه ويكون المعنى انى اخاف ان تموت على كفرك فيمسك
العذاب انتهى * وقوله لارجمنك قال الضحاك وغيره معناه بالقول اي لاشتمنك
وقال الحسن معناه لارجمنك بالحجارة وقالت فرقة معناه لاقتلنك وهذان
القولان بمعنى واحد * وقوله واهجرنى على هذا التاويل انما يترتب بانه امر على
حياله كانه قال ان لم تنته قتلتك بالرجم ثم قال له واهجرنى اي مع انتهائك
ومليا معناه دهرا طويلا ماخوذ من الملوين وهما الليل والنهار هذا قول الجمهور *
وقوله قال سلام عليك اختلف فى معنى تسليمه على ابيه فقال بعضهم هي
تحية مفارق وجوزوا تحية الكافر وان يبدأ بها وقال الجمهور ذلك السلام
بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية وقال الطبري معناه أَمَنَة منى لك وهذا قول
الجمهور وهم لا يرون ابتداء الكافر بالسلام وقال النقاش حليم خاطب سفيها
كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * وقوله ساستغفر لك ربي
معناه سأدعو الله تعالى فى ان يهديك فيغفر لك بايمانك ولما تبين له انه عدو لله
تبرأ منه والحفى المهتبل المتلطف وهذا شكر من ابراهيم لنعم الله تعالى عليه ثم اخبر

ابراهيم عليه السلام بانـه يعتزلهم اي يصير عنهم بمعزل ويروى انهم كانوا بارض كُوثَى فرحل عليه السلام حتى نزل الشام وفى سفرته تلك لـقِي الجبار الذى اخدم هاجر الحديث الصحيح بطوله وتدعون معنـاه تعبـدون * وقوله عسى ترج فى ضمنـه خوف شديد * وقوله سبحانـه فلـما اعتزلهم الى ءاخر الآية اخبار من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انـه لما رحل ابراهيم عن بلد ابـيه وقومـه عوضه الله تعـالى مـن ذلك ابنـه اسحـاق وابن ابنـه يعقـوب على جميعهم السلام وجعل الولد له تسلية وشدا لعضده واسحاق اصغر من اسماعيـل ولـما حملت هاجر باسماعيل غارت سارة فحملت باسحاق هكذا فيما روي * وقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا يريد العلم والمنزلة والشرف فى الدنيا والنعيم فى الآخرة كل ذلك من رحمة الله عز وجل ولسان الصدق هو الثناء البـاقى عليهم ءاخر الابد قاله ابن عباس وابراهيم الخليـل صلى الله عليـه وسلم وذريتـه معظمة فى جميع الامم والملل قال (ص) وكلا جعلنا نبيـأ ابو البقاء هو منصوب بجعلنا انتهى * وقوله عز وجل واذكر فى الكتاب موسى اي على جهـة التشريف له وناديناه هو تـكليم الله له والايمن صفـة لجـانب وكان على يمـين موسى والا فالجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة ويحتمل ان يكون الايمن ماخوذا من اليمن وقربناه اي تقريب تشريف والنجي من المناجاة * وقـوله تعالى واذكر فى الكتاب اسماعيل هو ايضا من لسان الصدق المضمون بقاؤه على ابراهيم عليه السـلام واسماعيـل عليه السـلام هو ابو العرب اليوم وذلك ان اليَمَنية والمُضَرِية ترجع الى ولد اسماعيـل وهو الذبيح فى قول الجمهـور وهو الراجح من وجوه منها قوله تعالى ومن وراء اسحـاق يعقوب فـولد بشّر ابواه بان سيكون منه ولد كيف يومر بذبحه ومنهـا ان امر الذبح كان بمنى بـلا خلاف وما روي قط ان اسحاق دخل تلك البلاد واسماعيل بها نشـأ وكان

ابوه يزوره مرارا كثيرة ياتى من الشام ويرجع من يومه على البراق وهو مركب الانبياء ومنها قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وهو ابوه عبد الله والذبيح الثانى هو اسماعيل ومنها ترتيب ءايات سورة والصافات يكاد ينص على ان الذبيح غير اسحاق ووصفه الله تعالى بصدق الوعد لانه كان مبالغا فى ذلك وروي انه وعد رجلا ان يلقاه فى موضع فبقي فى انتظاره يومه وليلته فلما كان فى اليوم الآخر جاء الرجل فقال له اسماعيل مازلت هنا فى انتظارك منذ امس وقد فعل مثله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه خرجه الترمذي وغيره قال سفيان بن عيينة اسوأ الكذب اخلاف الميعاد ورمي الابرياء بالتهم واهله المراد بهم قومه وامته قاله الحسن وفى مصحف ابن مسعود وكان يامر قومه وادريس عليه السلام من اجداد نوح عليه السلام ورفعناه مكانا عليا قالت فرقة من العلماء رفع الى السماء قال ابن عباس كان ذلك بامر الله تعالى * وقوله وبكيا قالت فرقة جمع باك وقالت فرقة هو مصدر بمعنى البكاء التقدير وبكوا بكيا واحتج الطبري ومكي لهذا القول بان عمر رضي الله عنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال هذا السجود فاين البكي يعني البكاء قال (ع) ويحتمل ان يريد عمر رضي الله عنه فاين الباكون وهذا الذى ذكروه عن عمر ذكره ابو حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف الآية الخلف بسكون اللام مستعمل اذا كان الآتى مذموما هذا مشهور كلام العرب والمراد بالخلف من كفر وعصى بعدُ من بنى اسراءيل ثم يتناول معنى الآية من سواهم الى يوم القيامة واضاعة الصلاة يكون بتركها وبجحدها وباضاعة اوقاتها وروى ابو داود الطيالسي فى مسنده بسنده عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة

حفظك الله كما حفظتني وترفع واذا اساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب الخَلَق فيضرب بها وجهه انتهى من التذكرة والشهوات عموم والغي الخسران قاله ابن زيد وقد يكون الغي بمعنى الضلال والتقدير يلقون جزاء الغي وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود الغي واد فى جهنم وبه وقع التوعد فى هذه الآية وقال (ص) الغي عندهم كل شر كما ان الرشاد كل خير انتهى وجنات عدن بدل من الجنة فى قوله يدخلون الجنة * وقوله بالغيب اي اخبرهم من ذلك بما غاب عنهم وفى هذا مدح لهم على سرعة ايمانهم وبدارهم اذ لم يعاينوا وماتيا مفعول على بابه وقال جماعة من المفسرين هو مفعول فى اللفظ بمعنى فاعل فماتيا بمعنى ءات وهذا بعيد (ت) بل هو الظاهر وعليه اعتمد (ص) واللغو السقط من القول * وقوله بكرة وعشيا يريد فى التقدير * وقوله عز وجل وما نتنزل الا بامر ربك الآية قال ابن عباس وغيره سبب هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطأ عنه جبريل عليه السلام مدة فلما جاءه قال يا جبريل قد اشتقت اليك افلا تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وقال الضحاك ومجاهد سببها ان جبريل تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم عند قوله فى السؤالات المتقدمة فى سورة الكهف غدا اخبركم وقال الداودي عن مجاهد ابطأت الرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتى جبريل عليه السلام قال ما حبسك قال وكيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تاخذون شواربكم ولا تستاكون وما نتنزل الا بامر ربك انتهى وقد جاءت فى فضل السواك ءاثار كثيرة فمنها ما رواه البزار فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلى قام الملك خلفه فيسمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج

من فيه شيء من القرءان الاصار في جوف الملك انتهى من الكوكب الدري وفيه عن ابن ابي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة على اثر سواك افضل من سبعين صلاة بغير سواك انتهى وفي البخاري ان السواك مطهرة للفم مرضاة للرب اه * وقوله سبحانه له ما بين ايدينا الآية المقصود بهذه الآية الاشعار بملك الله تعالى للملائكته وان قليل تصرفهم وكثيره انما هو بامره وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بحد منه * وقوله وما كان ربك نسيا اي ممن يلحقه نسيان لبعثنا اليك فنسيا فعيل من النسيان وهو الذهول عن الامور وقرأ ابن مسعود وما نسيك ربك * وقوله سميا قال قوم معناه موافقا في الاسم قال (ع) وهذا يحسن فيه ان يريد بالاسم ما تقدم من قوله رب السموات والارض وما بينهما اي هل تعلم من يسمى بهذا او يوصف بهذه الصفة وذلك ان الامم والفرق لايسمون بهذا الاسم وثنا ولاشيأ سوى الله تعالى قال القشيري في التحبير قوله تعالى واصطبر لعبادته الاصطبار نهاية الصبر ومن صبر ظفر ومن لازم وصل وفي معناه انشدوا

لاتيأسنّ وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وانشدوا

اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في شيء يحاوله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

انتهى وقال ابن عباس وغيره سميا معناه مثيلا اوشبيها ونحو ذلك وهذا قول حسن وكان السمي بمعنى المسامي والمضاهي فهو من السمو * وقوله تعالى ويقول الانسان ائذا مامت لسوف اخرج حيا الانسان اسم جنس يراد به الكافرون وروي ان سبب نزول هذه الآية هو ان رجالا من قريش كانوا يقولون هذا

ونحوه وذكر ان القائل هو ابي بن خاف وروي ان القائل هو العاصى بن وائل
وفى قوله تعالى ولم يك شيأ دليل على ان المعدوم لايسمى شيأ وقال ابوعلي الفارسي
اراد شيأ موجودا قال (ع) وهذه من ابى علي نزغة اعتزالية فتأملها والضمير
فى لنحشرنهم عائد على الكفار القائلين ماتقدم ثم اخبر تعالى انه يقرن بهم
الشياطين المغوين لهم وجثيا جمع جاث فاخبر سبحانه انه يحضر هؤلاء المنكرين
البعث مع الشياطين المغوين فيجثون حول جهنم وهو قعود الخائف الذليل على
ركبتيه كالاسير ونحوه قال ابن زيد الجثي شر الجلوس والشيعة الفرقة المرتبطة بمذهب
واحد المتعاونة فيه فاخبر سبحانه انه ينزع من كل شيعة اعتاها واولاها بالعذاب
فتكون مقدمتها الى النار قال ابوالاحوص المعنى نبدأ بالاكابر جرما واي هنا
بنيت لما حذف الضمير العائد عليها من صدر صلتها وكان التقدير ايهم هو اشد
وصليا مصدر صلي يصلى اذا باشره * وقوله عزوجل وان منكم الاواردها
قسم والواو تقتضيه ويفسره قوله صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة اولاد لم
تمسه النار الاتحلة القسم وقرأ ابن عباس وجماعة وان منهم بالهاء على ارادة الكفار
قال (ع) ولاشغب فى هذه القراءة وقالت فرقة من الجمهور القارئين منكم
المعنى قل لهم يامحمد فالخطاب بمنكم للكفرة وتاويل هؤلاء ايضا سهل التناول وقال
الاكثر المخاطب العالم كله ولابد من ورود الجميع ثم اختلفوا فى كيفية ورود
المومنين فقال ابن عباس وابن مسعود وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم
هو ورود دخول لكنها لاتعدو عليهم ثم يخرجهم الله عز وجل منها بعد معرفتهم
حقيقة مانجوا منه وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الورود فى هذه الآية هو الدخول وقد اشفق كثير من العلماء من تحقق
الورود مع الجهل بالصدر جعلنا الله تعالى من الناجين بفضله ورحمته وقالت فرقة
بل هو ورود اشراف واطلاع وقرب كما تقول وردت الماء اذا جئته وليس يلزم

ان تدخل فيه قالوا وحسب المومن بهذا هولا ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وروت فرقة اثرا ان الله تعالى يجعل النار يوم القيامة جامدة الاعلى كانها اهالة فياتى الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقفون عليها ثم تسوخ باهلها ويخرج المومنون الفائزون لم ينلهم ضر قالوا فهذا هو الورود قال المهدوي وعن قتادة قال يرد الناس جهنم وهي سوداء مظلمة فاما المومنون فاضاءت لهم حسناتهم فنجوا منها واما الكفار فاوبقتهم سيئاتهم واحتبسوا بذنوبهم انتهى وروت حفصة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار احد من اهل بدر والحديبية قالت فقلت يارسول الله واين قول الله تعالى وان منكم الاواردها فقال صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجى الذين اتقوا ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون (ت) وحديث حفصة هذا اخرجه مسلم وفيه افلم تسمعيه يقول ثم ننجى الذين اتقوا وروى ابن المبارك فى رقائقه انه لما نزلت هذه الآية وان منكم الاواردها ذهب ابن رواحة الى بيته فبكى فجاءت امرأته فبكت وجاءت الخادم فبكت وجاء اهل البيت فجعلوا يبكون فلما انقضت عبرته قال يااهلاه ما يبكيكم قالوا لاندرى ولكن رأيناك بكيت فبكينا فقال ءاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبئنى فيها ربى انى وارد النار ولم ينبئنى انى صادر عنها فذلك الذى ابكانى انتهى وقال ابن مسعود ورودهم هو جوازهم على الصراط وذلك ان الحديث الصحيح تضمن ان الصراط مضروب على متن جهنم والحتم الامر المنفذ المجزوم والذين اتقوا معناه اتقوا الكفر ونذر دالة على انهم كانوا فيها قال ابوعمر بن عبد البر فى التمهيد بعد ان ذكر رواية جابر وابن مسعود فى الورود وروي عن كعب انه تلا وان منكم الاواردها فقال اتدرون ماورودها انه يجاء بجهنم فتمسك للناس كانها متن اهالة يعنى الودك الذى يجمد على القدر من المرقة حتى اذا استقرت عليها اقدام

الخلائق برهم وفاجرهم نادى مناد ان خذى اصحابك وذرى اصحابى فيخسف بكل ولي لها فلهي اعلم بهم من الوالدة بولدها وينجو المومنون ندية ثيابهم وروي هذا المعنى عن ابى نضرة وزاد وهو معنى قوله تعالى فاستبقوا الصراط فانى يبصرون انتهى * وقوله تعالى واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين كفروا للذين ءامنوا اي الفريقين خير مقاما الآية هذا افتخار من كفار قريش وانه انما انعم الله عليهم لاجل انهم على الحق بزعمهم والندي والنادى المجلس ثم رد الله تعالى حجتهم وحقر امرهم فقال تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورءيا اي فلم يغن ذلك عنهم شيأ والاثاث المال العين والعرض والحيوان وقرأ نافع وغيره ورءيا بهمزة بعدها ياء من روءية العين قال البخاري ورءيا منظرا وقرأ نافع ايضا واهل المدينة وريا بياء مشددة فقيل هي بمعنى القراءة الاولى وقيل هي بمعنى الري فى السقيا اذ اكثر النعمة من الري والمطر وقرأ ابن جبير وابن عباس ويزيد البربري وزيا بالزاي المعجمة بمعنى الملبس واما قوله سبحانه قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيحتمل ان يكون بمعنى الدعاء والابتهال كانه يقول الاضل منا ومنكم مد الله له اي املى له حتى يؤول ذلك الى عذابه ويحتمل ان يكون بمعنى الخبر انه سبحانه هذه عادته الاملاء للضالين حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب اي فى الدنيا بنصر الله للمومنين عليهم واما الساعة فيصيرون الى النار والجند الناصرون القائمون بامر الحرب وشرمكانا بازاء قولهم خيرمقاما واضعف جندا بازاء قولهم احسن نديا ولما ذكر سبحانه ضلالة الكفرة وافتخارهم بنعم الدنيا عقب ذلك بذكر نعمة الله على المومنين فى انه يزيدهم هدى فى الارتباط بالاعمال الصالحة والمعرفة بالدلائل الواضحة وقد تقدم تفسير الباقيات الصالحات عن النبي صلى الله عليه وسلم وانها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد قال صلى الله عليه وسلم لابى الدرداء خذهن ياابا الدرداء قبل ان يحال

بينك وبينهن فهن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال خذوا جُنتكم قالوا يارسول الله امن عدو حضر قال من النار قالوا ماهي يارسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهن الباقيات الصالحات وكان ابوالدرداء يقول اذا ذكر هذا الحديث لاهللن ولاكبرن الله ولاسبحنه حتى اذا رءانى الجاهل ظننى مجنونا (ت) ولو ذكرنا ماورد من صحيح الاحاديث فى هذا الباب لخرجنا بالاطالة عن مقصود الكتاب * وقوله سبحانه افرأيت الذى كفر بـٔاياتنا هوالعاصى بن وائل السهمي قاله جمهور المفسرين وكان خبره ان خباب بن الارت كان قينا فى الجاهلية فعمل له عملا واجتمع له عنده دين فجاءه يتقاضاه فقال له العاصى لااقضيك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لااكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك فقال العاصى اومبعوث انا بعد الموت فقال نعم فقال فانه اذا كان ذلك فسيكون لى مال وولد وعند ذلك اقضيك دينك فنزلت الآية فى ذلك وقال الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة قال (ع) وقد كانت للوليد ايضا اقوال تشبه هذا الغرض (ت) الا ان المسند الصحيح فى البخاري هو الاول * وقوله ام اتخذ عند الرحمن عهدا معناه بالايمان والاعمال الصالحات (وكلا) زجر ورد وهذا المعنى لازم لكلا ثم اخبر سبحانه ان قول هذا الكافر سيكتب على معنى حفظه عليه ومعاقبته به ومد العذاب هوا طالته وتعظيمه * وقوله سبحانه ونرثه مايقول اي هذه الاشياء التى سمى انه يوتاها فى الآخرة يرث الله ماله منها فى الدنيا باهلاكه وتركه لها فالوراثة مستعارة وقال النحاس نرثه مايقول معناه نحفظه عليه لنعاقبه به ومنه قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اي حفظة ماقالوا قال (ع) فكان هذا المجرم يورث هذه المقالة * وقوله ويكونون عليهم ضدا معناه يجدونهم خلاف ما كانوا املوه فى معبوداتهم فيـٔول ذلك بهم الى ذلة وضد ماامله من العزوغيره وهذه صفة عامة * وتؤزهم

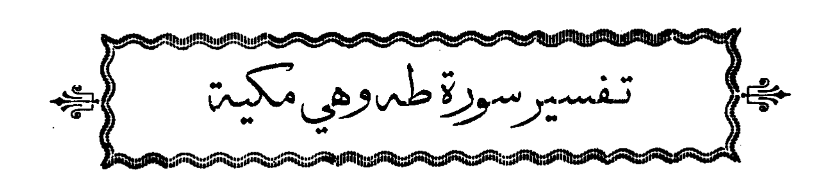
معناه تقلقهم وتحركهم الى الكفر والضلال قال قتادة ترعجهم ازعاجا وقال ابن زيد تشليهم اشلاء ومنه ازيز القدر وهو غليانه وحركته ومنه الحديث اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يصلى وهو يبكى ولصدره ازيز كازيز المرجل (ت) هذا الحديث خرجه مسلم وابو داود عن مطرف عن ابيه وقال العراقي تؤزهم اي تدفعهم انتهى * وقوله سبحانه فلا تعجل عليهم اي لا تستبطئ عذابهم * وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال (ع) وظاهر هذه الوفادة انها بعد انقضاء الحساب وانما هي النهوض الى الجنة وكذلك سوق المجرمين انما هو لدخول النار ووفدا قال المفسرون معناه ركبانا وهي عادة الوفود لانهم سراة الناس واحسنهم شكلا وانما شبههم بالوفد هيئة وكرامة وروي عن علي رضي الله عنه انهم يجيئون ركبانا على النوق المحلاة بحلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد ونحو هذا وروى عمرو ابن قيس الملاءي انهم يركبون على تماثيل من اعمالهم الصالحة وهي في غاية الحسن وروي انه يركب كل واحد منهم ما احب فمنهم من يركب الابل ومنهم من يركب الخيل ومنهم من يركب السفن فتجيء عائمة بهم وقد ورد في الضحايا انها مطاياكم الى الجنة واكثر هذه فيها ضعف من جهة الاسناد والسوق يتضمن هوانا والورد العطاش قاله ابن عباس وابو هريرة والحسن واختلف في الضمير في قوله لايملكون فقالت فرقة هو عائد على المجرمين اي لايملكون ان يشفع لهم وعلى هذا فالاستثناء منقطع اي لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يشفع له والعهد على هذا الايمان وقال ابن عباس العهد لا اله الا الله وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة من كان له عندي عهد فليقم قال (ع) ويحتمل ان يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة اي الا من اتخذ عند الرحمن عهدا من عصاة المومنين فانه يشفع لهم ويكون الاستثناء متصلا وقالت فرقة الضمير في لايملكون للمتقين * وقوله الا من اتخذ الآية اي الا من كان

له عمل صالح مبرور فيشفع فيشفع وتحتمل الآية ان يراد بمن النبي صلى الله عليه وسلم وبالشفاعـة الخاصة له العامة فى اهل الموقف ويكون الضمير فى لا يملكون لجميع اهل الموقف الاترى ان سائر الانبياء يتدافعون الشفاعة اذ ذاك حتى تصير اليه صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال الباجي فى سنن الصالحين له روي عن ابن مسعود انه قال ان الجبل ليقول للجبل يافلان هل مربك اليوم ذاكرلله تعالى فان قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا الى قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال اترونها تسمع الزور ولا تسمع الخير انتهى وهكذا رواه ابن المبارك فى رقائقه وما ذكره ابن مسعـود لايقال من جهة الرأي وقد روي عن انس وغيره نحوه قال الباجي باثر الكلام المتقدم وروى جعفر بن زيد عن انس بن مالك انه قال مامن صباح ولارواح الاوتنادى بقاع الارض بعضها بعضا اي جارة هل مربك اليوم عبد يصلى او يذكر الله فمن قائلة لاومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رأت لها فضلا بذلك انتهى * وقوله سبحانه لقد جئتم شيأ ادا الآية الاد الامر الشنيـع الصعب (ت) وقال العراقي ادا اي عظيما انتهى والانفطار الانشقاق والهد الانهدام قال محمـد بن كعب كاد اعداء الله ان يقيموا علينا السـاعة * وقوله ان كل من فى السموات الآيـة ان نافيـة بمعنى ما * وقوله فردا يتضمن عدم النصير والحول والقوة اي لامجير له مما يريد الله به وعبارة الثلعبي فردا اي وحيـدا بعمـله ليس معـه من الدنيـا شيء اه (ت) وهذه الآية تنظر الى قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية * وقوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا ذهب اكثر المفسرين الى ان هذا الود هو القبول الذى يضعه الله لمن يحب من عباده حسبما فى الحـديث الصحيح المـاثور وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه انها بمنزلة قول النـبي صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة البسه الله رداءها (ت) والحديث المتقدم المشـار اليه اصله فى الموطـا

ولفظه مالك عن سهيل بن ابي صالح السمان عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد قال لجبريل ياجبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي فى اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له القبول فى الارض واذا ابغض العبد قال مالك لااحسبه الاقال فى البغض مثل ذلك قال ابوعمر بن عبد البر فى التمهيد وممن روى هذا الحديث عن سهيل باسناده هذا فذكر البغض من غير شك معمر وعبد العزيز بن المختار وحماد بن سلمة قالوا فى ءاخره واذا ابغض بمثل ذلك ولم يشكوا قال ابو عمر وقد قال المفسرون فى قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا يحبهم ويحببهم الى الناس وقاله مجاهد وابن عباس ثم اسند ابو عمر عن كعب انه قال والله ما استقرلعبد ثناء فى اهل الدنيا حتى يستقرله فى اهل السماء قال كعب وقرأت فى التوراة انه لم تكن محبة لاحد من اهل الارض الا كان بدأها من الله عز وجل ينزلها على اهل السماء ثم ينزلها على اهل الارض ثم قرأت القرءان فوجدت فيه ان الذين ءامنوا وعملواالصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واسند ابوعمرعن قتادة قال قال هرم بن حيان مااقبل عبد بقلبه الى الله تعالى الا اقبل الله بقلوب اهل الايمان عليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم انتهى قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قيل يارسول الله من اهل الجنة قال من لايموت حتى يملأ الله سمعه مما يحب قال فقيل يارسول الله من اهل النارقال من لايموت حتى يملأ الله سمعه مما يكره انتهى قال (ع) وفى حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد الا وله فى السماء صيت فان كان حسنا وضع فى الارض حسنا وان كان سيأ وضع فى الارض سيأ (ت) وهذا الحديث خرجه ابو داود فى كتاب الزهد * وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك اي القرءان لتبشر به المتقين اي بالجنة والنعيم الدائم والعز فى

الدنيا * وقوما لدا هم قريش ومعناه مجادلين مخاصمين والالد المخاصم المبالغ فى ذلك ثم مثل لهم باهلاك من قبلهم اذ كانوا اشد منهم وألد واعظم قدرا والركز الصوت الخفي





تفسير سورة طه وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* قوله سبحانه وتعالى طه ماانزلنا عليك القرءان لتشقى قيل طه اسم من اسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل بالسريانية وقيل بغيرها من لغات العجم قال البخاري قال ابن جبير طه يارجل بالنبطية انتهى وقيل انها لغة يمانية فى عك وانشد الطبري فى ذلك

دعوت بطاها فى القتال فلم يجب * فخفت عليه ان يكون موائلا

وقال ءاخر

ان السفاهة طاها من خلائقكم * لابارك الله فى القوم الملاعين

وقالت فرقة من العلماء سبب نزول هذه الآية ان قريشا لما نظرت الى عيش النبي صلى الله عليه وسلم وشظفه وكثرة عبادته قالت ان محمدا مع ربه فى شقاء فنزلت الآية رادة عليهم واسند عياض فى الشفا من طريق ابى ذر الهروي عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه يعنى طإ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرءان لتشقى

ولا خفاء بما فى هذا كله من الاكرام له صلى الله عليه وسلم وحسن المعاملة انتهى قال (ص) لتشقى الا تذكرة علتان لقوله ما انزلنا انتهى وقد تقدم القول فى مسئلة الاستواء وباقى الآية بين قال ابن هشام قوله تعالى وان تجهر بالقول اي فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى فالجواب محذوف انتهى * وقوله سبحانه وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني ءانست نارا لعلي ءاتيكم منها بقبس اواجد على النار هدى هذا الاستفهام توقيف مضمنه تنبيه النفس الى استماع ما يورد عليها وهذا كما تبدأ الرجل اذا اردت اخباره بامر غريب فتقول اعلمت كذا وكذا ثم تبدأ تخبره وكان من قصة موسى عليه السلام انه رحل من مدين باهله بنت شعيب عليه السلام وهو يريد ارض مصر وقد طالت مدة جنايته هنالك فرجا خفاء امره وكان فيما يزعمون رجلا غيورا فكان يسير الليل باهله ولا يسير بالنهار مخافة كشفة الناس فضل عن طريقه فى ليلة مظلمة فبينما هو كذلك وقد قدح بزنده فلم يور شيأ اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اي اقيموا وذهب هو الى النار فاذا هي مضطرمة فى شجرة خضراء يانعة قيل كانت من عناب وقيل من عوسج وقيل من عليق فكلما دنا منها تباعدت منه ومشت فاذا رجع عنها اتبعته فلما رأى ذلك ايقن ان هذا من امور الله الخارقة للعادة ونودي وانقضى امره كله فى تلك الليلة هذا قول الجمهور وهو الحق وما حكي عن ابن عباس انه قال اقام فى ذلك الامر حولا فغير صحيح عن ابن عباس وءانست معناه احسست والقبس الجذوة من النار تكون على رأس العود والهدى اراد هدى الطريق اي لعلي اجد مرشدا لى او دليلا وفى قصة موسى باسرها فى هذه السورة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي فى تبليغه من المشقات صلى الله عليه وسلم والضمير فى قوله اتاها عائد على النار * وقوله نودي كناية عن تكليم الله تعالى

له عليه السلام وقرأ نافع وغيره اني بكسر الهمزة على الابتداء وقرأ ابو عمرو وابن كثير اني بفتحها على معنى لاجل اني انا ربك فاخلع نعليك واختلف فى السبب الذى من اجله امر بخلع النعلين فقالت فرقة كانتا من جلد حمار ميت فامر بطرح النجاسة وقالت فرقة بل كانت نعلاه من جلد بقرة ذكي لكن امر بخلعهما لينال بركة الوادى المقدس وتمس قدماه تربة الوادى قال (ع) وتحتمل الآية معنى آخر هو الاليق بها عندى وهو ان الله تعالى امره ان يتأدب و يتواضع لعظم الحال التى حصل فيها والعرف عند الملوك ان تخلع النعلان ويبلغ الانسان الى غاية تواضعه فكان موسى عليه السلام امر بذلك على هذا الوجه ولا نبالى كيف كانت نعلاه من ميتة اوغيرها والمقدس معناه المطهر وطوى معناه مرتين فقالت فرقة معناه قدس مرتين وقالت فرقة معناه طويت لك الارض مرتين من ظنك قال الفخر وقيل ان طوى اسم واد بالشام وهو عند الطور الذى اقسم الله به فى القرءان وقيل ان طوى بمعنى يا رجل بالعبرانية كانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون انتهى من تفسيره لسورة والنازعات قال (ع) وحدثنى ابى رحمه الله قال سمعت ابا الفضل ابن الجوهري رحمه الله تعالى يقول لما قيل لموسى استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا * وقوله تعالى واقم الصلوة لذكرى يحتمل ان يريد لتذكرنى فيها او يريد لاذكرك فى عليين بها فالمصدر محتمل الاضافة الى الفاعل او المفعول وقالت فرقة معنى قوله لذكرى اي عند ذكرى اي اذا ذكرتنى وامرى لك بها (ت) وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها فان ذلك وقتها قال الله تعالى اقم الصلوة لذكرى انتهى فقد بين لك صلى الله عليه وسلم ما تحتمله الآية والله الموفق بفضله وهكذا استدل ابن العربي هنا بالحديث ولفظه وقدروى مالك

وغيره ان النبي صلى عليــه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيهــا فليصلها اذا
ذكرها فان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكرى انتهى من الاحكام وقرأت فرقة
للـذكرى وقرأت فرقـة للـذكر وقرأت فرقة لذكـرَى بغير تعريف * وقوله
تـعالى ان الساعة يريد القيامة ءاتية فيه تحذير ووعيـد وقرأ ابن كثير وعاصم
اكاد اخفيها بفتح الهــمزة بمعنى اظهرها اي انها من تيقن وقوعهــا تكاد تظهر
لكن تنحجب الى الاجل المعلوم والعرب تقــول خفيت الشيء بمعنى اظهرتـه
وقرأ الجمهور اخفيهــا بضم الهمزة فقــيل معناه اظهرها وزعموا ان اخفيت من
الاضداد وقالت فرقة اكاد بمعنى اريد اي اريد اخفـاءهــا عنكم لتجزى كل
نفس بما تسعى واستشهدوا بقول الشاعر *كادت وكدت وتلك خير ارادة *
وقالت فرقة اكاد على بابها بمعنى انها مقاربة ما لم يقع لكن الكلام جار على
استعارة العرب ومجازها فلما كانت الآية عبارة عن شدة خفاء امر القيامة ووقتها
وكان القطع باتيانهــا مع جهـل الوقت اهيب على النفوس بالغ سبحانـه فى
ابهام وقتها فقال اكاد اخفيهــا حتى لا تظهر البتــة ولكن ذلك لا يقع ولابد
من ظهورها وهذا التــاويل هو الاقوى عنـدى * وقوله سبحانه فلايصدنك
عنهــا اي عن الايمان بالساعــة ويحتمــل عود الضمير على الصلاة * وقوله
فتردى معنــاه فتهلك والردى الهلاك وهذا الخطاب كله لموسى عليــه السلام
وكذلـك ما بعده وقال النقاش الخطاب بلا يصدنك لنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وهذا بعيد * وقوله سبحانه ومــا تلك بيمينك يا موسى تقرير مضمنه
التنبـيه وجمع النفس لتلقى مــا يورد عليهــا والافقد علم سبحانـه ما هي فى
الازل قال ابن العربي فى احكامه واجاب موسى عليه السلام بقوله هي عصاي
الاية باكثر مما وقع السؤال عنه وهذا كقوله صلى عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل
ميتته لمن سأله عن طهورية ماء البحر انتهى (ت) والمستحسن من الجواب

ان يكون مطابقـا للسؤال اواعم منـه كما فى الآية والحديث اما كونه اخص منه فلا انتهى * واهش معناه اخبط بـها الشجر حتى ينتثر الورق للغنم وعصا موسى عليـه السلام هي التى كان اخذهـا من بيت عصي الانبيـاء عليـهم السلام الذى كان عند شعيب عليـه السلام حين اتفقـا على الرعـي وكانت عصا ءادم عليـه السلام هبط بـها من الجنـة وكانت من العير الذى فى ورق الريحان وهو الجسم المستطيـل فى وسطها ولما اراد الله سبحانه تدريب موسى فى تلقى النبوءة وتكاليفها امره بالقاء العصا فالقـاها فاذا هي حيـة تسعى اي تنتقل وتمشى وكانت عـصـا ذات شعبتين فصـارت الشعبتـان فما يلتقم الحجارة فلما رءاها موسى رأى عبرة فولى مدبرا ولم يعقب فقال الله تعالى له خذها ولا تخف فاخذها بيده فصارت عصـا كما كانت اول مرة وهي سيرتها الاولى واضمم يـدك الى جنـاحك اي جنبك قال (ع) وكل مرعوب من ظلمة ونحوها فانه اذا ضم يده الى جناحه فتر رعبه وربط جاشه فجمع الله سبحانه لموسى عليـه السلام تفتير الرعب مع الآيـة فى اليـد وروي ان يـد موسى خرجت بيضاء تشف وتضيء كانها شمس من غير سوء اي من غير برص ولا مثلة بل هو امر ينحسر ويعود بحكم الحاجة اليـه ولما امره الله تعالى بالذهاب الى فرعون علم انهـا الرسالة وفهم قدر التكليف فدعا الله فى المعونة اذ لا حول له الا به * واشرح لى صدرى معناه لفهم ما يرد علي من الامور والعقدة التى دعا فى حلها هي التى اعترته بالجمرة فى فيه حين جربه فرعون وروي فى ذلك ان فرعون اراد قتل موسى وهو طفل حين مد يده عليه السلام الى لحيـة فرعون فقالت له امرأته انه لا يعقل فقال بل هو يعقل وهو عـدوى فقالت له نجربه فقال لها افـعل فـدعا بجمرات من النار وبطبق فيـه ياقوت فقالا ان اخذ الياقوت علمنـا انـه يعقل وان اخذ النار عـذرناه فمد موسى يده الي جمرة

فاخذها فلم تعد على يده فجعلها فى فيه فاحرقتـه واورثت لسانه عقدة وموسى عليه السلام انما طلب من حل العقدة قدرا يفقـه معـه قوله فجائز ان تكون تلك العقدة قد زالت كلها وجائز ان يكون قد بقي منهـا القليل فيجتمع ان يوتى هوسؤله وان يقول فرعون ولا يكاد يبين ولو فرضنا زوال العقدة جملة لكان قول فرعون سبا لموسى بحالته القديمـة والوزير المعين القائم بوزر الامور وهو ثقلها فيحتمل الكلام ان طلب الوزير من اهله على الجملة ثم ابدل هرون من الوزير المطلوب ويحتمل ان يريد واجعل هرون وزيرا فيكون مفعولا اولا لاجعل وكان هرون عليـه السلام اكبر من موسى عليـه السلام باربع سنين والازر الظهر قاله ابو عبيدة * وقوله كثيرا نعت لمصدر محذوف اي تسبيحا كثيرا * وقوله سبحانه ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى قيل هووحي الهام وقيل بملك وقيل برؤيا رأتها وكان من قصة موسى عليـه السلام فيما روي ان فرعون ذكر له ان خراب ملكه يكون على يد غـلام من بنى اسراءيل فامر بقتل كل مولود يولد لبنى اسراءيل ثم انه رأى مع اهل مملكتـه ان فناء بنى اسراءيل يعود على القبط بالضرر اذ هم كانوا عملة الارض والصنـاع ونحو هذا فعزم على ان يقتل الولدان سنة ويستحييهم سنة فولد هرون عليـه السلام فى سنـة الاستحيـاء ثم ولد موسى عليـه السلام فى العام الرابع سنـة القتـل فخافت عليـه امـه فاوحى الله اليها ان اقذفيـه فى التـابوت فاخذت تابوتا فقذفت فيه موسى راقدا فى فراش ثم قذفته فى يم النيل وكان فرعون جالسا فى موضع يشرف منه على النيل اذ رأى التابوت فامر به فسيق اليه وامرأتـه معه ففتح فرأوه فرحمته امرأتـه وطلبتـه لتتخذه ابنا فاباح لها ذلك ثم انـها عرضته للرضاع فلم يقبـل امرأة فجعلت تنادى عليـه فى المدينـة ويطاف به يعرض للمراضع فكلما عرضت عليـه امرأة اباهـا وكانت امه قالت لاختـه

قصيه فبصرت به وفهمت امره فقالت لهم انا ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا انت تعرفين هـذا الصبي فانكرت وقالت لا غير انى اعلم من اهل هذا البيت الحرص على التقرب الى المملكـة والجد فى خدمتهـا ورضاها فتركوها وسألوها الدلالة فجاءت بام موسى فلما قربتـه شرب ثديها فسرت بذلك ءاسية امرأة فرعون رضي الله عنها وقالت لها كونى معى فى القصر فقـالت لها مـا كنت لادع بيتى وولدى ولكنه يكون عندى فقالت نعم فاحسنت الى اهل ذلك البيت غايـة الاحسان واعتز بنواسراءيـل بهذا الرضاع والسبب من المملكة واقام موسى عليـه السلام حتى كمل رضاعه فارسلت اليها ءاسيـة ان جئينى بولدى ليوم كذا وامرت خدمها ومن معها ان يلقينه بالتحف والهدايا واللباس فوصل اليهـا على ذلك وهو بخير حال واجمل شباب فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه ويهب له فرءاه واعجبه وقربـه فاخذ موسى عليـه السلام بلحية فرعون وجبذها فاستشاط فرعون وقال هذا عدو لى وامر بذبحه فناشدته فيـه امرأته وقالت انه لا يعقل فقال فرعون بل يعقل فاتفقا على تجريبه بالجمرة والياقوت حسب ما تقدم فنجاه الله من فرعون ورجع الى امـه فشب عندها فاعتز بـه بنو اسراءيل الى ان ترعرع وكان فتى جلدا فاضلا كاملا فاعتزت بـه بنو اسراءيل بظاهر ذلك الرضاع وكان يحميهم ويكون ضلعـه معهم وهو يعلم من نفسه انه منهم ومن صميمهم فكانت بصيرته فى حمايتهم اكيدة وكان يعرف ذلك اعيان بنى اسراءيل ثم وقعت له قصـة القبطي المتقاتل مع الاسراءيلي على ماسياتى ان شاء الله تعالى وعدد الله سبحانه على موسى فى هذه الاية ما تضمنته هذه القصة من لطفه سبحانه به فى كل فصل وتخليصه من قصة الى اخرى وهذه الفتون التى فتنه بها اي اختبره بـها وخلصه حتى صلح للنبوءة وسلم لها * وقوله مايوحى ابهام يتضمن عظم الامر وجلالتـه

وهذا كقوله تعالى اذيغشى الـسدرة مايغشى فاوحى الى عبـده مااوحى وهو كثير فى القرءان والكـلام الفصيـح * وقوله فليلقه اليم بالساحـل خبر خرج فى صيغة الامر مبالغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قومـوا فـلاصل لكم فاخرج الخبر فى صيغة الامر لنفسه مبالغة وهـذا كثير والمراد بالعـدو فى الآية فرعون ثم اخبر تعالى موسى عليه السلام انه القى عليه محبة منه قالت فرقة ارادالقبول الذى يضعه الله فى الارض لخيار عباده وكان حظ موسى منـه فى غايـة الوفـر وهـذا اقوى ماقيل هنـا من الاقوال وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر اللام وضم التـاء على معنى ولتغذى وتطعم وتربى * وقوله على عيني معناه بمرأى منى * وقوله على قدراي لميقات محدود للنبوءة التى قد ارادها الله تعـالى واصطنعتك معناه جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاجمال والاحسان * وقوله لنفسى اضافة تشريف وهذا كما تقول بيت الله ونحـوه والصيـام لى وعبر بالنفس عن شدة القرب وقوة الاختصاص * وقوله تعـالى ولا تنيا فى ذكرى معنـاه لاتبطئـا وتضعفا تقول ونى فلان فى كذا اذا تباطأ فيه عن ضعف والونى الـكلال والفشل فى البهائم والانس وفى مصحف ابن مسعود ولا تهنـا فى ذكرى معنـاه لا تلينا من قولك هين لين فقولا له قولا لينـا اي حسّنـا له الكلمـة مع اكمال الدعوة قال ابن العربي فى احكامه وفى الآيـة دليـل على جواز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللين لمن معه القوة وفى الاسراءيليـات ان مـوسى عليه السلام اقام بباب فرعون سنة لايجد من يبلغ كلامـه حتى لقيه حين خرج فجرى له ماقص الله تعالى علينا من خبره وكان ذلك تسلية لمن جاء بعده من المومنين فى سيرتهم مع الظالمين انتهى وقولهما اننا نخـاف ان يفرط معنـاه يعجـل ويتسرع الينـا بمكروه * وقوله عزوجل اننى معكما اي بالنصر والمعونة * وقوله تعالى فاتيـاه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسراءيـل ولا تعذبهم الآية جملة ما دعي

اليه فرعون الايمان وارسال بنى اسراءيل واما تعذيبه بنى اسراءيل فبذبح اولادهم وتسخيرهم واذلالهم * وقولهما والسلام على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون ءاخر كلام فيقوى ان يكون السلام بمعنى التحية كانهما رغبا بها عنه وجريا على العرف فى التسليم عند الفراغ من القول ويحتمل ان يكون فى درج القول فيكون خبرا بان السلامة للمهتدين وبهذين المعنيين قالت كل فرقة من العلماء * وقوله سبحانه اعطى كل شيء خلقه قالت فرقة المعنى اعطى كل موجود من مخلوقاته خلقته وصورته اي اكمل ذلك له واتقنه ثم هدى اي يسر كل شيء لمنافعه وهذا احسن ما قيل هنا واشرف معنى واعم فى الموجودات وقول فرعون فما بال القرون الاولى يحتمل ان يريد ما بال القرون الاولى لم تبعث لها ولم يوجد امرك عندها ويحتمل ان يريد فرعون قطع الكلام والرجوع الى سؤال موسى عن حالة من سلف من الامم روغانا فى الحجة وحيدة وقيل البال الحال فكانه سأله عن حالهم وقول موسى علمها عند ربى فى كتاب يريد فى اللوح المحفوظ ولا يضل معناه لا ينتلف ويعمه والازواج هنا بمعنى الانواع * وقوله شتى نعت للازواج اي مختلفة * وقوله كلوا وارعوا بمعنى هي صالحة للاكل والرعي فاخرج العبارة فى صيغة الامر لانه ارجى الافعال واهزها للنفوس والنهى جمع نهية والنهية العقل الناهى عن القبائح * وقوله سبحانه منها خلقناكم يريد من الارض وفيها نعيدكم اي بالموت والدفن ومنها نخرجكم اي بالبعث ليوم القيامة * وقوله ولقد اريناه ءاياتنا اخبار لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله كلها عائد على الآيات التى رءاها فرعون لانه رأى كل ءاية لله عز وجل وانما المعنى ان الله اراه ءايات ما كاليد والعصا والطمسة وغير ذلك وكانت رؤيته لهذه الآيات مستوعبة يرى الآيات كلها كاملة ومعنى سوى اي عدلا ونصفة اي حالنا فيه

مستوية وقالت فرقة معناه مستويا من الارض لاوهد فيه ولا نشز فقال موسى موعدكم يوم الزينة وروي ان يوم الزينة كان عيدا لهم ويوما مشهورا وقيل هو يوم كسر الخليج الباقى الى اليوم * وقوله وان يحشر الناس عطفا على الزينة فهو فى موضع خفض * فتولى فرعون فجمع كيده اي جمع السحرة وامرهم بالاستعداد لموسى فهذا هو كيده * ثم اتى فرعون بجمعه فقال موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا وهذه مخاطبة محذر وندبهم فى هذه الآية الى قول الحق اذا رأوه وان لا يباهتوا بكذب فيسحتكم اي فيهلككم ويذهبكم فلما سمع السحرة هذه المقالة هالهم هذا المنزع ووقع فى نفوسهم من هيبته شديد الموقع وتنازعوا امرهم والتنازع يقتضى اختلافا كان بينهم فى السر فقائل منهم يقول هو محق وقائل يقول هو مبطل ومعلوم ان جميع تناجيهم انما كان فى امر موسى عليه السلام والنجوى المسارة اي كل واحد يناجى من يليه سرا مخافة من فرعون ان يتبين له فيهم ضعف وقالت فرقة انما كان تناجيهم بالآية التى بعد هذا * ان هذان لساحران قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ان هذان لساحران فقالت فرقة قوله ان بمعنى نعم كما قال صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله برفع الحمد وقالت فرقة ان هذه القراءة على لغة بلحارث بن كعب وهي ابقاء الف التثنية فى حال النصب والخفض وتعزى هذه اللغة لكنانة وتعزى لخثعم وقال الزجاج فى الكلام ضمير تقديره انه هذان لساحران وقرأ ابو عمرو وحده ان هذين لساحران وقرأ ابن كثير ان هذان لساحران بتخفيف ان وتشديد نون هذان لساحران وقرأ حفص عن عاصم ان بالتخفيف هذان خفيفة ايضا لساحران وعبر كثير من المفسرين عن الطريقة بالسادة اهل العقل والحجا وحكوا ان العرب تقول فلان طريقة قومه اي سيدهم والاظهر فى

الطريقة هنا انها السيرة والمملكة والحال التى كانوا عليها والمثلى تانيث امثل اي الفاضلة الحسنة وقرأ جمهور القراء فاجمعوا بقطع الهمزة وكسرالميم على معنى انفذوا واعزموا وقرأ ابوعمرو وحده فاجمعوا من جمع اي ضموا سحركم بعضه الى بعض * وقوله صفا اي مصطفين وتداعوا الى هذا لانه اهيب واظهر لهم وافلح معناه ظفر ببغيته وباقى الآية بين مما تقدم * وقوله فاوجس عبارة عما يعترى نفس الانسان اذا وقع ظنه فى امرعلى شئ يسوءه وعبرالمفسرون عن اوجس باضمر وهذه العبارة اعم من الوجيس بكثير * انك انت الاعلى اي الغالب وروي فى قصص هذه الآية ان فرعون لعنه الله جلس فى علية له طولها ثمانون ذراعا والناس تحته فى بسيط وجاء سبعون الف ساحر فالقوا من حبالهم وعصيهم ما فيه وقر ثلاث مائة بعيرفهال الامرثم ان موسى عليه السلام القى عصاه من يده فاستحالت ثعبانا وجعلت تنمو حتى روي انها عبرت النهر بذنبها وقيل البحر وفرعون فى هذا كله يضحك ويرى ان الاستواء حاصل ثم اقبلت تاكل الحبال والعصي حتى افنتها ثم فغرت فاها نحو فرعون ففزع عند ذلك واستغاث بموسى فمد موسى يده اليها فرجعت عصا كما كانت فنظرالسحرة وعلموا الحق ورأوا عدم الحبال والعصي فايقنوا ان الامر من الله عز وجل فءامنوا رضي الله عنهم * وقوله سبحانه فالقي السحرة سجدا قالوا ءامنا برب هارون وموسى قال ءامنتم له قبل ان ءاذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل قال (ص) فى على بابها وقيل بمعنى على (ت) والاول اصوب * ولتعلمن اينا قوله اينا يريد نفسه ورب موسى عليه السلام وقال الطبري يريد نفسه وموسى والاول اذهب مع مخرقة فرعون وباقى الآية بين ثم قال السحرة لفرعون لن نوثرك اي لن نفضلك ونفضل السلامة منك على مارأينا من حجة الله تعالى وءاياته

وعلى الذى فطرنا هذا على قول جماعة ان الواو فى قوله والذى عاطفة وقالت فرقة هي واو القسم وفطرنا اي خلقنا واخترعنا فافعل يافرعون ماشئت وانما قضاؤك فى هذه الحياة الدنيا والآخرة من وراء ذلك لنا بالنعيم ولك بالعذاب الاليم وهؤلاء السحرة اختلف الناس هل نفذ فيهم وعيد فرعون ام لا والامر فى ذلك محتمل وقولهم والله خير وابقى رد لقول فرعون اينا اشد عذابا وابقى * وقوله عز وجل انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولا يحيي الآية قالت فرقة هذه الآية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه وقالت فرقة بل هي من كلام الله عز وجل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم تنبيها على قبح مافعل فرعون وحسن مافعل السحرة وموعظة وتحذيرا قد تضمنت القصة المذكورة مثاله * وقوله لايموت فيها ولا يحيي مختص بالكافر فانه معذب عذابا ينتهى به الى الموت ثم لا يجهز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه واما من يدخل النار من المومنين بالمعاصى فهم قبل ان تخرجهم الشفاعة فى غمرة قد قاربوا الموت الا انهم لا يجهز عليهم ولايجدد عذابهم فهذا فرق مابينهم و بين الكفار وفى الحديث الصحيح انهم يماتون فيها اماتة وهذا هو معناها لانه لاموت فى الآخرة وتزكى معناه اطاع الله واخذ بازكى الامور * وقوله سبحانه ولقد اوحينا الى موسى هذا استيناف اخبار عن شيء من امر موسى وباقى الآية بين وقد تقدم ذكر ما يخصها من القصص * وقوله تعالى لاتخاف دركا اي من فرعون وجنوده ولا تخشى غرقا من البحر * وقوله ما غشيهم ابهام اهول من النص وهذا كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى * واضل فرعون قومه يريد من اول امره الى هذه النهاية وماهدى مقابل لقوله وما اهديكم الاسبيل الرشاد * وقوله عز وجل يا بني اسرائيل قد انجينا كم الآية ظاهر هذه الآية ان هذا

القول قيل لبني اسرايل حينئذ عند حلول النعم التى عددها الله عليهم ويحتمل ان تكون هذه المقالة خوطب بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى هذا فعلنا باسلافكم وتكون الآية على هذا اعتراضا فى اثناء قصة موسى والقصد به توبيخ هؤلاء الحضور اذ لم يصبر سلفهم على اداء شكر نعم الله تعالى والمعنى الاول اظهر وابين * وقوله سبحانه وواعدناكم جانب الطور الايمن الآية وقصص هذه الآية ان الله تعالى لما انجى بنى اسرايل وغرّق فرعون وعد بنى اسرايل ان يسيروا الى جانب طور سيناء ليكلم فيه موسى ويناجيه بما فيه صلاحهم فلما اخذوا فى السير تعجل موسى عليه السلام ابتغاء مرضاة ربه حسبما ياتى بعد وقرأ جمهور الناس فيحل بكسر الحاء ويحلل بكسر اللام وقرأ الكساءي وحده بضمهما ومعنى الاول فيجب ويحق ومعنى الثانى فيقع وينزل وهوى معناه سقط اي هوى فى جهنم وفى سخط الله عافانا الله من ذلك ثم رجى سبحانه عباده بقوله وانى لغفار لمن تاب الآية والتوبة من ذنب تصح مع الاقامة على غيره وهي توبة مقيدة واذا تاب العبد ثم عاود الذنب بعينه بعد مدة فيحتمل عند حذاق اهل السنة ان لايعيد الله تعالى عليه الذنب الاول لان التوبة قدكانت محته ويحتمل ان يعيده لانها توبة لم يوف بها واضطرب الناس فى قوله سبحانه ثم اهتدى من حيث وجدوا الهدى ضمن الايمان والعمل فقالت فرقة ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه وقيل غير هذا والذى يقوى فى معنى ثم اهتدى ان يكون ثم حفظ معتقداته من ان تخالف الحق فى شيء من الاشياء فان الاهتداء على هذا الوجه غير الايمان وغير العمل ورب مومن عمل صالحا قد اوبقه عدم الاهتداء كالقدرية والمرجئة وسائر اهل البدع فمعنى ثم اهتدى ثم مشى فى عقائد الشرع على طريق قويم جعلنا الله منهم بمنه و فى حفظ المعتقدات ينحصر

معظم امر الشرع * وقوله سبحانـه ومـا اعجلك عن قومك يا موسى الآية وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما شرع فى النهوض ببنى اسرائيل الى جانب الطـور حيث كان الموعـد ان يكلم الله موسى بما لهم فيـه شرف العاجل والآجل رأى موسى عليـه السلام على جهة الاجتهاد ان يتقدم وحده مبادرا لامر الله سبحانه طلبـا لرضائه وحرصا على القـرب منـه وشوقا الى مناجاتـه واستخلف عليـهم هارون وقال لهم موسى تسيرون الى جانب الطور فلما انتهى موسى صلى الله عليـه وسلم وناجى ربـه زاده الله فى الاجل عشرا وحينئذ وقفه على معنى استعجاله دون القوم ليخبره موسى انهم على الاثر فيقع الاعلام له بما صنعوا واعلمه موسى انه انما استعجل طلب الرضى فاعلمه الله سبحانه انه قد فتن بنى اسرائيل اي اختبرهم بما صنع السامري ويحتمل ان يريد القيناهم فى فتنـة فلما اخبر الله تعالى موسى بما وقع رجع موسى الى قومـه غضبان اسفا وباقى الآية بين وقد تقـدم قصصها مستوفى وسمى العـذاب غضبـا من حيث هو عن الغضب وقرأ نافع وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بملكنا بضمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بملكنـا بكسرة فاما فتح الميم فهو مصدر من ملك والمعنى ما فعلنـا ذلك باننا ملكنـا الصواب ولا وفقنـا له بل غلبتنـا انفسنا واما كسر الميم فقد كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنـه يستعمـل فى الامور التى يبرمهـا الانسان ومعناهـا كمعنى التى قبلها والمصدر مضاف فى الوجهين الى الفاعـل وقولهم ولكنـا حملنـا اوزارا الآيـة سموها اوزارا من حيث هي ثقيلة الاجرام او من حيث تأثموا فى قذفهـا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي حملنـا بفتح الحاء والميم وقولهم فكذلك اي فكما قذفنـا نحن فكذلك ايضا القى السامري قال (ع) وهذه الالفاظ تقتضى ان العجل لم يصغـه السامري ثم اخبر تعالى عن فعـل السامري بقوله فاخرج لهم عجلا

ومعنى قوله جسدا اي شخصا لاروح فيه وقيل معناه جسدا لايتغذى والخوارصوت البقر قالت فرقة منهم ابن عباس كان هذا العجل يخور ويمشى وقيل غيرهذا * وقوله سبحانه فقالوا يعنى بنى اسرائيل هذا الهكم واله موسى فنسي موسى الهه وذهب يطلبه فى غير موضعه ويحتمل ان يكون قوله فنسي اخبارا من الله تعالى عن السامري اي فنسي السامري دينه وطريق الحق فالنسيان فى التاويل الاول بمعنى الذهول وفى الثانى بمعنى الترك (ت) وعلى التاويل الاول عول البخاري وهوالظاهر ولقولهم ايضا قبل ذلك اجعل لنا الها وقول هارون فاتبعونى اي الى الطورالذى واعدكم الله تعالى اليه واطيعوا امرى فيما ذكرته لكم فقال بنو اسرائيل حين وعظهم هارون وندبهم الى الحق لن نبرح عابدين لهذا الاله عاكفين عليه اي ملازمين له ويحتمل قوله الا تتبعني اي ببنى اسرائيل نحوجبل الطور ويحتمل قوله الا تتبعني اي الا تسير بسيرى وعلى طريقتى فى الاصلاح والتسديد * وقوله يبنؤم قالت فرقة ان هارون لم يكن اخا موسى الامن امه قال (ع) وهذا ضعيف وقالت فرقة كان شقيقه وانما دعاه بالام استعطافا برحم الام وقول موسى ما خطبك يا سامري هوكما تقول ما شأنك وما امرك لكن لفظة الخطب تقتضى انتهارا لان الخطب مستعمل فى المكاره وبصرت بضم الصاد من البصيرة وقرأت فرقة بكسرها فيحتمل ان يراد من البصيرة ويحتمل من البصر وقرأ حمزة والكساءي بما لم تبصروا بالتاء من فوق يريد موسى مع بنى اسرائيل و الرسول هنا هو جبريل عليه السلام والاثر هو تراب تحت حافر فرسه * وقوله فنبذتها اي على الحلي فكان منها ما ترى وكذلك سولت لى نفسى اي وكما وقع وحدث قربت لى نفسى وجعلت لى سؤلا واربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لايقتل بنى اسرائيل الا فى حد او بوحي فعاقبه باجتهاد نفسه بان ابعده ونحاه عن الناس وامر بنى

اسراءيل باجتنابه واجتناب قبيلته وان لايواكلوا ولاينا كحوا ونحو هذا وجعل له ان يقول مدة حياته لامساس اي لامماسة ولا اذاية وقرأ الجمهور لن تخلفه بفتح اللام اي لن يقع فيه خلف وقرأ ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام على معنى لن تستطيع الروغان والحيدة عن موعد العذاب ثم وبخه عليه السلام بقوله وانظر الى الهك الآية وظلت وظل معناه اقام يفعل الشيء نهارا ولكنها قد تستعمل فى الدائب ليلا ونهارا بمثابة طفق وقرأ ابن عباس وغيره لنحرقنه بضم الراء وفتح النون بمعنى لنبردنه بالمبرد وقرأ نافع وغيره لنحرقنه وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار وتحتمل بالمبرد وفى مصحف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه وهذه القراءة هي مع رواية من روى ان العجل صار لحما ودما وعلى هذه الرواية يتركب ان يكون هناك حرق بنار والا فاذا كان جمادا من ذهب ونحوه فانما هو حرق بمبرد اللهم الا ان تكون اذابة ويكون النسف مستعارا لتفريقه فى اليم مذابا وقرأت فرقة لننسفنه بكسر السين وقرأت فرقة بضمها والنسف تفريق الريح الغبار وكل ما هو مثله كتفريق الغربال ونحوه فهو نسف واليم غمر الماء من بحر اونهر وكل ما غمر الانسان من الماء فهو يم واللام فى قوله لنحرقنه لام قسم وقال مكي رحمه الله تعالى واسند ان موسى عليه السلام كان مع السبعين فى المناجات وحينئذ وقع امر العجل وان الله تعالى اعلم موسى بذلك فكتمه موسى عنهم وجاء بهم حتى سمعوا لغط بنى اسراءيل حول العجل فحينئذ اعلمهم قال (ع) وهذه رواية ضعيفة والجمهور على خلافها وانما تعجل موسى عليه السلام وحده فوقع امر العجل ثم جاء موسى وصنع ماصنع بالعجل ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة فى ذنب بنى اسراءيل وان يطلعهم ايضا على امر المناجات فكان لموسى عليه السلام نهضتان والله اعلم * وقوله سبحانه كذلك نقص عليك مخاطبة لنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم اي كما قصصنا عليك نبأ بنى اسراءيل كذلك نقص عليك من انباء ماقد سبق مدتك والذكر القرءان * وقوله من اعرض عنه يريد بالكفر به و زرقا قالت فرقة معناه يحشرون اول قيامهم سود الالوان زرق العيون فهو تشويه ثم يعمون بعد ذلك وهي مواطن وقالت فرقة اراد زرق الالوان وهي غاية فى التشويه لانهم يجيئون كلون الرماد ومهيع فى كلام العرب ان يسمى هذا اللون ازرق يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا اي يتخافت المجرمون بينهم اي يتسارون والمعنى انهم لهول المطلع وشدة ذهاب اذهانهم قد عزب عنهم قدر مدة لبثهم واختلف الناس فيما ذا فقالت فرقة فى دار الدنيا ومدة العمر وقالت فرقة فى الارض مدة البرزخ وامثلهم طريقة معناه اثبتهم نفسا يقول ان لبثتم الا يوما اي فهم فى هذه المقالة يظنون ان هذا قدر لبثهم * وقوله سبحانه و يسئلونك عن الجبال الآية السائل قيل رجل من ثقيف وقيل السائل جماعة من المومنين وروي ان الله تعالى يرسل على الجبال ريحا فتدككها حتى تكون كالعهن المنفوش ثم تتوالى عليها حتى تعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف والقاع هو المستوى من الارض والصفصف نحوه فى المعنى والامت مايعترى الارض من ارتفاع وانخفاض * وقوله لاعوج له يحتمل ان يريد الاخبار به اي لاشك فيه ولايخالف وجوده خبره ويحتمل ان يريد لامحيد لاحد عن اتباع الداعى والمشي نحو صوته والخشوع التطامن والتواضع وهو فى الاصوات استعارة بمعنى الخفاء والهمس الصوت الخفي الخافت وهو تخافتهم بينهم وكلامهم السر ويحتمل ان يريد صوت الاقدام وفى البخاري همسا صوت الاقدام انتهى ومن فى قوله الا من اذن له الرحمن يحتمل ان تكون للشافع ويحتمل ان تكون للمشفوع فيه * وقوله تعالى وعنت الوجوه معناه ذلت وخضعت والعانى الاسير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى امر النساء هن عوان عندكم وهذه

حالة الناس يوم القيامة قال (ص) وعنت من عنا يعنو ذل وخضع قال امية ابن ابى الصلت

مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

انتهى (ت) واحاديث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر ومن اعظمها شفاعة ارحم الراحمين سبحانه وتعالى ففى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد الخدري قال فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيئون وشفع المومنون ولم يبق الاارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة وفيه فيخرجون اكاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه الحديث وخرج ابو القاسم اسحاق ابن ابراهيم الختلي بسنده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا فرغ الله تعالى من القضاء بين خلقه اخرج كتابا من تحت العرش ان رحمتى سبقت غضبى وانا ارحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل اهل الجنة اوقال مثلي اهل الجنة قال واكبر ظنى انه قال مثلي اهل الجنة مكتوب بين اعينهم عتقاء الله انتهى من التذكرة * وقد خاب من حمل ظلما معنى خاب لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم * وقوله سبحانه ومن يعمل من الصالحات معادل لقوله من حمل ظلما والظلم والهضم هما متقاربان فى المعنى ولكن من حيث تناسقا فى هذه الآية ذهب قوم الى تخصيص كل واحد منهما بمعنى فقالوا الظلم ان تعظم عليه سيئاته وتكثر اكثرمما يجب والهضم ان ينقص من حسناته ويبخسها وكلهم قرأ فلا يخاف على الخبر غير ابن كثير فانه قرأ فلا يخف على النهي * وكذلك انزلناه قرءانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم بحسب

توقع البشر وترجيهم يتقون الله و يخشون عقابه فيومنون ويتذكرون نعمه عندهم
وما حذرهم من اليم عقابه هذا تاويل فرقة فى قوله اويحدث لهم ذكرا وقالت
فرقة معناه او يكسبهم شرفا و يبقى عليهم ايمانهم ذكرا صالحا فى
الغابرين * وقوله تعالى ولاتعجل بالقرءان الآية قالت فرقة سببها ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يخاف وقت تكليم جبريل له ان ينسى اول القرءان فكان
يقرأ قبل ان يستتم جبريل عليه السلام الوحي فنزلت فى ذلك وهي على هذا
فى معنى قوله لاتحرك به لسانك لتعجل به وقيل غير هذا * وقوله عز وجل
ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي الآية العهد هنا بمعنى الوصية والشيء الذى
عهد الى ءادم عليه السلام هوان لايقرب الشجرة (ت) قال عياض واما قوله
تعالى وعصى ءادم ربه فغوى اي جهل فان الله تعالى اخبر بعذره بقوله ولقد
عهدنا الى ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك
قال تعالى ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة (ت) وقيل غير هذا مما لا ارى
ذكره هنا ولله در ابن العربي حيث قال يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة
والسلام عما نسب اليهم الجهال ولكن البارى سبحانه بحكمه النافذ وقضائه
السابق اسلم ءادم الى الاكل من الشجرة متعمدا للاكل ناسيا للعهد فقال فى
تعمده وعصى ءادم وقال فى بيان عذره ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي
فتعلق العهد غير متعلق النسيان وجاز للمولى ان يقول فى عبده لحقه عصى
تثريبا و يعود عليه بفضله فيقول نسي تقريبا ولا يجوز لاحد منا ان يطلق ذلك
على ءادم او يذكره الا فى تلاوة القرءان او قول النبي صلى الله عليه
وسلم انتهى من الاحكام * وقوله سبحانه ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
المعنى ان لك ياءادم فى الجنة نعمة تامة لايصيبك جوع ولاعري ولا ظمأ ولابروز
للشمس يوذيك وهو الضحاء * وقوله فوسوس اليه (ص) عدي هنا بالى على

معنى انهى الوسوسة اليه وفى الاعراف باللام فقال ابوالبقاء لانه بمعنى ذكرلها انتهى
ثم اعلمهم سبحانه ان من اتبع هداه فلا يضل فى الدنيا ولا يشـــقى فى الآخرة
وان من اعرض عن ذكر الله وكفر به فان له معيشة ضنكا والضنك النكـد
الشاق من العيش والمنازل ونحو ذلـك وهل هذه المعيشة الضنـك تكـون
فى الدنيا او فى البرزخ او فى الآخرة اقوال (ت) ويحتمـل فى الجميـع قال
القرطبي قال ابو سعيد الخدري وابن مسعود ضنكا عـذاب القبر وروى ابوهريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون فيمن نزلت هذه الآية فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيـامة اعمى اتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسـوله
اعلم قال عـــذاب الكافر فى القبر والذى نفسى بيده انه ليسلـط عليـه تسعـة
وتسعون تنينا وهي الحيات لكل حية تسعة رءوس ينفخن فى جسمه ويلسعنـه
ويخدشنه الى يوم القيامة ويحشر من قبره الى موقفه اعمى انـتهى من التذكرة
فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه وان لم يصح فالصواب حمل الآية على
عمومها والله اعلم قال الثعلبي قال ابن عباس فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى
قال اجار الله تعالى تابع القرءان من ان يضل فى الدنيا او يشقى فى الآخرة وفى
لفظ ءاخر ضمن الله تعالى لمن قرأ القرءان الحديث وعنه من قرأ القرءان واتبع
مافيه هد اه الله تعالى من الضلالة ووقاه الله تعالى يوم القيامة سـوء الحساب
انتهى * وقوله سبحانه ونحشره يوم القيامه اعمى قالت فرقة وهـو عمى البصر
وهذا هو الاوجه واما عمى البصيرة فهو حاصل للكافر * وقوله سبحانه كذلك
اتتك ءاياتنا فنسيتها النسيان هنا هو الترك ولامدخل للذهول فى هذا الموضع
وتنسى ايضـا بمعنى تترك فى العذاب * وقوله سبحانه افلم يهد لهم كم اهلكنا
قبلهم من القرون المعنى افلم يبين لهم وقرأت فرقة نهد بالنون والمراد بالقرون
المهلكين عاد وثمود والطوائف التى كانت قريش تجوز على بلادهم فى المـرور

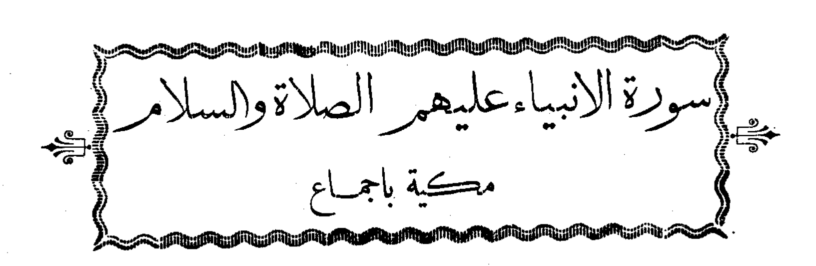
الى الشام وغيره ثم اعلم سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان العذاب كان يصير لهم لزاما لولا كلمة سبقت من الله تعالى فى تاخيره عنهم الى اجل مسمى عنده فتقدير الكلام ولولا كلمة سبقت فى التاخير واجل مسمى لكان العذاب لزاما كما تقول لكان حتما او واقعا لكنه قدم وأخر لتشابه رءوس الآي واختلف فى الاجل المسمى هل هو يوم القيامة او موت كل واحد منهم او يوم بدر وفى صحيح البخاري ان يوم بدر هو اللزام وهو البطشة الكبرى يعنى وقع فى البخاري من تفسير ابن مسعود وليس هو من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم * قال (ص) ولزاما اما مصدر واما بمعنى ملزم واجاز ابو البقاء ان يكون جمع لازم كقائم وقيام انتهى ثم امر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على اقوالهم انه ساحر انه كاهن انه كاذب الى غير ذلك * وقوله سبحانه وسبح بحمد ربك الآية قال اكثر المفسرين هذه اشارة الى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل العشاء واطراف النهار المغرب والظهر قال ابن العربي والصحيح ان المغرب من طرف الليل لا من طرف النهار انتهى من الاحكام وقالت فرقة ءاناء الليل المغرب والعشاء واطرف النهار الظهر وحدها ويحتمل اللفظ ان يراد به قول سبحان الله وبحمده وقالت فرقة فى الآية اشارة الى نوافل فمنها ءاناء الليل ومنها قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر (ت) ويتعذر على هذا التاويل قوله وقبل غروبها اذليس ذلك الوقت وقت نفل على ماعلم الا ان يتأول ماقبل الغروب بما قبل صلاة العصر وفيه بعد قال (ص) بحمد ربك فى موضع الحال اي وانت حامد انتهى وقرأ الجمهور لعلك ترضى بفتح التاء اي لعلك تثاب على هذه الاعمال بما ترضى به قال ابن العربي فى احكامه وهذه الآية تماثل قوله تعالى

ولسوف يعطيك ربك فترضى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس يعنى الصبح وقبل غروبها فافعلوا وفى الحديث الصحيح ايضا من صلى البردين دخل الجنة انتهى وقرأ الكساءي وابو بكر عن عاصم ترضى اي لعلك تعطى مايرضيك ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالاحتقار لشأن الكفرة والاعراض عن اموالهم وما فى ايديهم من الدنيا اذ ذلك منحسر عنهم صائر الى خزي والازواج الانواع فكانه قال الى ما متعنا به اقواما منهم واصنافا * وقوله زهرة الحياة الدنيا شبه سبحانه نعم هؤلاء الكفار بالزهر وهو ما اصفر من النور وقيل الزهر النور جملة لان الزهر له منظر ثم يضمحل عن قرب فكذلك مال هؤلاء ثم اخبر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان ذلك انما هو ليختبرهم به ويجعله فتنة لهم وامرا يجازون عليه اسوأ الجزاء لفساد تقلبهم فيه (ص) وزهرة منصوب على الذم او مفعول ثان لمتعنا مضمن معنى اعطينا اه ورزق الله تعالى الذى احله للمتقين من عباده خير وابقى اي رزق الدنيا خير ورزق الآخرة ابقى و بين انه خير من رزق الدنيا ثم امره سبحانه وتعالى بان يامر اهله بالصلاة ويمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها وتكفل هو تعالى برزقه لا اله الا هو واخبره ان العاقبة للمتقين بنصره فى الدنيا ورحمته فى الآخرة وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فى عمومه جميع امته وروي ان عروة بن الزبير رضي الله عنه كان اذا رأى شيأ من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله فدخله وهو يقول ولا تمدن عينيك الآية الى قوله وابقى ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله ويصلى وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ اهل داره لصلاة الليل ويصلى هو ويتمثل بالآية قال الداودي وعن عبد الله بن سلام قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق

اوشدة امرهم بالصلاة ثم قرأ وامر اهلك بالصلوة الى قوله للتقوى انتهى قال ابن عطاء الله فى التنوير واعلم ان هذه الآية علمت اهل الفهم عن الله تعالى كيف يطلبون رزقهم فاذا توقفت عليهم اسباب المعيشة اكثروا من الخدمة والموافقة وقرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق جل وعلا ثم قال وسمعت شيخنا ابا العباس المرسي رضي الله عنه يقول والله مارأيت العز الافى رفع الهمة عن الخلق واذكر رحمك الله هنا ولله العزة ولرسوله وللمومنين ففى العز الذى اعز الله به المومن رفع همته الى مولاه وثقته به دون من سواه واستحي من الله بعد ان كساك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان اوتطلب من غيره تعالى وجود احسان ثم قال ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان ذوى الكمال ومسبارالرجال وكما توزن الذوات كذلك توزن الاحوال والصفات انتهى ومن كتاب صفوة التصوف لابى الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ حديث بسنده عن ابن عمر قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله حدثني حديثا واجعله موجزا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع كانك تراه فان كنت لاتراه فانه يراك وايأس مما فى ايدى الناس تعش غنيا واياك وما يعتذر منه ورواه ابو ايوب الانصاري بمثله عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى * وقالوا لولا ياتينا محمد بءاية من ربه اي بعلامة مما اقترحناها عليه ثم وبخهم سبحانه بقوله اولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى اي ما فى التوراة وغيرها ففيها اعظم شاهد واكبر ءاية له سبحانه * وقوله سبحانه ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل ارسالنا اليهم محمدا لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الآية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك فى الفترة والمغلوب على عقله والصبي الصغير فيقول المغلوب على عقله رب

لم تجعل لى عقلا ويقول الصبي نحوه ويقول الهالك فى الفترة رب لم ترسل الي رسولا ولوجاءنى لكنت اطوع خلقك لك قال فترتفع لهم نار ويقال لهم ردوها فيردها من كان فى علم الله انه سعيد ويكع عنها الشقي فيقول الله تعالى اياي عصيتم فكيف برسلي لو اتتكم قال (ع) اما الصبي والمغلوب على عقله فبين امرهما واما صاحب الفترة فليس ككفار قريش قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لان كفار قريش وغيرهم ممن علم وسمع نبوءة ورسالة فى اقطار الارض ليس بصاحب فترة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ابى وابوك فى النار ورأى صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي فى النار الى غير هذا مما يطول ذكره وانما صاحب الفترة يفرض انه آدمي لم يطرأ اليه ان الله تعالى بعث رسولا ولادعا الى دين وهذا قليل الوجود الان يشذ فى اطراف الارض والمواضع المنقطعة عن العمران (ت) والصحيح فى هذا الباب ان اولاد المشركين فى الجنة واما اولاد المسلمين ففى الجنة من غير شك متفق عليه وقد اسند ابو عمر فى التمهيد من طريق انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربى فى اللاهين من ذرية البشر الايعذبهم فاعطانيهم قال ابو عمر انما قيل للا طفال اللا هون لان اعما لهم كاللهو واللعب من غير عقد ولاعزم ثم اسند ابو عمر عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اولاد المشركين خدم اهل الجنة قال ابو عمر وروى شعبة وسعيد بن ابى عروبة وابو عوانة عن قتادة عن ابى سراية العجلي عن سلمان قال اطفال المشركين خدم اهل الجنة وذكر البخاري حديث الرؤيا الطويل وفيه واما الرجل الطويل الذى فى الروضة فانه ابراهيم عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقيل يارسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين وفى رواية والصبيان حوله اولاد الناس

وظاهره العموم فى جميع اولاد الناس انتهى من التمهيد والذل والخزي مقترنان بعذاب الآخرة * وقوله قل كل اي منا ومنكم متربص والتربص التأنى والصراط الطريق وهذا وعيد بين والله الموفق والهادى الى الرشاد بفضله



* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم الآية روي ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبنى جدارا فمر به آخر يوم نزول هذه السورة فقال الذى كان يبنى الجدار ماذا نزل اليوم من القرءان فقال الآخر نزل اليوم اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون فنفض يديه من البنيان وقال والله لا بنيت قال ابو بكر بن العربي قال لى شيخى فى العبادة لايذهب لك الزمان * فى مصاولة الاقران * ومواصلة الاخوان * ولم ار للخلاص شيأ اقرب من طريقين اما ان يغلق الانسان على نفسه بابه واما ان يخرج الى موضع لا يعرف فيه فان اضطر الى مخالطة الناس فليكن معهم ببدنه ويفارقهم بقلبه ولسانه فان لم يستطع فبقلبه ولا يفارق السكوت قال القرطبي ولابى سليمان الخطابي فى هذا المعنى

انست بوحدتى ولزمت بيتي * فدام الانس لى ونمى السرور
وادبنى الزمان فلا ابالى * بأنى لا ازار ولا ازور

واست بسائل مادمت حيا * اسار الجيش ام ركب الامير

انتهى من التذكرة * وقوله اقترب للناس حسابهم عام فى جميع الناس وان كان المشار اليه فى ذلك الوقت كفار قريش ويدل على ذلك ما ياتى بعد من الآيات قال (ص) اقترب بمعنى الفعل المجرد وهو قرب وقيل اقترب ابلغ للزيادة وهم فى غفلة الواو للحال انتهى * وقوله وهم فى غفلة معرضون يريد الكفار وياخذ عصاة المومنين من هذه الالفاظ قسطهم (ت) ايها الاخ اشعر قلبك مهابة ربك فاليه مئالك * وتأهب للقدوم عليه فقد آن ارتحالك * انت فى سكرة لذاتك * وغشية شهواتك * واغماء غفلاتك * ومقراض الفناء يعمل فى ثوب حياتك * ويفصل اجزاء عمرك جزءا جزءا فى سائر ساعاتك * كل نفس من انفاسك جزء منفصل من جملة ذاتك * وبذهاب الاجزاء تذهب الجمل انت جملة توخذ آحادها وابعاضها الى ان تستوفي سائرها عساكر الاقضية والاقدار محدقة باسوار الاعمار * تهدمها بمعاول الليل والنهار * فلو اضاء لنا مصباح الاعتبار * لم يبق لنا فى جميع اوقاتنا سكون ولا قرار * انتهى من الكلم الفارقية والحكم الحقيقية * وقوله ما ياتيهم من ذكر وما بعده مختص بالكفار والذكر القرآن ومعناه محدث نزوله لاهو فى نفسه * وقوله وهم يلعبون جملة فى موضع الحال اي استماعهم فى حال لعب فهو غير نافع ولا واصل الى النفس * وقوله لاهية حال بعد حال واختلف النحاة فى اعراب قوله واسروا النجوى الذين ظلموا فمذهب سيبويه رحمه الله تعالى ان الضمير فى اسروا فاعل وان الذين بدل منه وقال ليس فى القرآن لغة من قال اكلونى البراغيث ومعني اسروا النجوى تكلموا بينهم فى السر ومناجات بعضهم لبعض وقال ابو عبيدة اسروا اظهروا وهو من الاضداد ثم

بين تعالى الامر الذى تناجوا به وهو قول بعضهم لبعض على جهة التوبيخ بزعمهم افتاتون السحر المعنى افتتبعون السحروانتم تبصرون ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم وللناس جميعا قل ربي يعلم القول في السماء والارض اي يعلم اقوالكم هذه وهو بالمرصاد فى المجازاة عليها ثم عدد سبحانه جميع ما قالته طوائفهم ووقع الاضراب بكل مقالة عن المتقدمة لها ليبين اضطراب امرهم فقال تعالى بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر والاضغاث الاخلاط ثم حكى سبحانه اقتراحهم ءاية تضطرهم كناقة صالح وغيرها وقولهم كما ارسل الاولون دال على معرفتهم باتيان الرسل الامم المتقدمة * وقوله سبحانه ما ءامنت قبلهم فيه محذوف يدل عليه المعنى تقديره والآية التى طلبوها عادتنا ان القوم ان كفروا بها عاجلناهم وما ءامنت قبلهم قرية من القرى التى نزلت بها هذه النازلة أفهذه كانت تومن * وقوله اهلكناها جملة فى موضع الصفة لقرية والجمل اذا اتبعت النكرات فهي صفات لها واذا اتبعت المعارف فهي احوال منها * وقوله سبحانه وما ارسلنا قبلك الارجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون هذه الآية رد على من استبعد منهم ان يبعث الله بشرا رسولا والذكر هو كل ما ياتى من تذكير الله عباده فاهل القرءان اهل ذكر واما المحال على سؤالهم فى هذه الآية فلا يصح ان يكونوا اهل القرءان فى ذلك الوقت لانهم كانوا خصومهم وانما احيلوا على سؤال احبار اهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لكفارقريش على ترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام قيل الجسد من الاحياء مالا يتغذى وقيل الجسد يعم المتغذي من الاجسام وغير المتغذى فجعلناهم جسدا على التاويل الاول

منفي وعلى الثانى موجب والنفي واقع على صفته * وقوله سبحانه ثم صدقناهم الوعد الآية هذه آية وعيد * وقوله ومن نشاء يعنى من المومنين والمسرفون الكفار ثم وبخهم تعالى بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا يعنى القرءان فيه ذكركم اي شرفكم ءاخر الدهر وفى هذا تحريض لهم ثم اكد التحريض بقوله افلا تعقلون وكم للتكثير وقصمنا معناه اهلكنا واصل القصم الكسر فى الاجرام فاذا استعير للقوم والقرية ونحو ذلك فهو ما يشبه الكسر وهو اهلاكهم وانشأنا اي خلقنا وبثثنا امة اخرى غير المهلكة * وقوله فلما احسوا وصف عن حال قرية من القرى المجملة اولا قيل كانت باليمن تسمى حضور بعث الله تعالى الى اهلها رسولا فقتلوه فارسل الله تعالى عليهم بختنصر صاحب بنى اسراءيل فهزموا جيشه مرتين فنهض فى الثالثة بنفسه فلما هزمهم واخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ويحتمل ان لا يريد بالآية قرية بعينها وان هذا وصف حال كل قرية من القرى المعذبة اذا احسوا العذاب من اي نوع كان اخذوا فى الفرار واحسوا باشروه بالحواس (ص) اذا هم منها يركضون اذا الفجائية وهي وما بعدها جواب لما انتهى * وقوله لا تركضوا يحتمل على الرواية المتقدمة ان يكون من قول رجال بختنصر على جهة الخداع والاستهزاء بهم فلما انصرفوا راجعين امر بختنصر ان ينادى فيهم ياثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم قال (ع) وهذا كله مروي ويحتمل ان يكون لا تركضوا الى ءاخر الآية من كلام ملائكة العذاب على جهة الهزء بهم * وقوله حصيدا اي بالعذاب كحصيد الزرع بالمنجل وخامدين اي موتى مشبهين بالنار اذا طفئت ثم وعظ سبحانه السامعين بقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين * وقوله سبحانه لو اردنا ان نتخذ لهوا الآية ظاهر الآية الرد على من قال من الكفار فى امر مريم

وما ضارعـه من الكفر تعالى الله عن قول المبطلـين وان فى قوله ان كنا فاعلين يحتمل ان تكون شرطية ويحتمل ان تكون نافية بمعنى ما كنا فاعلـين وكل هذا قد قيل والحق عام فى القرءان والرسـالة والشرع وكل ما هو حق فيدمغـه معناه يصيب دماغـه وذلك مهلك فى البشر فكذلك الحق يهلك الباطل والويل الخزي وقيل هو اسم واد فى جهنم وانه المـراد فى هذه الآيـة وهـذه مخاطبة للكفار الذين وصفوا الله عز وجل بما لايجـوز عليه تعالى الله عن قولهم * وقوله ومن عـنده الآية عنـد هنا ليست فى المسافات وانما هي تشريف فى المـنزلة ولا يستحسرون اي لا يكـلون والحسـير من الابـل المعيى * وقوله لا يفترون وفى الترمذي عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى ارى مالا ترون واسمع مالا تسمعون اطت السـماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله الحديث قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وفى البـاب عن عائشـة وابن عبـاس وانس انتهى من اصل الترمذي اعنى جامعه * وقوله سبحانه ام اتخذوا ءالهة من الارض هم ينشرون اي يحيون غيرهم ثم بـين تعـالى امر التمانع بقوله لوكان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا وقـد تقدم ايضاح ذلك عنـد قوله تعالى اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا * وقوله هذا ذكر من معى وذكر من قبلى يحتمل ان يريد بالاشارة بقوله هذا الى جميـع الكتب المـنزلة قديمها وحديثها انها بـين ان الله الخالق واحد لاشريك له ويحتمـل ان يريد بقوله هـذا القرءان والمعنى فيه نبأ الاولين والآخـرين فنص اخبـار الاولين وذكـر الغيـوب فى امورهـم حسبماهي فى الكتب المتـقدمة وذكر الآخرين بالدعوة وبيـان الشرع لهم ثم حكم عليهم سبحانـه بان اكثرهم لايعلمـون الحـق لاعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون لانهم لايعلمون بـل المعني فهم معرضون ولذلك

لايعلمون الحق وباقي الآية بين ثم بين سبحانه نوعا آخر من كفرهم بقوله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الآية كقول بعضهم اتخذ الملائكة بناتا وكما
قالت النصارى في عيسى بن مريم واليهود في عزير * وقوله سبحانه بل
عباد مكرمون عبارة تشمل الملائكة وعيسى وعزير وقال (ص) بل
اضراب عن نسبة الولد اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وعباد خبر
مبتدإ محذوف اي هم عباد قاله ابو البقاء انتهى * وقوله سبحانه
لايسبقونه بالقول عبارة عن حسن طاعتهم ومراعاتهم لامتثال الامر ثم اخبر
تعالى انهم لايشفعون الا لمن ارتضى الله ان يشفع له قال بعض المفسرين
لاهل لااله الاالله والمشفق المبالغ في الخوف المحترق النفس من الفزع
على امرما * وقوله سبحانه ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية المعنى
ومن يقل منهم كذا ان لو قاله وليس منهم من قال هذا وقال بعض المفسرين
المراد بقوله ومن يقل الآية ابليس وهذا ضعيف لان ابليس لم يروقط انه ادعى
الربوبية ثم وقفهم سبحانه على عبرة دالة على وحدانيته جلت قدرته فقال
اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا والرتق الملتصق
بعضه ببعض الذى لا صدع فيه ولا فتح ومنه امرأة رتقاء واختلف في معنى
قوله كانتا رتقا ففتقناهما فقالت فرقة كانت السماء ملتصقة بالارض ففتقها
الله بالهواء وقالت فرقة كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والارض
كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا فعلى هذين القولين فالرؤية الموقف عليها رؤية
قلب وقالت فرقة السماء قبل المطر رتق والارض قبل النبات رتق ففتقهما
الله تعالى بالمطر والنبات كما قال تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات
الصدع وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس بين
ويناسب قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي اي من الماء الذى كان عن

الفتق فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار بها وقالت فرقة السماء والارض رتق بالظلمة ففتقهما الله بالضوء والرؤية على هذين القولين رؤية العين وبا قى الآية بين قال (ص) قال الزجاج السموات جمع اريد به الواحد ولذا قال كانتا رتقا وقال الحوفي قال كانتا والسموات جمع لانه اراد الصنفين انتهى * وقوله سقفا محفوظا الحفظ هنا عام فى الحفظ من الشيطان ومن الوهي والسقوط وغير ذلك من الآفات والفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة ويسبحون معناه يتصرفون وقالت فرقة الفلك موج مكفوف ورأوا قوله يسبحون من السباحة وهي العوم * وقوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد الآية وتقدير الكلام افهم الخالدون ان مت * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت الآية موعظة بليغة لمن وفق قال ابو نعيم كان الثوري رضي الله عنه اذا ذكر الموت لاينتفع به اياما انتهى من التذكرة للقرطبي قال عبد الحق فى العاقبة وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بذكر الموت واعاد القول فيه تهويلا لامره وتعظيما لشانه ثم قال واعلم ان كثرة ذكر الموت يردع عن المعاصى ويلين القلب القاسي قال الحسن مارأيت عاقلا قط الا وجدته حذرا من الموت حزينا من اجله ثم قال واعلم ان طول الامل يكسل عن العمل ويورث التواني ويخلد الى الارض ويميل الى الهوى وهذا امر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطالب صاحبه بالبرهان كما ان قصره يبعث على العمل ويحمل على المبادرة ويحث على المسابقة قال النبي صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد ذكره القاضى ابو الحسن بن صخر فى الفوائد انتهى * ونبلوكم معناه نختبركم وقدم الشر على لفظة الخير لان العرب من عادتها ان تقدم الاقل والاردى ومنه قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فبدأ تعالى فى تقسيم امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

بالظالم وفتنة معناه امتحانا * وقوله تعالى واذا رءاك الذين كفروا كابي جهل وغيره وان بمعنى ماوفى الكلام حذف تقديره يقولون أهذا الذى وقال (ص) ان نافية والظاهر انها وما دخلت عليه جواب اذا انتهى * وقوله سبحانه وهم بذكر الرحمن هم كافرون روي ان الآية نزلت حين انكروا هذه اللفظة وقالوا مانعرف الرحمن الا فى اليمامة وظاهر الكلام ان الرحمن قصد به العبارة عن الله عز وجل ووصف سبحانه الانسان الذى هو اسم جنس بانه خلق من عجل وهذا على جهة المبالغة كما تقول للرجل البطال انت من لعب ولهو * وقوله سبحانه لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار الآية حذف جواب لوايجازا لدلالة الكلام عليه وتقدير المحذوف لما استعجلوا ونحوه وذكر الوجوه لشرفها من الانسان ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار لجميع ابدانهم والضمير فى قوله بل تاتيهم بغتة للساعة التى تصيرهم الى العذاب ويحتمل ان يكون للنار وينظرون معناه يوخرون وحاق معناه حل ونزل ويكلوكم اي يحفظكم * وقوله سبحانه ولا هم منا يصحبون يحتمل تاويلين احدهما يجارون ويمنعون والآخر ولا هم منا يصحبون بخير وتزكية ونحو هذا * وقوله سبحانه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها الآية ناتي الارض معناه بالقدرة ونقص الارض اما ان يريد بتخريب المعمور واما بموت البشر وقال قوم النقص من الاطراف موت العلماء ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم متوعدا لهؤلاء الكفرة بقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك الآية والنفحة الخطرة والمسة والمعنى ولئن مستهم صدمة عذاب ليندمن وليقرن بظلمهم وباقى الآية بين وقال الثعلبي نفحة اي طرف قاله ابن عباس انتهى * وقوله سبحانه ليوم القيامة قال ابوحيان اللام للظرفية بمعنى فى انتهي قال القرطبي فى تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب

كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة واختلف فى الميزان والحوض ايهما قبل الآخر قال ابو الحسن القابسي والصحيح ان الحوض قبل الميزان وذهب صاحب القوت وغيره الى ان حوض النبي صلى الله عليه وسلم انما هو بعد الصراط قال القرطبي والصحيح ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثرا وان الحوض الذى يذاد عنه من بدل وغير يكون فى الموقف قبل الصراط وكذا احياض الانبياء عليهم الصلاة والسلام تكون فى الموقف على ما ورد فى ذلك من الاخبار انتهى والفرقان الذى اوتي موسى وهارون قيل التوراة وهي الضياء والذكر وقالت فرقة الفرقان هو ما رزقهما الله تعالى من نصر وظهور على فرعون وغير ذلك والضياء التوراة والذكر بمعنى التذكرة * وقوله سبحانه وهذا ذكر مبارك يعنى القرءان ثم وقفهم سبحانه تقريرا وتوبيخا هل يصح لهم انكار بركته وما فيه من الدعاء الى الله تعالى والى صالح العمل * وقوله سبحانه ولقد آتينا ابراهيم رشده الآية الرشد عام اي فى جميع المراشد وانواع الخيرات وقال الثعلبي رشده اي توفيقه وقيل صلاحه انتهى * وقوله وكنا به عالمين مدح لابراهيم عليه السلام اي عالمين بما اهل له وهذا نحو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والتماثيل الاصنام * وقوله وتالله لاكيدن اصنامكم الآية روي انه حضرهم عيد لهم فعزم قوم منهم على ابراهيم فى حضوره طمعا منهم ان يستحسن شيأ من احوالهم فمشى معهم فلما كان فى الطريق ثني عزمه على التخلف عنهم فقعد وقال لهم انى سقيم فمر به جمهورهم ثم قال فى خلوة من نفسه وتالله لاكيدن اصنامكم فسمعه قوم من ضعفتهم ممن كان يسير فى ءاخر الناس * وقوله بعد ان تولوا مدبرين معناه الى عيدكم ثم انصرف ابراهيم عليه السلام الى بيت اصنامهم فدخله ومعه قدوم فوجد الاصنام قد وقفت اكبرها اول ثم

الذى يليه فالذى يليه وقد جعلوا اطعمتهم فى ذلك اليوم بين يدي الاصنام تبركا لينصرفوا من ذلك العيد الى اكله فجعل عليه السلام يقطعها بتلك القدوم ويهشمها حتى افسد اشكالها حاشا الكبير فانه تركه بحاله وعلق القدوم فى يده وخرج عنها وجذاذا معناه قطعا صغارا والجذ القطع والضمير فى اليه اظهر ما فيه انه عائد على ابراهيم اي فعل هذا كله ترجيا منه ان يعقب ذلك منهم رجعة اليه والى شرعه ويحتمل ان يعود على كبيرهم * وقوله سبحانه قالوا من فعل هذا الآية المعنى فانصرفوا من عيدهم فرأوا ما حدث بآلهتهم فقالوا من فعل هذا بئالهتنا وقالوا الثانى الضمير فيه للقوم الضعفة الذين سمعوا قول ابراهيم تالله لاكيدن اصنامكم * وقوله على اعين الناس يريد فى الحفل وبمحضر الجمهور وقوله يشهدون يحتمل ان يريد الشهادة عليه بفعله او بقوله لاكيدن ويحتمل ان يريد به المشاهدة اي يشاهدون عقوبته او غلبته المؤدية الى عقوبته وقوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا على معنى الاحتجاج عليهم اي انه غار من ان يعبد هو وتعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك هي اختى وكانت مقالاته هذه فى ذات الله وذهبت فرقة الى ان معنى الحديث لم يكذب ابراهيم اي لم يقل كلاما ظاهره الكذب اويشبه الكذب وذهب الفراء الى جهة اخرى فى التاويل بان قال قوله فعله ليس من الفعل وانما هو فعله على جهة التوقع حذف اللام على قولهم عله بمعنى لعله ثم خففت اللام قال (ع) وهذا تكلف (ت) قال عياض واعلم اكرمك الله ان هذه الكلمات كلها خارجة عن الكذب لافى القصد ولافى غيره وهي داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب فاما قوله بل فعله كبيرهم

هذا فانه علق خبره بشرط النطق كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه انتهى ثم ذكر بقية التوجيه وهو واضح لانطيل بسرده * وقوله سبحانه فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون اي فى توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وانتم معكم من تسئلون ثم رأوا ببديهة العقل ان الاصنام لا تنطق فقالوا لابراهيم حين نكسوا فى حيرتهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فوجد ابراهيم عليه السلام عند هذه المقالة موضع الحجة ووقفهم موبخا لهم بقوله افتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيأ الآية ثم حقر شأنهم وشأنها بقوله اف لكم ولما تعبدون من دون الله الآية (ص) وقولهم لقد علمت جواب قسم محذوف معمول لقول محذوف فى موضع الحال اي قائلين لقد علمت انتهى وقال الثعلبي فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بعقولهم فقالوا مانراه الاكما قال انكم انتم الظالمون فى عبادتكم الاصنام الصغار مع هذا الكبير اه وما قدمناه عن (ع) هوالاوجه وأف لفظة تقال عند المستقذرات من الاشياء ويستعار ذلك للمستقبح من المعانى ثم اخذتهم العزة بالاثم وانصرفوا الى طريق الغلبة والغشم فقالوا حرقوه روي ان قائل هذه المقالة هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروي انه لما اجمع رأيهم على تحريقه حبسه نمرود الملك لعنه الله وامر بجمع الحطب حتى اجتمع منه ماشاء الله ثم اضرم نارا فلما ارادوا طرح ابراهيم فيها لم يقدروا على القرب منها فجاءهم ابليس فى صورة شيخ فقال لهم انا اصنع لكم ءالة يلقى بها فعلمهم صنعة المنجنيق ثم اخرج ابراهيم عليه السلام فشد رباطا ووضع فى كفة المنجنيق ورمي به فتلقاه جبريل عليه السلام فى الهواء فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى (ت) قال ابن عطاء الله فى التنوير

وكن ايها الاخ ابراهيميا اذ زج بـه فى المنجنيق فتعرض له جبريل فقال الك
حاجة فقال اما اليك فلا واما الى ربى فبلى قال فاسئله قال حسبى من سؤالى
علمه بحالى فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم
يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال بل رأى ربه تعالى اقرب اليه من جبريل
ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله
انتهى * وقوله سبحانه قلنا يانار كونى بردا وسلاما قال بعض العلماء فيما
روي ان الله تعالى لولم يقل وسلاما لهلك ابراهيم من برد النار وروي انه لما
وقع فى النار سلمه الله واحترق الحبل الذى ربط به وقد اكثر الناس فى
قصصه فاختصرناه لعدم صحة اكثره وروي ان ابراهيم عليه السلام كان له
بسط وطعام فى تلك النار كل ذلك من الجنة وروي ان العيدان اينعت واثمرت
له هناك ثمارها وروي انهم قالوا ان هذه نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها
شيخا منهم فاحترق والله اعلم بما كان من ذلك (ت) قال صاحب غاية
المغنم فى اسم الله الاعظم وهو من الائمة المحدثين وعن الامام احمد بن حنبل
رحمه الله انه يكتب للمحموم ويعلق عليه بسم الله الرحمن الرحيم ياالله
ياالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم
وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل اشف
حاملها بحولك وقوتك وجبروتك ياارحم الراحمين انتهى * وقوله وسلاما
معناه وسلامة والكيد هو ما ارادوه من حرقه * وقوله سبحانه ونجيناه
ولوطا الآية روي ان ابراهيم عليه السلام لما خرج من النار احضره نمرود
وقال له فى بعض قوله ياابراهيم اين جنود ربك الذى تزعم فقال له عليه
السلام سيريك فعل اضعف جنوده فبعث الله تعالى على نمرود واصحابه سحابة
من بعوض فاكلتهم عن آخرهم ودوابهم حتى كانت العظام تلوح بيضاء

ودخلت منها بعوضة فى رأس نمرود فكان رأسه يضرب بالعيدان وغيرها ثم هلك منها وخرج ابراهيم وابن اخيه لوط عليهما السلام من تلك الارض مهاجرين وهي كُوثى من العراق ومع ابراهيم ابنت عمه سارة زوجته وفى تلك السفرة لقي الجبار الذى رام اخذها منه واختلف فى الارض التى بورك فيها ونحا اليها ابراهيم ولوط عليهما السلام فقالت فرقة هي مكة وقال الجمهور هي الشام فنزل ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالموتكفة والنافلة العطية وباقى الآية بين وخبائث قرية لوط هي اتيان الذكور وتضارطهم فى مجالسهم الى غير ذلك من قبيح افعالهم * وقوله سبحانه فى نوح عليه السلام ونصرناه من القوم الآية لما كان جل نصرته النجاة وكانت غلبة قومه بامر اجنبي منه حسن ان يقول نصرناه من ولاتتمكن هنا على قال (ص) علي نصرناه بمن لتضمنه معنى نجينا وعصمنا ومنعنا وقال ابو عبيدة من بمعنى على (ت) وهذا اولى واما الاول ففيه نظر لان تلك الالفاظ المقدمة كلها غير مرادفة لنصرنا انتهى (ت) وكذا يظهر من كلام ابن هشام ترجيح الثانى وذكر هؤلاء الانبياء عليهم السلام ضرب مثل لقصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ونجاة الانبياء وهلاك مكذبيهم ضمنها توعد لكفار قريش * وقوله تعالى وداود وسليمان المعنى واذكر داود وسليمان هكذا قدره جماعة من المفسرين ويحتمل ان يكون المعنى وءاتينا داود والنفش هو الرعي ليلا ومضى الحكم فى الاسلام بتضمين ارباب النعم ما افسدت بالليل لان على اهلها ان يثقفوها وعلى اهل الزروع حفظها بالنهار هذا هو مقتضى الحديث فى ناقة ابن عازب وهو مذهب مالك وجمهور الامة وفى كتاب ابن سحنون ان الحديث انما جاء فى امثال المدينة التى هي حيطان محدقة واما البلاد التى هي زروع متصلة غير محظرة

فيضمن ارباب النعم ما افسدت بالليل والنهار قال (ص) والضمير فى قوله لحكمهم يعود على الحاكمين والمحكوم له وعليه ابو البقاء وقيل الضمير لداود وسليمان عليهما السلام فقط وجمع لان الاثنين جمع انتهى قال ابن العربي فى احكامه المواشى على قسمين ضوار وغير ضوار وهكذا قسمها مالك فالضوارى هي المعتادة باكل الزرع والثمار فقال مالك تغرب وتباع فى بلد لا زرع فيه ورواه ابن القاسم فى الكتاب وغيره قال ابن حبيب وان كره ذلك اربابها وكان قول مالك فى الدابة التى ضريت بفساد الزرع ان تغرب وتباع واما ما يستطاع الاحتراز منه فلا يومر صاحبه باخراجه عن ملكه وهذا بين انتهى * وقوله يسبحن اي يقلن سبحان الله هذا قول الاكثر وذهبت فرقة منهم منذر بن سعيد الى انه بمعنى يصلين معه بصلاته واللبوس فى اللغة هو السلاح فمنه الدرع وغيره قال (ص) ولبوس معناه ملبوس كالركوب بمعنى المركوب قال الشاعر

عليها اسود ضاريات لبوسهم * سوابغ بيض لاتخرقها النبل

ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح هذا على قراءة النصب وقرأت فرقة الريح بالرفع ويروى ان الريح العاصفة كانت تهب على سرير سليمان الذى فيه بساطه وقد مد حول البساط بالخشب والالواح حتى صنع سريرا يحمل جميع عسكره واقواته فتقله من الارض فى الهواء ثم تتولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله الى حيث اراد سليمان قال (ص) والعصف الشدة والرخاء اللين انتهى * وقوله تعالى الى الارض التى باركنا فيها اختلف فيها فقالت فرقة هي الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه وقد قال بعضهم ان العاصفة هي فى القفول على عادة البشر والدواب فى الاسراع الى الوطن وان الرخاء كانت فى البدأة حيث اصاب اي حيث يقصد لان ذلك

وقت تأن وتدبير وتقلب رأي ويحتمل ان يريد الارض التي يسير اليها سليمان كائنة ماكانت وذلك انه لم يكن يسير الى ارض الا اصلحها الله تعالى به صلى الله عليه وسلم ولابركة اعظم من هذا والغوص الدخول فى الماء والارض والعمل دون ذلك البنيان وغيره من الصنائع والخدمة ونحوها وكنا لهم حافظين قيل معناه من افسادهم ماصنعوه وقيل غير هذا (ت) وقوله سبحانه وانت ارحم الراحمين هذا الاسم المبارك مناسب لحال ايوب عليه السلام وقد روى اسامة بن زيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول ياارحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك فاسئل رواه الحاكم فى المستدرك وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول ياارحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل فقد نظر الله اليك رواه الحاكم انتهى من السلاح وفى قصص ايوب عليه السلام طول واختلاف وتلخيص بعض ذلك ان ايوب عليه السلام اصابه الله تعالى باكلة فى بدنه فلما عظمت وتقطع بدنه اخرجه الناس من بينهم ولم يبق معه غير زوجته ويقال كانت بنت يوسف الصديق عليه السلام قيل اسمها رحمة وقيل فى ايوب انه من بنى اسراءيل وقيل انه من الروم من قرية عيصو فكانت زوجته تسعى عليه وتاتيه بما ياكل وتقوم عليه ودام عليه ضره مدة طويلة وروي ان ايوب عليه السلام لم يزل صابرا شاكرا لايدعو فى كشف مابه حتى ان الدودة تسقط منه فيردها فمر به قوم كانوا يعادونه فشمتوا به فحينئذ دعا ربه سبحانه فاستجاب له وكانت امرأته غائبة عنه فى بعض شأنها فانبع الله تعالى له عينا وامر بالشرب منها فبرئ باطنه وامر بالاغتسال فبرئ ظاهره ورد الى افضل جماله واوتي باحسن ثياب وهب عليه

رجل من جراد من ذهب فجعل يحتفن منه فى ثوبه فناداه ربه سبحانه وتعالى يا ايوب الم اكن اغنيتك عن هذا فقال بلى يارب ولكن لاغنى بى عن بركتك فبينما هو كذلك اذ جاءت امرأته فلم تره فى الموضع فجزعت وظنت انه ازيل عنه فجعلت تتوله فقال لها ماشأنك ايتها المرأة فهابته لحسن هيئته وقالت انى فقدت مريضالى فى هذا الموضع ومعالم المكان قد تغيرت وتأملته فى اثناء المقاولة فرأت ايوب فقالت له انت ايوب فقال لها نعم واعتنقها وبكى فروي انه لم يفارقها حتى اراه الله جميع ماله حاضرا بين يديه واختلف الناس فى اهله وولده الذين اتاه الله فقيل كان ذلك كله فى الدنيا فرد الله عليه ولده باعيانهم وجعل مثلهم له عدة فى الآخرة وقيل بل اوتي جميع ذلك فى الدنيا من اهل ومال (ت) وقد قدم (ع) فى صدر القصة ان الله سبحانه اذن لابليس لعنه الله فى اهلاك مال ايوب وفى اهلاك بنيه وقرابته ففعل ذلك اجمع والله اعلم بصحة ذلك ولو صح لوجب تاويله * وقوله سبحانه وذكرى للعابدين اي وتذكرة وموعظة للمومنين ولا يعبد الله الا مومن * وقوله سبحانه واسماعيل وادريس المعنى واذكر اسماعيل وقوله سبحانه وذا النون اذ ذهب مغاضبا التقدير واذكر ذا النون قال السهيلي لما ذكر الله تعالى يونس هنا فى معرض الثناء قال وذا النون وقال فى الآية الاخرى ولا تكن كصاحب الحوت والمعنى واحد ولكن بين اللفظين تفاوت كثير فى حسن الاشارة الى الحالتين وتنزيل الكلام فى الموضعين والاضافة بذى اشرف من الاضافة بصاحب لان قولك ذو يضاف بها الى التابع وصاحب يضاف بها الى المتبوع انتهى والنون الحوت والصاحب يونس ابن متى عليه السلام وهو نبي من اهل نينوى * وقوله مغاضبا قيل انه غاضب قومه حين طال عليه امرهم وتعنتهم فذهب فارا بنفسه وقد كان الله تعالى امره

بملازمتهم والصبر على دعائهم فكان ذلك ذنبه اي فى خروجه عن قومه بغير اذن ربه (ت) قال عياض والصحيح فى قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا انه مغاضب لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين فكيف بالانبياء عليهم السلام وفرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه بما وعدهم به من العذاب * وقوله سبحانه فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه وقيل معناه نقدر عليه ماصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وذلك كما قيل لحسن ظنه بربه انه لايقضى عليه بعقوبة وقال عياض فى موضع آخر وليس فى قصة يونس عليه السلام نص على ذنب وانما فيها ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله تعالى عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وهذا كله ليس فيه نص على معصية انتهى * وقوله سبحانه فظن ان لن نقدر عليه قالت فرقة معناه ان لن نضيق عليه فى مذهبه من قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرأ الزهري نقدر بضم النون وفتح القاف وشد الدال ونحوه عن الحسن وروي ان يونس عليه السلام سجد فى جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان فى قعر البحر * وقوله انى كنت من الظالمين يريد فيما خالف فيه من ترك ملازمة قومه والصبر عليهم هذا احسن الوجوه فاستجاب الله له (ت) وليس فى هذه الكلمة مايدل انه اعترف بذنب كما اشار اليه بعضهم وفى الحديث الصحيح دعوة اخى ذى النون فى بطن الحوت لااله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين مادعا بها عبد مومن اوقال مسلم الا استجيب له الحديث انتهى وعن سعد ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى لا اله الا انت

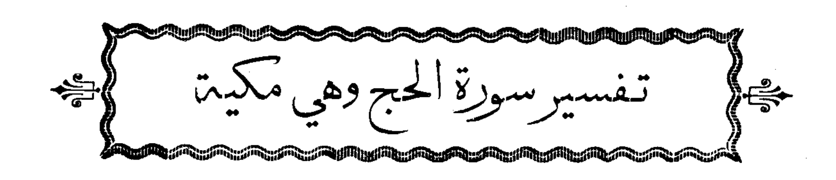
سبحانك انى كنت من الظالمين ايما مسلم دعا بها فى مرضه اربعين مرة
فمات فى مرضه ذلك اعطي اجر شهيد وان برئ برئ وقد غفر الله له جميع
ذنوبه اخرجه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح وذكر صاحب
السلاح ايضا عن سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعوة ذى النون اذ دعا وهو فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى
كنت من الظالمين فانه لم يدع بها رجل مسلم فى شيء قط الا استجاب
الله تعالى له رواه الترمذي واللفظ له والنساءي والحاكم فى المستدرك
وقال صحيح الاسناد و زاد فيه من طريق آخر فقال رجل يارسول الله هل
كانت ليونس خاصة ام للمومنين عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاتسمع الى قول الله عز وجل ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين
انتهى والغم ماكان ناله حين التقمه الحوت * وقوله سبحانه وزكرياء اذ نادى
ربه الآية تقدم امر زكرياء * وقوله سبحانه واصلحنا له زوجه قيل بان جعلت
ممن تحمل وهي عاقر قاعد وعموم اللفظ يتناول جميع الاصلاح * وقوله تعالى
ويدعوننا رغبا ورهبا المعنى انهم يدعون فى وقت تعبداتهم وهم بحال رغبة
ورجاء ورهبة وخوف فى حال واحدة لان الرغبة والرهبة متلازمان والخشوع
التذلل بالبدن المتركب على التذلل بالقلب قال القشيري فى رسالته سئل
الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب قال سهل بن عبد
الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان انتهى * وقوله سبحانه والتى
احصنت فرجها المعنى واذكر التى احصنت فرجها وهي الجارحة المعروفة
هذا قول الجمهور وفى احصانها هو المدح وقالت فرقة الفرج هنا هو فرج
ثوبها الذى منه نفخ الملك وهذا قول ضعيف وقد تقدم امرها (ت) وعكس
رحمه الله فى سورة التحريم النقل فقال قال الجمهور هو فرج الدرع * وقوله

تعالى ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون يحتمل ان يكون منقطعا خطابا لمعاصرى النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخبر عن الناس انهم تقطعوا ثم وعد واوعد ويحتمل ان يكون متصلا بقصة مريم وابنها عليهما السلام (ص) ابو البقاء وتقطعوا امرهم اي في امرهم يريد انه منصوب على اسقاط حرف الجر وقيل عدي بنفسه لانه بمعنى قطعوا اي فرقوا انتهى وقال البخاري امتكم امة واحدة اي دينكم دين واحد انتهى وقرأ جمهور السبعة وحرام وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وحرم بكسر الحاء وسكون الراء وهما مصدران بمعنى فاما معنى الآية فقالت فرقة حرام وحرم معناه جزم وحتم فالمعنى وحتم على قرية اهلكناها انهم لايرجعون الى الدنيا فيتوبون ويستعتبون بل هم صائرون الى العقاب وقالت طائفة حرام وحرم اي ممتنع * وقوله سبحانه حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون الآية تحتمل حتى فى هذه الآية ان تتعلق بيرجعون وتحتمل ان تكون حرف ابتداء وهو الاظهر بسبب اذا لانها تقتضى جوابا واختلف هنا فى الجواب والذى اقول به ان الجواب فى قوله فاذا هي شاخصة وهذا هو المعنى الذى قصد ذكره قال (ص) قال ابو البقاء حتى اذا متعلقة فى المعنى بحرام اي يستمر الامتناع الى هذا الوقت ولاعمل لها فى اذا انتهى وقرأ الجمهور فتحت بتخفيف التاء وقرأ ابن عامر وحده فتحت بالتشديد وروي ان ياجوج وماجوج يشرفون فى كل يوم على الفتح فيقولون غدا نفتح ولا يردون المشيئة الى الله تعالى فاذا كان غد وجدوا الردم كاوله حتى اذا اذن الله تعالى فى فتحه قال قائلهم غدا نفتحه ان شاء الله تعالى فيجدونه كما تركوه قريب الانفتاح فيفتحونه حينئذ (ت) وقد تقدم فى سورة الكهف كثير من اخبار ياجوج وماجوج فاغنانا عن اعادته وهذه عادتنا فى هذا

المختصر اسئل الله تعالى ان ينفعنا واياكم به ويجعله لنا نورا بين ايدينا يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والحدب كل مسنم من الارض كالجبل والظَرِب والكدية والقبر ونحوه وقالت فرقة المراد بقوله وهم ياجوج وماجوج يعنى أنهم يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويملئون الارض من كثرتهم وقالت فرقة المراد بقوله وهم جميع العالم وانما هوتعريف بالبعث من القبور وقرأ ابن مسعود وهم من كل جدث بالجيم والثاء المثلثة وهذه القراءة تؤيد هذا التاويل وينسلون معناه يسرعون فى تطامن واسند الطبري عن ابى سعيد قال يخرج ياجوج وماجوج فلا يتركون احدا الا قتلوه الا اهل الحصون فيمرون على بحيرة طبرية فيمر ءاخرهم فيقول كان هنا مرة ماء قال فيبعث الله عليهم النَغَف حتى تكسر اعناقهم فيقول اهل الحصون لقد هلك اعداء الله فيدلون رجلا ينظر فيجدهم قد هلكوا قال فينزل الله من السماء ماء فيقذف بهم فى البحر فيطهر الله الأرض منهم وفى حديث حذيفة نحو هذا وفى ءاخره قال وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها * وقوله سبحانه واقترب الوعد الحق يريد يوم القيامة * وقوله فاذا هي مذهب سيبويه انها ضمير القصة وجوز الفراء ان تكون ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجيء ما يفسرها والشخوص بالبصر احداد النظر دون ان يطرف وذلك يعترى من الخوف المفرط ونحوه وباقى الآية بين * وقوله سبحانه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية هذه الآية مخاطبة لكفار مكة اي انكم واصنامكم حصب جهنم والحصب ما توقد به النار اما لانها تحصب به اي ترمى واما ان يكون لغة فى الحطب اذا رمي واما قبل ان يرمى فلا يسمى حصبا الا بتجوز وحرق الاصنام بالنار على جهة التوبيخ لعابديها ومن حيث تقع ما لمن يعقل فى بعض المواضع اعترض فى هذه

الآية عبد الله بن الزبعرى على رسول الله صلى عليه وسلم فقال ان عيسى وعزيرا ونحوهما قد عبدا من دون الله فيلزم ان يكونوا حصبا لجهنم فنزلت ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية والورود فى هذه الآية ورود الدخول والزفير صوت المعذب وهو كنهيق الحمير وشبهه الا انه من الصدر * وقوله سبحانه لا يسمعون حسيسها هذه صفة الذين سبقت لهم الحسنى وذلك بعد دخولهم الجنة لان الحديث يقتضى ان فى الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك الاجثا على ركبتيه قال البخاري الحسيس والحس واحد وهو الصوت الخفي انتهى والفزع الاكبر عام فى كل هول يكون يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع الاكبر * وقوله سبحانه وتتلقاهم الملائكة يريد بالسلام عليهم والتبشير لهم اي هذا يومكم الذى وعدتم فيه الثواب والنعيم والسجل فى قول فرقة هو الصحيفة التى يكتب فيها والمعنى كما يطوى السجل من اجل الكتاب الذى فيه فالمصدر مضاف الى المفعول وهكذا قال البخاري السجل الصحيفة انتهى وماخرجه ابو داود فى مراسيله من ان السجل اسم رجل من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلى فيه هذا غير معروف انتهى * وقوله سبحانه كما بدأنا اول خلق نعيده يحتمل معنيين احدهما ان يكون خبرا عن البعث اي كما اخترعنا الخلق اولا على غير مثال كذلك ننشئهم تارة اخرى فنبعثهم من القبور والثانى ان يكون خبرا عن ان كل شخص يبعث يوم القيامة على هيئته التى خرج بها الى الدنيا ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده * وقوله كما بدأنا الكاف متعلقة بقوله نعيده وقالت فرقة الزبور هنا يعم جميع الكتب المنزلة لانه ماخوذ من زبرت الكتاب اذا كتبته والذكر اراد به اللوح المحفوظ وقالت فرقة الزبور هو زبور داود عليه

السلام والذكر التوراة وقالت فرقة الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكرالتوراة وقالت فرقة الارض هنا ارض الدنيا اي كل ما يناله المومنون من الارض وقالت فرقة اراد ارض الجنة واستشهدوا بقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء * وقوله سبحانه ان فى هذا لبلاغا الاشارة بهذا الى هذه الآيات المتقدمة فى قول فرقة وقالت فرقة الاشارة الى القرءان بجملته والعبادة تتضمن الايمان * وقوله سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قالت فرقة هوصلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين عموما اما للمومنين فواضح واما للكافرين فلان الله تعالى رفع عنهم ما كان يصيب الامم والقرون السابقة قبلهم من التعجيل بانواع العذاب المستاصلة كالطوفان وغيره * وقوله آذنتكم معناه عرفتكم بنذارتي واردت ان تشاركوني فى معرفة ما عندى من الخوف عليكم من الله تعالى وقال البخاري آذنتكم اعلمتكم فاذا اعلمتهم فانت وهم على سواء انتهى ثم اخبرانه لايعرف تعيين وقت لعقابهم هل هوقريب ام بعيد وهذا اهول واخوف قال (ص) وان ادرى بمعنى ما ادرى انتهى والضميرفى قوله لعله عائد على الاملاء لهم وفتنة معناه امتحان وابتلاء والمتاع ما يستمتع به مدة الحياة الدنيا ثم امره تعالى ان يقول على جهة الدعاء رب احكم بالحق وهذا دعاء فيه توعد ثم توكل فى ءاخرالآية واستعان بالله تعالى قال الداودي وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق انتهى



تفسير سورة الحج وهي مكية

سوى ثلاث ءايات وهي هذان خصمان الى تمام ثلاث ءايات هذا قول ابن عباس ومجاهد وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني وهذا هو الاصح لان الآيات تقتضي ذلك

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة التحريك العنيف وذلك مع نفخة الفزع ومع نفخة الصعق حسبما تضمنه حديث ابي هريرة من ثلاث نفخات والجمهور على ان زلزلة الساعة هي كالمعهودة فى الدنيا الا انها فى غاية الشدة واختلف المفسرون فى الزلزلة المذكورة هل هي فى الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة ام هي فى يوم القيامة على جميع العالم فقال الجمهور هي فى الدنيا والضمير فى ترونها عائد عندهم على الزلزلة وقوى قولهم ان الرضاع والحمل انما هو فى الدنيا وقالت فرقة الزلزلة فى يوم القيامة والضمير عندهم عائد على الساعة والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه من هم اووجع او غيره قال ابن زيد المعنى تترك ولدها للكرب الذى نزل بها (ت) وخرج البخاري وغيره عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ءادم فيقول لبيك ربنا وسعديك فيقول اخرج بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف

تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الحديث انتهى وهذا الحديث نص صريح فى انه يوم القيامة وانظر قوله يوما يجعل الولدان شيبا وقوله واذا العشار عطلت تجده موافقا للحديث وجاء فى حديث ابى هريرة فيما ذكره علي بن معبد ان نفخة الفزع تمتد وان ذلك يوم الجمعة فى النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب ثم تكون سرابا ثم ترتج الارض باهلها رجا وتضع الحوامل ما فى بطونها ويشيب الولدان ويولى الناس مدبرين ثم ينظرون الى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم والموتى لا يعلمون شيأ من ذلك قلت يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال اولائك هم الشهداء انتهى مختصرا وهذا الحديث ذكره الطبري والثعلبي وصححه ابن العربي فى سراج المريدين وقال عبد الحق بل هو حديث منقطع لايصح والذى عليه المحققون ان هذه الاهوال هي بعد البعث قاله صاحب التذكرة وغيره انتهى والحمل بفتح الحاء ما كان فى بطن او على رأس شجرة * وقوله سبحانه وترى الناس سكارى تشبيها لهم اي من الهم ثم نفى عنهم السكر الحقيقي الذى هو من الخمر قاله الحسن وغيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى فى الموضعين قال سيبويه وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى ثم جعلوا روبى مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب * وقوله سبحانه ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد قال ابن جريج هذه الآية نزلت فى النضر بن الحارث وابي بن خلف وقيل فى ابي جهل بن هشام ثم هي بعد تتناول كل من اتصف بهذه الصفة ومجادلتهم فى ان الله تعالى لايبعث من يموت والشيطان هنا هو مغويهم

من الجن ويحتمل من الانس والمريد المتجرد من الخير للشر ومنه الامرد وشجرة مرداء اي عارية من الورق وصرح ممرد اي مملس والضمير فى عليه عائد على الشيطان قاله قتادة ويحتمل ان يعود على المجادل وانه فى موضع رفع على المفعول الذى لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى موكدة مثلها وقيل هي مكررة للتاكيد فقط وهذا معترض بان الشيء لايوكد الابعد تمامه وتمام ان الاولى انما هو بصلتها فى قوله السعير وكذلك لايعطف عليه ولسيبويه فى مثل هذا انه بدل وقيل انه الثانية خبر مبتدإ محذوف تقديره فشأنه انه يضله قال (ع) ويظهرلى ان الضمير فى انه الاولى للشيطان وفى الثانية لمن الدى هوالمتولى وقرأ ابوعمرو فانه بالكسرفيهما * وقوله عزوجل ياايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث الآية هذا احتجاج على العالم بالبدأة الاولى وضرب سبحانه وتعالى فى هذه الآية مثلين اذا اعتبرها الناظرجوز فى العقل البعثة من القبور ثم ورد الشرع بوقوع ذلك * وقوله فانا خلقناكم من تراب يريد ءادم عليه السلام ثم من نطفة يريد المني والنطفة تقع على قليل الماء وكثيره ثم من علقة يريد من الدم الذى تعود النطفة اليه فى الرحم اوالمقارن للنطفة والعلق الدم الغليظ وقيل العلق الشديد الحمرة ثم من مضغة يريد مضغة لحم على قدر ما يمضغ * وقوله مخلقة معناه متممة وغير مخلقة غيرمتممة اي التى تسقط قاله مجاهد وغيره فاللفظة بناء مبالغة من خلق ولما كان الانسان فيه اعضاء متباينة وكل واحد منها مختص بخلق حسُن فى جملته تضعيف الفعل لان فيه خلقا كثيرا * وقوله سبحانه لنبين لكم قالت فرقة معناه امر البعث ونقر اي ونحن نقر فى الارحام والاجل المسمى مختلف بحسب حين حين فثم من يسقط وثم من يكمل امره ويخرج حيا * وقوله سبحانه ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم

من بعد علم شيأ قد تقدم بيان هـذه المعانى والرد الى ارذل العمرهوحصول الانسان فى زمانة واختلال العقل والقوة فهـذا مثال واحـد يقتضى للمعتبر به ان القادرعلى هـذه المناقل المتقـن لهـا قادر على اعادة تلك الاجسـاد الـتى اوجدها بهذه المناقـل الى حالهـا الاولى * وقوله عز وجـل وترى الارض هامـدة فاذا انزلنـا عليهـا الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج هذا هو المثال الثانى الذى يعطى للمعتبر فيـه جواز بعث الاجسـاد وذلك ان احياء الارض بعد موتها بين فكذلك الاجساد وهامـدة معناه ساكنـة دارسـة باليـة واهتزاز الارض هو حركتها بالنبـات وغير ذلـك مما يعتريها بالماء وربت معناه نشزت وارتفعت ومنه الربوة وهي المكان المرتفع والزوج النـوع والبهيج من البهجة وهي الحسن قاله قتادة وغيره * وقوله ذلك اشـارة الى كل ماتقدم ذكره وباقى الآيـة بـين * وقوله سبحـانه ومن النـاس من يجادل فى الله بغير علم الآيـة الاشارة بقوله ومن النـاس الى القوم الذين تقدم ذكرهم وكرر هذه الآية على جهة التوبيخ فكانه يقول فهذه الامثال فى غايـة الوضوح ومن النـاس مع ذلك من يجادل وثاني حال من الضمير فى يجادل * وقوله ثاني عطفـه عبـارة عن المتكبر المعرض قاله ابن عبـاس وغيره وذلك ان صاحب الكبر يرد وجهـه عمن يتكبر عنه فهو يرد وجهه يصعر خده ويولى صفحتـه ويـاوى عنقـه ويثنى عطفـه وهذه هي عبارات المفسرين والعطف الجانب * وقوله تعالى ذلك بمـا قدمت يداك اي يقال له ذلك واختلف فى الوقف على يداك فقيـل لايجـوز لان التقـدير وبان الله اي ان هـذا هو العـدل فيـك بجرائمـك وقيـل يجـوز بمعـنى والامر ان الله ليس بظـلام للعبيد * وقوله سبحانـه ومن الناس من يعبـد الله على حرف الآيـة نزلت فى اعراب وقوم لا يقين لهم كان احدهم اذا اسلم فاتفق له اتفـاقات حسان من

نمو مال وولد يرزقه وغير ذلك قال هذا دين جيد وتمسك به لهذه المعانى وان كان
الامر بخلاف ذلك تشاءم به وارتد كما فعل العرنيون قال هذا المعنى ابن
عباس وغيره وقوله على حرف معناه على انحراف منه عن العقيدة البيضاء
وقال البخاري على حرف على شك ثم اسند عن ابن عباس ما تقدم من حال
الاعراب انتهى * وقوله يدعوا من دون الله ما لا يضره يريد الاوثان ومعنى
يدعو يعبد ويدعو ايضا فى ملماته واللام فى قوله لمن ضره لام موذنة
بمجيء القسم والثانية فى لبيس لام القسم والعشير القريب المعاشر فى الامور
(ت) وفى الحديث فى شأن النساء ويكفرن العشير يعنى الزوج قال
ابو عمر بن عبد البر قال اهل اللغة العشير الخليط من المعاشرة والمخالطة
ومنه قوله عز وجل لبيس المولى ولبيس العشير انتهى من التمهيد والذى
يظهر ان المراد بالمولى والعشير هو الوثن الذى ضره اقرب من نفعه وهو
قول مجاهد ثم عقب سبحانه بذكر حالة اهل الايمان وذكر ما وعدهم به
فقال ان الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار
الآية ثم اخذت الآية فى توبيخ اولائك الاولين كانه يقول هؤلاء العابدون
على حرف صحبهم القلق وظنوا ان الله تعالى لن ينصر محمدا واتباعه ونحن انما
امرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب وهو الحبل
وليختنق هل يذهب بذلك غيظه قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل
السائر فى قولهم دونك الحبل فاختنق والسماء على هذا القول الهواء علوا فكانه
اراد سقفا او شجرة ولفظ البخاري وقال ابن عباس بسبب الى سقف البيت
انتهى والجمهور على ان القطع هنا هو الاختناق قال الخليل وقطع الرجل
اذا اختنق بحبل ونحوه ثم ذكر الآية ويحتمل المعنى من ظن ان محمدا لا ينصر
فليمت كمدا هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان غيظا وكمدا ويؤيد هذا

ان الطبري والنقاش قالا وقال نزلت فى نفر من بنى اسد وغطفان قالوا نخاف ان لاينصر محمد فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع والمعنى الاول الذى قيل للعابدين على حرف ليس بهذا ولكنه بمعنى من قلق واستبطأ النصر وظن ان محمدا لاينصر فليختنق سفاهة اذ تعدى الامر الذى حد له فى الصبر وانتظار صنع الله وقال مجاهد الضمير فى ينصره عائد على من والمعنى من كان من المتقلقين من المومنين وما فى قوله ما يغيظ بمعنى الذى ويحتمل ان تكون مصدرية حرفا فلا عائد عليها وابين الوجوه فى الآية التاويل الاول وباقى الآية بين * وقوله وكثير من الناس اي ساجدون مرحومون بسجودهم وقوله وكثير حق عليه العذاب معادل له ويؤيد هذا قوله تعالى بعد هذا ومن يهن الله فماله من مكرم الآية * وقوله سبحانه هذان خصمان اختصموا فى ربهم الآية نزلت هذه الآية فى المتبارزين يوم بدر وهم ستة نفر حمزة وعلي وعبيدة ابن الحارث رضي الله عنهم بارزوا لعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة قال علي بن ابى طالب انا اول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى واقسم ابو ذر على هذا القول ووقع فى صحيح البخاري رحمه الله تعالى ان الآية فيهم وقال ابن عباس الاشارة الى المومنين واهل الكتاب وذلك انه وقع بينهم تخاصم فقالت اليهود نحن اقدم دينا منكم ونحو هذا فنزلت الآية وقال مجاهد وجماعة الاشارة الى المومنين والكفار على العموم * قال (ع) وهذا قول تعضده الآية وذلك انه تقدم قوله وكثير من الناس المعنى هم مومنون ساجدون ثم قال تعالى وكثير حق عليه العذاب ثم اشار الى هذين الصنفين بقوله هذان خصمان والمعنى ان الايمان واهله والكفر واهله خصمان مذ كانا الى يوم القيامة بالعداوة والجدال والحرب وخصم مصدر يوصف به الواحد والجمع ويدل على انه اراد الجمع قوله اختصموا فانه قراءة الجمهور وقرأ ابن

ابى عبلة اختصما (ت) وهذه التاويلات متفقات فى المعنى وقد ورد ان اول ما يقضى به بين الناس يوم القيامة فى الدماء ومن المعلوم ان اول مبارزة وقعت فى الاسلام مبارزة علي واصحابه فلاجرم كانت اول خصومة وحكومة يوم القيامة وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفى رواية المقضى بينهم * وقوله فى ربهم اي فى شأن ربهم وصفاته وتوحيده ويحتمل فى رضى ربهم وفى ذاته وقال (ص) فى ربهم اي فى دين ربهم انتهى ثم بين سبحانه حكم الفريقين فتوعد تعالى الكفار بعذابه الاليم وقطعت معناه جعلت لهم بتقدير كما يفصل الثوب وروي انها من نحاس ويصهر معناه يذاب وقيل معناه ينضج قيل ان الحميم بحرارته يهبط كل ما فى الجوف ويكشطه ويسلته وقد روى ابو هريرة نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يسلته و يبلغ به قدميه ويذيبه ثم يعاد كما كان * وقوله سبحانه كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها روي فيه ان لهب النار اذا ارتفع رفعهم فيصلون الى ابواب النار فيريدون الخروج فتردهم الزبانية بمقامع الحديد وهي المقارع * وقوله سبحانه ان الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات الآية معادلة لقوله فالذين كفروا واللؤلؤ الجوهر واخبر سبحانه بان لباسهم فيها حرير لانه من اكمل حالات الدنيا قال ابن عباس لا تشبه امور الآخرة امور الدنيا الا فى الاسماء فقط واما الصفات فمتباينة والطيب من القول لا اله الا الله وماجرى معها من ذكر الله وتسبيحه وتقديسه وسائر كلام اهل الجنة من محاورة وحديث طيب فانها لا تسمع فيها لاغية وصراط الحميد هو طريق الله الذى دعا عباده اليه ويحتمل ان يريد بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافته فى قوله دار الآخرة وقال البخاري وهدوا الى الطيب اي الهموا الى قراءة القرءان وهدوا الى صراط

الحميد اي الى الاسلام انتهى * وقوله سبحانه ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله هذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد النبي صلى الله عليه وسلم وجاء يصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه وخبر ان محذوف مقدر عند قوله والبادى تقديره خسروا او هلكوا والعاكف المقيم فى البلد والبادى القادم عليه من غيره * وقوله بالحاد قال ابو عبيدة الباء فيه زائدة (ت) قال ابن العربي فى احكامه وجعل الباء زائدة لا يحتاج اليه فى سبيل العربية لان حمل المعنى على القول اولى من حمله على الحروف فيقال المعنى ومن يهم فيه بميل لان الالحاد هو الميل فى اللغة الا انه قد صار فى عرف الشرع ميلا مذموما فرفع الله الاشكال وبين سبحانه ان الميل بالظلم هو المراد هنا انتهى * قال (ع) والالحاد الميل وهو يشمل جميع المعاصى من الكفر الى الصغائر فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك الا فى مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم قال (ص) وقوله ان لا تشرك ان مفسرة لقول مقدر اي قائلين له او موحين له لا تشرك وفى التقدير الاول نظر فانظره انتهى * وقوله تعالى وطهر بيتي للطائفين والقائمين الآية تطهير البيت عام فى الكفر والبدع وجميع الانجاس والدماء وغير ذلك والقائمون هم المصلون وخص سبحانه بالذكر من اركان الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود وروي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما امر بالاذان بالحج قال يارب واذا اذنت فمن يسمعنى فقيل له ناد يا ابراهيم فعليك النداء وعلينا البلاغ فصعد على ابى قبيس وقيل على حجر المقام ونادى ايها الناس ان الله تعالى قد امركم بحج هذا البيت فحجوا فروي ان يوم نادى اسمع كل من يحج الى يوم القيامة فى اصلاب الرجال واجابه كل شيء فى ذلك الوقت من جماد وغيره لبيك اللهم لبيك فجرت التلبية

على ذلك قاله ابن عباس وابن جبير ورجالا جمع راجل والضامر قالت فرقة اراد بها الناقة وذلك انه يقال ناقة ضامر وقالت فرقة لفظ ضامر يشمل كل من اتصف بذلك من جمل او ناقة وغير ذلك * قال (ع) وهذا هو الاظهر وفى تقديم رجالا تفضيل للمشاة فى الحج واليه نحا ابن عباس قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى يا تين رد الضمير الى الابل تكرمة لها لقصدها الحج مع اربابها كما قال تعالى والعاديات ضبحا فى خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت فى سبيل الله انتهى والفج الطريق الواسعة والعميق معناه البعيد قال الشاعر

اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة * يمد بها فى السير اشعث شاحب

والمنافع فى هذه الآية التجارة فى قول اكثر المتأولين ابن عباس وغيره وقال ابو جعفر محمد بن علي اراد الاجر ومنافع الآخرة وقال مجاهد بعموم الوجهين (ت) واظهرها عندى قول ابى جعفر يظهر ذلك من مقصد الآية والله اعلم وقال ابن العربي الصحيح القول بالعموم انتهى * وقوله سبحانه ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ذهب قوم الى ان المراد ذكر اسم الله على االنحر والذبح وقالوا ان فى ذكر الايام دليلا على ان الذبح فى الليل لا يجوز وهو مذهب مالك واصحاب الرأي وقالت فرقة فيها مالك واصحابه الايام المعلومات يوم النحر ويومان بعده * وقوله فكلوا ندب واستحب اهل العلم ان ياكل الانسان من هديه واضحيته وان يتصدق بالاكثر والبائس الذى قد مسه ضر الفاقة وبؤسها والمراد اهل الحاجة والتفث ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وازالة شعث ونحوه وليوفوا نذورهم وهو ما معهم من هدي وغيره وليطوفوا بالبيت العتيق يعنى طواف الافاضة الذى هو من واجبات الحج قال الطبري ولا خلاف بين

المتأولين فى ذلك قال مالك هو واجب و يرجع تاركه من وطنه الا ان يطوف طواف الوداع فانه يجزيه عنه ويحتمل ان تكون الاشارة بالآية الى طواف الوداع وقد اسند الطبري عن عمرو بن ابى سلمة قال سألت زهيرا عن قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هوطواف الوداع وقاله مالك فى الموطإواختلف فى وجه وصف البيت بالعتيق فقال مجاهد وغيره عتيق اي قديم وقال ابن الزبير لان الله تعالى اعتقة من الجبابرة وقيل اعتقه من غرق الطوفان وقيل غيرهذا * وقوله ذلك يحتمل ان يكون فى موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك او الواجب ذلك ويحتمل ان يكون فى محل نصب بتقدير امتثلوا ذلك ونحو هذا الاضمار واحسن الاشياء مضمرا احسنها مظهرا ونحو هذه الاشارة البليغة قول زهير

هذا وليس كمن يعي بخطبته * وسط الندي اذا ما ناطق نطقا

والحرمات المقصودة هنا هي افعال الحج وقال ابن العربي فى احكامه الحرمات امتثال ما امر الله تعالى به واجتناب ما نهى عنه فان للقسم الاول حرمة المبادرة الى الامتثال وللثانى حرمة الانكفاف والأنزجار انتهى * وقوله فهو خير ظاهره انها ليست للتفضيل وانما هي عدة بخير ويحتمل ان يجعل خير للتفضيل على تجوز فى هذا الموضع (ص) فهو خير له اي فالتعظيم خيرله انتهى * وقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان يحتمل معنيين احدهما ان تكون من لبيان الجنس اي الرجس الذى هو الاوثان فيقع النهي عن رجس الاوثان فقط وتبقى سائر الارجاس نهيها فى غير هذا الموضع والمعنى الثانى ان تكون من لابتداء الغاية فكانه نهاهم سبحانه عن الرجس عموما ثم عين لهم مبدأه الذى منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس و يظهر ان الاشارة الى الذبائح التى كانت للاوثان فيكون هذا مما يتلى عليهم والمروي عن ابن عباس

وابن جريج ان الآية نهي عن عبادة الاوثان والزور عام فى الكذب والكفر وذلك ان كل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وقال ابن مسعود وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور بالشرك وتلا هذه الآية والزورمشتق من الزوروهوالميل ومنه فى جانب فلان زورويظهران الاشارة الى زوراقوالهم فى تحريم وتحليل ما كانوا قد شرعوا فى الانعام وحنفاء معناه مستقيمين اومائلين الى الحق بحسب ان لفظة الحنف من الاضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل والسحيق البعيد * وقوله سبحانه ذلك ومن يعظم شعائرالله التقديرفى هذا الموضع الامرذلك والشعائرجمع شعيرة وهي كل شيء لله عزوجل فيه امراشعربه واعلم قال الشيخ ابن ابى جمرة ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال تعظيم شعائرالله كان من البقع او من البشراوممن شاء الله تعالى زيادة فى الايمان وقوة فى اليقين انتهى وقال العراقي فى ارجوزته * اعلام طاعة هي الشعائر * البيت وقالت فرقة قصد بالشعائر فى هذه الآية الهدي والانعام المشعرة ومعنى تعظيمها التسمين والاهتبال بامرها قاله ابن عباس وغيره ثم اختلف المتأولون فى قوله سبحانه لكم فيها منافع الآية فقال مجاهد وقتادة اراد ان للناس فى انعامهم منافع من الصوف واللبن والذبح للاكل وغير ذلك مالم يبعثها ربها هديا فاذابعثها فهوالاجل المسمى وقال عطاء اراد لكم فى الهدي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطروالاجل نحرها وتكون ثم من قوله ثم محلها الى البيت العتيق لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند هذين الفريقين ثم محلها الى موضع النحروذكرالبيت لانه اشرف الحرم وهو المقصود بالهدي وغيره وقال ابن زيد والحسن وابن عمرومالك الشعائرفى هذه الآية مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا

والمروة والبيت وغيرذلك وفى الآيـة التى تاتى ان البدن من الشعائروالمنافـع التجارة وطلب الرزق اوالاجروالمغفرة والاجـل المسمـى الرجـوع الى مكـة لطواف الافاضة ومحلها ماخوذ من احلال المحرم والمعـنى ثم اخروا هذا كلـه الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هـذا التاويل مراد بنـفسـه قاله مالك فى الموطا (ت) واظهرهـذه التاويـلات عندى تاويـل عطـاء وفى الثالث بعض تكـلف ثم اخبر تعالى انه جعل لـكل امـة من الامم المـومـنة منسـكا اي موضع نسك وعبادة هذا على ان المنسك ظرف ويحتمل ان يريـد به المصدركانه قال عبادة والناسـك العابـد وقال مجاهـد سنة فى هراقة دماء الذبائح * وقوله ليذكروا اسم الله معنـاه امرناهم عنـد ذبائحهم بذكرالله وان يكون الذبح له لانـه رازق ذلك وقوله فله اسلموا اي امنوا ويحتمل ان يريد استسلموا ثم امرسبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبشر بشارة على الاطـلاق وهي ابلغ من المفسرة لانها مرسـلة مع نهاية التخيـل للمخبتـين المتواضعـين الخاشعين المومنين والخبت ما انخفض من الارض والمخبت المتـواضـع الذى مشيه متطامن كانـه فى حـدور من الارض وقال عمـرو بن اوس المخبتـون الذين لايظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا قال (ع) وهذا مثال شريف من خلق المومن الهين اللين وقال مجاهـد هم المطمئنون بامر الله تعـالى ووصفهم سبحانه بالخوف والوجـل عنـد ذكـر الله تعـالى وذلك لقوة يقينهم ومراقبتهم لربهـم وكانهم بين يديه جل وعـلا ووصفهم بالصبروباقامة الصلاة وادامتها وروي ان هذه الآية قوله وبشرالمخبتين نزلت فى ابى بكـروعمروعثمان وعـلي رضي الله عنهم اجمعين * وقوله سبحانه والبدن جعلناها لـكم من شعـائرالله البـدن جمع بدنة وهي ماا شعرمن ناقة اوبقرة قاله عطـاء وغيره وسميت بذلك لانهـا تبدن اي تسمن وقيل بل هذا الاسم خاص بالابل والخـيرهنا قيل فيه ماقيـل

فى المنافع التى تقدم ذكرها والصواب عمومه فى خير الدنيا والآخرة * وقوله عليها يريد عند نحرها وصواف اي مصطفة وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وغيرهم صوافن جمع صافنة وهي التى رفعت احدى يديها بالعقل ليلا تضطرب ومنه فى الخيل الصافنات الجياد ووجبت معناه سقطت * وقوله فكلوا منها ندب وكل العلماء يستحب ان ياكل الانسان من هديه وفيه اجر وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لاياكلون من هديهم وتحرير القول فى القانع انه السائل والمعتر المتعرض من غير سؤال قاله الحسن ومجاهد وغيرهما وعكست فرقة هذا القول فحكى الطبري عن ابن عباس انه قال القانع المستغنى بما اعطيته والمعتر هو المتعرض وحكي عنه انه قال القانع المتعفف والمعتر السائل قال (ع) يقال قنع الرجل بفتح النون يقنع قنوعا فهو قانع اذا سأل فالقانع هو السائل بفتح النون فى الماضى وقنع بكسر النون يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف واستغنى ببلغته قاله الخليل بن احمد * وقوله سبحانه لن ينال الله لحومها الآية عبارة مبالغة وهي بمعنى لن ترفع عنده سبحانه وتتحصل سبب ثواب والمعنى ولكن تنال الرفعة عنده وتحصل الحسنة لديه بالتقوى * وقوله تعالى لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين روي ان قوله وبشر المحسنين نزلت فى الخلفاء الاربعة حسبما تقدم فى التى قبلها وظاهر اللفظ العموم فى كل محسن * وقوله سبحانه ان الله يدافع عن الذين ءامنوا الآية وقرأ ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع قال ابو علي اجريت دافع مجرى دفع كعاقبت اللص وطارقت النعل قال ابو الحسن الاخفش يقولون دافع الله عنك ودفع عنك الا ان دفع اكثر فى الكلام قال (ع) ويحسن يدافع لانه قد عن للمومنين من يدفعهم ويوذيهم فيجيء دفعه سبحانه مدافعة عنهم وروي ان هذه الاية نزلت بسبب المومنين لما كثروا بمكة واذاهم الكفار هم بعضهم

ان يقتل من امكنه من الكفار و يغتال ويغدر فنزلت هذه الآية الى قوله كفور ثم اذن الله سبحانه فى قتال المومنين لمن قاتلهم من الكفار بقوله اذن للذين يقاتلون * وقوله بانهم ظلموا معناه كان الاذن بسبب انهم ظلموا قال ابن جريج وهذه الآية اول ما نقضت الموادعة قال ابن عباس وابن جريج نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقال ابو بكر الصديق لما سمعتها علمت انه سيكون قتال (ت) وهذا الحديث خرجه الترمذي قال ابن العربي ومعنى إذن ابيح وقرئ يقاتلون بكسر التاء وفتحها فعلى قراءة الكسر تكون الآية خبرا عن فعل الماذون لهم وعلى قراءة الفتح فالآية خبر عن فعل غيرهم وان الاذن وقع من اجل ذلك لهم ففى فتح التاء بيان سبب القتال وقد كان الكفار يتعمدون النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين بالاذاية ويعاملونهم بالنكاية وقد قتل ابوجهل سمية ام عمار بن ياسر وعذب بلال وبعد ذلك جاء الانتصار بالقتال انتهى ثم وعد سبحانه بالنصر فى قوله وان الله على نصرهم لقدير * وقوله سبحانه الذين اخرجوا من ديارهم يريد كل من خرج من مكة واذاه اهلها حتى اخرجوه باذايتهم طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة ونسب الاخراج الى الكفار لان الكلام فى معرض تقرير الذنب والزامه لهم * وقوله الا ان يقولوا ربنا الله استثناء منقطع قال (ص) واجاز ابو اسحاق وغيره ان يكون فى موضع جر بدلا من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار لاموجب الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله انتهى وهو حسن من حيث المعنى والانتقاد عليه مزيف * وقوله ولولا دفاع الله الناس الآية تقوية للامر بالقتال وذكر انه متقدم فى الامم وبه صلحت الشرائع فكانه قال اذن فى القتال فليقاتل المومنون ولولا القتال والجهاد لتغلب على الحق

فى كل امة هذا اصوب تاويلات الآية والصومعة موضع العبادة وهي بناء مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القول وكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى وعباد الصابين قاله قتادة ثم استعملت فى مئذنة المسلمين والبيع كنائس النصارى واحدتها بيعة وقال الطبري قيل هي كنائس اليهود ثم ادخل عن مجاهد مالايقتضى ذلك والصلوات مشتركة لكل ملة واستعير الهدم للصلوات من حيت تعطيلها اواراد موضع صلوات وقال ابو العالية الصلوات مساجد الصابين وقيل غيرهذا * وقوله يذكر فيها الضمير عائد على جميع ماتقدم ثم وعد سبحانه بنصرة دينه وشرعه وفى ذلك حض على القتال و الجد فيه ثم الآية تعم كل من نصرحقا الى يوم القيامة * وقوله سبحانه الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة الآية قالت فرقة هذه الآية فى الخلفاء الاربعة والعموم فى هذا كله ابين وبه يتجه الامر فى جميع الناس وانما الآية اخذة عهدا على كل من مكن فى الارض على قدر ما مكن وا لآية امكن ماهي فى الملوك * وقوله سبحانه ولله عاقبة الامور توعد للمخالف عن هذه الامور التى تقتضيها الآية لمن مكن * وقوله سبحانه وان يكذبوك يعنى قريشا فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى الآية فيها وعيد لقريش وامليت معناه امهلت والنكير مصدر بمعنى الانكار * وقوله و بير معطلة قيل هومعطوف على العروش وقيل على القرية وهو اصوب ثم وبخهم تعالى على الغفلة وترك الاعتبار بقوله افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وهذه الآية تقتضى ان العقل فى القلب وذلك هوالحق ولاينكر ان للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ * وقوله فتكون نصب بالفاء فى جواب الاستفهام صرف الفعل من الجزم الى النصب *

وقوله سبحانه فانها لا تعمى الابصار لفظ مبالغة كانه قال ليس العمى عمى العين وانما العمى كل العمى عمى القلب ومعلوم ان الابصار تعمى ولكن المقصود ماذكرنا وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف والضمير فى انها للقصة ونحوها من التقدير والضمير فى يستعجلونك لقريش * وقوله وان يخلف الله وعده وعيد واخبار بان كل شيء الى وقت محدود والوعد هنا مقيد بالعذاب * وقوله سبحانه وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قالت فرقة معناه وان يوما من ايام عذاب الله كالف سنة من هذه لطول العذاب وبؤسه فكان المعنى اي من هذه السنين فما اجهل من يستعجل هذا وكرر قوله وكأين لانه جلب معنى آخر ذكر اولا القرى المهلكة دون املاء بل بعقب التكذيب ثم ثنى سبحانه بالمهلة ليلا يفرح هؤلاء بتاخير العذاب عنهم وباقى الآية بين والرزق الكريم الجنة ومعاجزين معناه مغالبين كانهم طلبوا عجز صاحب الآيات والآيات تقتضى تعجيزهم فصارت مفاعلة * وقوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبيء الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآية (ت) قال القاضى ابوالفضل عياض وقد ترجهت هاهنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ماروي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى قال عياض اعلم اكرمك الله ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما فى توهين اصله والثانى على تقدير تسليمه اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند متصل سليم وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضى ابوبكر

ابن العلاء المالكي رحمه الله تعالى حيث يقول لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير ثم قال عياض قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره وانما يعرف عن الكلبي قال عياض والكلبي ممن لا تجوز الرواية عنه ولاذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار وقد اجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذا انتهى ونحوهذا لابن عطية قال وهذا الحديث الذى فيه هن الغرانقة وقع فى كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولاذكره فى علمي مصنف مشهور بل يقتضى مذهب اهل الحديث ان الشيطان القى ولايعينون هذا السبب ولاغيره قال (ع) وحدثني ابى رحمه الله تعالى انه لقي بالمشرق من شيوخ العلماء والمتكلمين من قال هذا لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم فى التبليغ وانما الامر يعنى على تقدير صحته ان الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفارعند قول النبي صلى الله عليه وسلم افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقرب صوته من صوت النبي صلى الله عليه وسلم حتى التبس الامرعلى المشركين وقالوا محمد قرأها هذا على تقديرصحته وقد روي نحوهذا التاويل عن الامام ابى المعالى (ت) قال عياض وقد اعاذنا الله من صحته وقد حكى محمد بن عقبة فى مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين ومعنى قوله تعالى تمنى اي تلا ومنه قوله تعالى لايعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة فينسخ الله ما يلقى الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم ءاياته وعبارة البخاري وقال ابن عباس اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته اي اذا حدث القى الشيطان فى حديثه فيبطل الله ما يلقى الشيطان ويحكم ءاياته ويقال امنيته قراءته انتهى قال عياض وقيل معنى الآية هوما يقع للنبي صلى

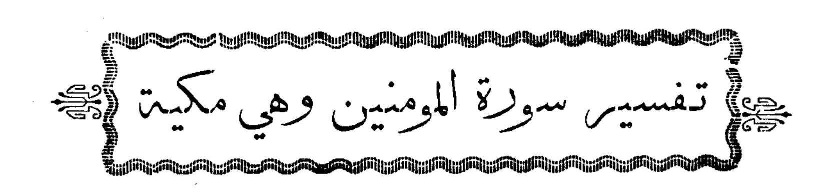
الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فيتنبه لذلك ويرجع عنه انتهى * وقوله سبحانه ليجعل مايلقى الشيطان فتنة الفتنة الامتحان والاختبار والذين فى قلوبهم مرض عامة الكفاروالقاسية قلوبهم خواص منهم عتاة كابى جهل وغيره والشقاق البعد عن الخيروالكون فى شق غيرشق الصلاح والذين اوتوا العلم هم اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والضمير فى انه عائد على القرءان فتخبت له قلوبهم معناه تتطامن وتخضع وهوماخوذ من الخبت وهو المطمئن من الارض كما تقدم ولايزال الذين كفروا فى مرية منه اي من القرءان والمرية الشك حتى تاتيهم الساعة يعنى يوم القيامة اوياتيهم عذاب يوم عقيم قيل يوم بدر وقيل الساعة ساعة موتهم واليوم العقيم يوم القيامة * وقوله سبحانه والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الآية ابتداء معنى آخر وذلك انه لما مات عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه الآية مسوية بينهم فى ان الله تعالى يرزق جميعهم رزقا حسنا وليس هذا بقاض بتساويهم فى الفضل وظاهرالشريعة ان المقتول افضل وقد قال بعض الناس المقتول والميت فى سبيل الله شهيدان ولكن للمقتول مزية مااصابه فى ذات الله والرزق الحسن يحتمل ان يريد به رزق الشهداء عند ربهم فى البرزخ ويحتمل ان يريد بعد يوم القيامة فى الجنة وقرأت فرقة مدخلا بضم الميم من ادخل فهو محمول على الفعل المذكور وقرأت فرقة مدخلا بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدرتقديره فيدخلون مدخلا ثم اخبرسبحانه عمن عاقب من المومنين من ظلمه من الكفرة ووعد المبغى عليه بانه ينصره وذلك ان هذه الآية نزلت فى قوم من المومنين لقيهم كفارفى الاشهرالحرم فابى المومنون من قتالهم وابى المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جد المومنون ونصرهم الله تعالى فنزلت

الآية فيهم وجمل تقصير الليـل وزيادة النهار وعكسهما ايلاجا تجـوزا وتشبيها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه الم تران الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما فى السموات ومافى الارض وان الله لهوالغـنى الحميد قوله فتصبح عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء وروي عن عكرمة انـه قال هذا لايكون الابمكة وتهامة قال (ع) ومعنى هـذا انه اخذ قوله فتصبح مقصودا به صباح ليلة المطروذهب الى ان ذلك الاخضرار فى سـائر البـلاد يتأخر قال (ع) وقـد شاهدت هـذا فى السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعـد قحط واصبحت تلك الارض الرمـلة الـتى تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف دقيق (ت) وقد شاهدت انا ذلك بصحراء سواكن بالمشرق وهي فى حكم مكة الاان البحرقد حال بينهما وذلك ان التعدية من جـدة الى سوا كن مقـدار يو مـين فى البحراواقل بالريح المعتدلة وكان ذلك فى اول الخريـف واجرى الله العـادة ان امطار تلك البلاد تكون بالخر يف فقط هذا هـو الغـالب ولـما شاهدت ذلك تذكرت هذه الآيـة الكريمة فسبحـان الله ما اعظم قدرته واللطيف المحكم للامـور برفق * وقوله سبحانه الم تر ان الله سخرلكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحربامـره اي سخرلنا سبحانـه ما فى الارض من الحيوان والمعادن وسائر المرافق وباقى الآية بين ممـا ذكر فى غير هذا الموضع * وقوله سبحانه لكـل امـة جعلنـا منسكا الآية المنسك المصدر فهوبمعنى العبادة والشرعة وهوايضا موضع النسك وقـوله هم ناسكوه يعطى ان المنسك المصدر ولوكان الموضع لقال هم ناسكون فيه * وقوله سبحانه وان جادلوك الآية موادعة محضة نسختها اية السيف وباقى الآيـة وعيـد * وقوله سبحانـه ان ذلـك فى كتـاب يعنى اللـوح المحفـوظ * وقـوله ان ذلك على الله يسير يحتمل ان تكون الاشارة الى الحكم فى الاختـلاف *

وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يعنى ان كفارقريش كانوا اذا تلي عليهم القرءان وسمعوا ما فيه من رفض ءالهتهم والدعاء الى التوحيد عرفت المساءة فى وجوهم والمنكرمن معتقدهم وعداوتهم وانهم يريدون ويتسرعون الى السطوة بالتالين والسطو ايقاع ببطش ثم امرتعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهم على جهة الوعيد والتقريع افأنبئكم اي اخبركم بشرمن ذلكم والاشارة بذلكم الى السطو ثم ابتدأ بخبر كأن قائلا قال له وما هو قال النار اي نار جهنم * وقوله وعدها الله الذين كفروا يحتمل ان يكون اراد ان الله وعدهم بالنار فيكون الوعد فى الشرويحتمل انه اراد ان الله سبحانه وعد النار بان يطعمها الكفار فيكون الوعد على بابه اذ الذى يقتضى قولها هل من مزيد ونحوذلك انذلك من مسارها (ت) والظاهر الاول * وقوله سبحانه وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه الآية ذكرتعالى امرسلب الذباب وذلك انهم كانوا يضمخون اوثانهم بانواع الطيب فكان الذباب يتسلط ويذهب بذلك الطيب وكانوا يتألمون من ذلك فجعلت مثلا واختلف المتأولون فى قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب فقالت فرقة اراد بالطالب الاصنام وبالمطلوب الذباب اي انهم ينبغى ان يكونوا طالبين لما يسلب من طيبهم على معهود الانفة فى الحيوان وقيل معناه ضعف الكفارفى طلبهم الصواب والفضيلة من جهة الاصنام وضعف الاصنام فى اعطاء ذلك وانالته قال (ع) ويحتمل ان يريد ضعف الطالب وهو الذباب فى استلابه ماعلى الاصنام وضعف الاصنام فى ان لامنعة لهم وبالجملة فدلتهم الآية على ان الاصنام فى احط رتبة واخس منزلة لوكانوا يعقلون وماقدروا الله حق قدره المعنى ماوفوه حقه سبحانه من التعظيم والتوحيد * وقوله سبحانه الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس الآية نزلت بسبب

قول الوليد بن المغيرة أانزل عليه الذكر من بيننا (ص) ابو البقاء ومن الناس اي رسلا انتهى ثم امر سبحانه بعبادته وخص الركوع والسجود بالذكر تشريفا للصلاة واختلف الناس هل فى هذه الآية سجدة ام لا قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى ياايها الذين ءامنوا اركعوا واسجدوا تقبلها قوم على انها سجدة تلاوة فسجدوها وقال ءاخرون هو سجود الصلاة فقصروه عليه ورأى عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما انها سجدة تلاوة وانى لاسجدها واراها كذلك لما روى ابن وهب وغيره عن مالك وغيره انتهى وقوله سبحانه وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات (ت) وهذه الآية الكريمة عامة فى انواع الخيرات ومن اعظمها الرأفة والشفقة على خلق الله ومواساة الفقراء واهل الحاجة وقد روى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمإ سقاه الله من الرحيق المختوم انتهى وروى علي بن عبد العزيز البغوي فى المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا كان فى حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة وروى ابن ابي شيبة فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما اهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه وجاهدوا فى الله حق جهاده قالت فرقة الآية فى قتال الكفار وقالت فرقة بل هي اعم من هذا وهو جهاد النفس وجهاد الكفار والظلمة وغير ذلك امر الله عباده بان يفعلوا ذلك فى ذات الله حق فعله قال (ع) والعموم احسن وبين ان عرف اللفظة يقتضي القتال فى سبيل الله * وقوله هو اجتباكم اي تخيركم وما جعل عليكم فى الدين من حرج اي من تضييق وذلك ان الملة حنيفية سمحة ليست

كشدائد بني اسرايل وغيرهم بل فيها التوبة والكفارات والرخص ونحو هذا مما يكثر عده ورفع الحرج عن هذه الامة لمن استقام منهم على منهاج الشرع واما السلابة والسراق واصحاب الحدود فهم ادخلوا الحرج على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الدين اشد من الزام رجل لاثنين في سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بمحرج وملة نصب بفعل مضمر من افعال الاغراء * وقوله هو سماكم قال ابن زيد الضمير لابراهيم والاشارة الى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد الضمير لله عزوجل ومن قبل معناه في الكتب القديمة وفي هذا اي في القرءان وهذه اللفظة تضعف قول من قال الضمير لابراهيم عليه السلام ولايتوجه الا على تقدير محذوف من الكلام مستانف قال (ص) هو قيل يعود على الله تعالى وقيل على ابراهيم وعلى هذا فيكون وفي هذا القرءان اي وسميتم بسببه فيه انتهى * وقوله سبحانه ليكون الرسول شهيدا عليكم اي بالتبليغ * وقوله وتكونوا شهداء على الناس اي بتبليغ رسلهم اليهم على ما اخبركم نبيكم ثم امر سبحانه بالصلاة المفروضة ان تقام ويدام عليها بجميع حدودها وبالزكاة ان تؤدى ثم امر سبحانه بالاعتصام به اي بالتعلق به والخلوص له وطلب النجاة منه ورفض التوكل على سواه * وقوله سبحانه هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير المولى في هذه الآية معناه الذى يليكم نصره وحفظه وباقي الآية بين



* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه قد افلح المومنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون اخبر الله سبحانه عن فلاح المومنين وانهم نالوا البغية واحرزوا البقاء الدائم (ت) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه صلى الله عليه وسلم دوي كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكثنا ساعة وسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وءاثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا ثم قال انزلت عني عشر ءايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المومنون حتى ختم عشر ءايات رواه الترمذي واللفظ له والنساءي والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من سلاح المومن (ت) وقد نص بعض ائمتنا على وجوب الخشوع فى الصلاة قال الغزالي رحمه الله ومن مكائد الشيطان ان يشغلك فى الصلاة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات لتمتنع عن فهم ما تقرأه واعلم ان كل ما اشغلك عن معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها انتهى من الاحياء وروي عن مجاهد ان الله تعالى لما خلق الجنة واتقن حسنها قال قد افلح المومنون ثم وصف تعالى هؤلاء المفلحين فقال الذين هم فى صلاتهم خاشعون والخشوع التطامن وسكون الاعضاء والوقار وهذا انما يظهر فى الاعضاء ممن فى قلبه

خوف واستكانة لانه اذا خشع قلبه خشعت جوارحه وروي ان سبب الآية ان المسلمين كانوا يلتفتون فى صلاتهم يمنة و يسرة فنزلت هذه الآية وامروا ان يكون بصر المصلى حذاء قبلته او بين يديه وفى الحرم الى الكعبة واللغو سقط القول وهذا يعم جميع ما لا خير فيه ويجمع اداب الشرع وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اي يعرضون عن اللغو وكأن الآية فيها موادعة * والذين هم للزكوة فاعلون ذهب الطبري وغيره الى انها الزكاة المفروضة فى الاموال وهذا بين ويحتمل اللفظ ان يريد بالزكاة الفضائل كانه اراد الازكى من كل فعل كما قال تعالى خيرا منه زكاة واقرب رحما * وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون يقتضى تحريم الزنا والاستمناء ومواقعة البهائم وكل ذلك داخل فى قوله وراء ذلك و يريد وراء هذا الحد الذى حد والعادى الظالم والامانة والعهد يجمع كل ما تحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولا وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك ورعاية ذلك حفظه والقيام به والامانة اعم من العهد اذ كل عهد فهو امانة وقرأ الجمهور صلوتهم وقرأ حمزة والكسائي صلاتهم بالافراد والوارثون يريد الجنة وفى حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل لكل انسان مسكنا فى الجنة ومسكنا فى النار فاما المومنون فياخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويحصل الكفار فى منازلهم فى النار (ت) وخرجه ابن ماجه ايضا بمعناه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم الا من له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا مات يعنى الانسان ودخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون قال القرطبي فى التذكرة اسناده صحيح انتهى من التذكرة قال (ع) ويحتمل ان يسمي الله تعالى حصولهم فى الجنة وراثة من حيث حصلوها دون غيرهم وفى الحديث عنه صلى الله عليه

وسلم انه قال ان الله احاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غراسها بيده وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فقال طوبى لك منزل الملوك خرجه البغوي فى المسند المنتخب له انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآيـة اختلف فى قوله الانسان فقال قتادة وغيره اراد ءادم عليه السلام لانه استُل من الطين وقال ابن عباس وغيره المراد ابن ءادم والقرار المكـين من المراة هو موضع الولد والمكين المتمكن والعلقة الدم الغليظ والمضغة بضعة اللحم قدر ما يمضغ واختلف فى الخلق الآخر فقال ابن عباس وغيره هو نفخ الروح فيه وقال ابن عباس ايضا هو خروجه الى الدنيا وقال ايضا تصرفه فى امور الدنيا وقيـل هو نبات شعره قال (ع) وهـذا التخصيص كله لاوجه له وانما هو عام فى هذا وغيره من وجوه النطق والادراك وحسن المحاولة وتبارك مطاوع بارك فـكانها بمنزلة تعـالى وتقدس من معنى البركـة * وقوله احسن الخالقين معناه الصانعين يقال لمن صنع شيـأ خلقـه وذهب بعض الناس الى نفي هذه اللفظـة عن الناس فقال ابن جريـج انمـا قال الخالقين لانه تعالى اذن لعيسى فى ان يخلق واضطرب بعضهم فى ذلـك قال (ع) ولا تـنـفى اللفظة عن البشر فى معنى الصنع وانما هي منفيـة بمعنى الاختراع والايجاد من العدم * وقوله سبحانـه ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد هذه الاحوال المذكورة ويريد بالسبع الطرائق السموات والطرائق كل ما كان طبقات بعضه فوق بعض ومنه طارقت نعلى ويجوز ان تكون الطرائق بمعنى المبسوطات من طرقت الشيء (ت) وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر الآية ظاهر الآية انه ماء المطر واسند ابو بكر ابن الخطيب فى اول تاريخ بغداد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل الله من الجنـة الى الارض خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى

من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى اصناف معايشهم فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض القرءان والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع ذلك كله الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا وفى رواية خير الدنيا والآخرة انتهى فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه ونقل ابن العربي فى احكامه هذا الحديث ايضا عن ابن عباس وغيره ثم قال فى ءاخره وهذا جائز فى القدرة ان صحت به الرواية انتهى قال (ع) قوله تعالى ماء بقدر قال بعض العلماء اراد المطر وقال بعضهم انما اراد الانهار الاربعة سيحان وجيحان والفرات والنيل قال (ع) والصواب ان هذا كله داخل تحت الماء الذى انزله الله تعالى * وقوله تعالى لكم فيها فواكه كثيرة يحتمل ان يعود الضمير على الجنات فيشمل انواع الفواكه ويحتمل ان يعود على النخيل والاعناب خاصة اذ فيهما مراتب وانواع والاول اعم لسائر الثمرات * وقوله سبحانه وشجرة عطف على قوله جنات ويريد بها الزيتونة وهي كثيرة فى طور سيناء من ارض الشام وهو الجبل الذى كلم فيه موسى عليه السلام قاله ابن عباس وغيره والطور الجبل فى كلام العرب واختلف فى سيناء فقال قتادة معناه الحسن وقال الجمهور هو اسم الجبل كما تقول جبل احد وقرأ الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء فالتقدير تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرأ ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء واختلف فى التقدير على هذه القراءة فقالت فرقة الباء زائدة

كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقالت فرقة التقدير تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول محذوف وقيل نبت وانبت بمعنى فيكون المعنى كما مضى فى قراءة الجمهور والمراد بالآية تعديد النعم على الانسان وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم الآية هذا ابتداء تمثيل لكفار قريش بامم كفرت بانبيائها فاهلكوا وفى ضمن ذلك الوعيد بان يحل بهؤلاء نحو ماحل باولائك والملأُ الاشراف والجنة الجنون وحتى حين معناه الى وقت يريحكم القدر منه ثم ان نوحا عليه السلام دعا على قومه حين يئس منهم وان كان دعاؤه فى هذه الآية ليس بنص وانما هو ظاهر من قوله بما كذبون فهذا يقتضى طلب العقوبة واما النصرة بمجردها فكانت تكون بردهم الى الايمان * وقوله عز وجل فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذاجاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول منهم ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله قوله باعيننا عبارة عن الادراك هذا مذهب الحذاق ووقفت الشريعة على اعين وعين ولايجوز ان يقال عينان من حيث لم توقف الشريعة على التثنية ووحينا معناه فى كيفية العمل ووجه البيان لجميع حكم السفينة وما يحتاج اليه وامرنا يحتمل ان يكون واحد الاوامر ويحتمل ان يريد واحد الامور والصحيح من الاقوال فى التنور انه تنور الخبز وانها امارة كانت بين الله تعالى وبين نوح عليه السلام * وقوله فاسلك معناه فادخل يقال سلك واسلك بمعنى وقرأ حفص عن عاصم من كل بالتنوين والباقون بغير تنوين والزوجان كل ما شأنه الاصطحاب من كل شيء نحو الذكر والانثى من الحيوان ونحو النعال

وغيرها هذا موقع اللفظة فى اللغة * وقوله واهلك يريد قرابته ثم استثنى من سبق عليه القول بانه كافر وهوابنه وامرأتـه ثم امر نوح ان لا يراجـع ربه ولا يخاطبه شافعافى احد من الظالمين ثم امر بالدعاء فى بركة المنزل * وقوله سبحانه ان فى ذلك ءلايات خطاب لنبينا محمـد صلى الله عليه وسلم ثم اخبر سبحانـه انه يبتلى عباده الزمن بعد الزمن على جهة الوعيد لكفار قريش بهـذا الاخبـار واللام فى لمبتلين لام تاكيـد ومبتلين معنـاه مصيبين ببلاء ومختبرين اختـبارا يؤدى الى ذلك * وقوله سبحانه ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين قال الطبري رحمه الله ان هـذا القرن هم ثمود قوم صالح قال (ع) وفى جل الروايات ما يقتضى ان قوم عاد اقـدم الا انهم لم يهلكوا بصيحـة (ت) وهوظاهر ترتيب قصص القرءان ان عادا اقدم واترفناهم معناه نعمناهم وبسطنـالهم الاموال والارزاق وقولهم ايعدكم استفهام على جهة الاستبعاد وانكم الثانيـة بـدل من الاولى عند سيبويه وقولهم هيهات هيهات استبعاد وهيهات احيانا تلى الفـاعل دون لام تقول هيهات مجيء زيد اي بعد ذلك ومنـه قول جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات خل بالعقيق نواصـلـه

واحيانا يكون الفاعل محـذوفا وذلك عند وجود اللام كهذه الآية التـقدير بعد الوجود لما توعدن قال (ص) ورد بان فيـه حذف الفاعل وحذف المصدر وهو الوجود وذلك غير جائز عند البصريين وذكر ابو البقاء ان اللام زائدة وما فاعل اي بعد ماتوعدون قال ابو حيان وهذا تفسير معنى لا اعراب لانه لم تثبت مصدرية هيهات انتهى وقولهم ان هي الاحياتنا الدنيا ارادوا انه لا وجود لنا غير هذا الوجود وانما تموت منا طائفة فتذهب وتجيء طائفة جديدة وهذا هو كفر الدهرية * وقوله قال عما قليل ليصبحن نادمين المعنى قال الله لهذ النبيء الداعى عما قليـل يندم قومك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم ومن ذكر الصيحة ذهب الطبري

الى انهم قوم ثمود * وقوله بالحق اي بما استحقوا بافعالهم وبما حق منا فى عقوبتهم والغثاء ما يحمله السيل من زبده الذى لاينتفع به فيشه كل هامد وتالف بذلك قال ابوحيان وبعدا منصوب بفعل محذوف اي بعدوا بعدا اي هلكوا انتهى ثم اخبر سبحانه انه انشأ بعد هؤلاء امما كثيرة كل امة باجل وفى كتاب لاتتعداه فى وجودها وعند موتها وتترى مصدر من تواتر الشيء * وقوله سبحانه فاتبعنا بعضهم بعضا اي فى الاهلاك * وقوله تعالى وجعلناهم احاديث يريد احاديث مثل وقلما يستعل الجعل حديثا الا فى الشر وعالين معناه قاصدين للعلو بالظلم وقولهم وقومهما لنا عابدون معناه خادمون متذللون والطريق المعبد المذلل ومن المهلكين يريد بالغرق * وقوله سبحانه ولقد آتينا موسى الكتاب يعنى التوراة ولعلهم يريد بنى اسرائيل لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون والقبط والربوة المرتفع من الارض والقرار التمكن وبين انماء هذه الربوة يرى معينا جاريا على وجه الارض قاله ابن عباس والمعين الظاهر الجري للعين فالميم زائدة وهو الذى يعاين جريه لا كالبير ونحوه ويحتمل ان يكون من قولهم معن الماء اذا كثر وهذه الربوة هي الموضع الذى فرت اليه مريم وقت وضع عيسى عليه السلام هذا قول بعض المفسرين واختلف الناس فى موضع الربوة فقال ابن المسيب هي الغوطة بدمشق وهذا اشهر الاقوال لان صفة الغوطة انها ذات قرار ومعين على الكمال وقال كعب الاحبار الربوة بيت المقدس وزعم ان فى التوراة ان بيت المقدس اقرب الارض الى السماء وانه يزيد على الارض ثمانية عشر ميلا قال (ع) ويترجح ان الربوة فى بيت لحم من بيت المقدس لان ولادة عيسى هنالك كانت وحينئذ كان الايواء وقال ابن العربي فى احكامه اختلف الناس فى تعيين هذه الربوة على اقوال منها ما تفسر لغة ومنها ما تفسر نقلا فيفتقر الى صحة سنده الى النبي صلى الله عليه وسلم الا

ان هاهنا نكتة وذلك انه اذا نقل الناس نقل تواتر ان هذا موضع كذا وان هذا الامر جرى كذا وقع العلم به ولزم قبوله لان الخبر المتواتر ليس من شرطه الايمان وخبر الآحاد لابد من كون المخبر به بصفة الايمان لانه بمنزلة الشاهد والخبر المتواتر بمنزلة العيان وقد بينا ذلك فى اصول الفقه والذى شاهدت عليه الناس ورأيتهم يعينونه تعيين تواتر موضع فى سفح الجبل فى غربي دمشق انتهى وما ذكره من ان التواتر ليس من شرطه الايمان هذا هو الصحيح وفيه خلاف الا انا لا نسلم ان هذا متواتر لاختلال شرطه انظر المنتهى لابن الحاجب * وقوله سبحانه ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم يحتمل ان يكون معناه وقلنا ياايها الرسل وقالت فرقة الخطاب بقوله ياايها الرسل للنبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) والوجه فى هذا ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزا ان المقالة قد خوطب بها كل نبيء اوهي طريقتهم التى ينبغى لهم الكون عليها كما تقول لعالم ياعلماء انكم ائمة يقتدى بكم فتمسكوا بعلمكم وقال الطبري الخطاب لعيسى (ت) والصحيح فى تاويل الآية انه امر للمرسلين كما هو نص صريح فى الحديث الصحيح فلا معنى للتردد فى ذلك وقد روى مسلم والترمذي عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وقال ياايها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك اهـ * وقوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهذه

الآية تقوى ان قوله تعالى ياايها الرسل انما هو مخاطبة لجميعهم وانه بتقدير
حضورهم واذا قدرت ياايها الرسل مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم قلق اتصال
هذه واتصال قوله فتقطعوا ومعنى الامة هنا الملة والشريعة والاشارة بهذه
الى الحنيفية السمحة ملة ابراهيم عليه السلام وهو دين الاسلام * وقوله سبحانه
فتقطعوا يريد الامم اي افترقوا وليس بفعل مطاوع كما تقول تقطع الثوب
بل هوفعل متعد بمعنى قطعوا وقرأ نافع زبرا جمع زبور وهذه القراءة تحتمل
معنيين احدهما ان الامم تنازعت كتبا منزلة فاتبعت فرقة الصحف وفرقة
التوراة وفرقة الانجيل ثم حرف الكل وبدل وهذا قول قتادة والثانى انهم
تنازعوا امرهم كتبا وضعوها وضلالة الفوها قاله ابن زيد وقرأ ابوعمرو بخلاف
زبرا بضم الزاي وفتح الباء ومعناها فرقا كزبر الحديد ومن حيث كان
ذكر الامم فى هذه الآية مثالا لقريش خاطب الله سبحانه نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم فى شأنهم متصلا بقوله فذرهم اي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة
من تقدم والغمرة ما عمهم من ضلالهم وفعل بهم فعل الماء الغمر بما حصل فيه
والخيرات هنا نعم الدنيا * وقوله سبحانه والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
الآية اسند الطبري عن عائشة انها قالت قلت يارسول الله قوله تعالى يوتون
ما اتوا اهي فى الذى يزنى ويسرق قال لا يابنت ابى بكر بل هي فى الرجل
يصوم ويتصدق وقلبه وجل يخاف ان لا يتقبل منه قال (ع) ولا نظر مع
الحديث والوجل نحو الاشفاق والخوف وصورة هذا الوجل اما المخلط فينبغى
ان يكون ابدا تحت خوف من ان يكون ينفذ عليه الوعيد بتخليطه واما
التقي اوالتائب فخوفه امر الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت وفى قوله تعالى انهم
الى ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وقال الحسن معناه الذين يفعلون ما يفعلون
من البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم وهذه عبارة حسنة

وروي عن الحسن ايضا انه قال المومن يجمع احسانا وشفقة والمنافق يجمع اساءة وامنا (ت) ولهذا الخطب العظيم اطال الاوليـاء فى هذه الدار حزنهم واجروا على الوجنات مدامعهم قال ابن المبـارك فى رقائقه اخبرنا سفيان قال انما الحزن على قدر البصيرة قال ابن المبارك واخبرنا مالك بن مغول عن رجل عن الحسن قال ماعبد الله بمثل طول الحزن وقال ابن المبارك ايضا اخبرنا مسعر عن عبد الاعلى التيمي قال ان من اوتي من العلم مالا يبكيه لخليق ان لايكون اوتي علما ينفعه لان الله تعالى نعت العلماء فقال ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم الى قوله ويخرون للاذقان يبكون انتهى * وقوله سبحانه اولائك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون اي اليها سابقون وهذا قول بعضهم فى قوله لها وقالت فرقة معناه وهم من اجلها سابقون وقال الطبري عن ابن عباس المعنى سبقت لهم السعادة فى الازل فهم لها ورجحه الطبري بان اللام متمكنة فى المعنى * وقوله سبحانه ولدينا كتاب ينطق بالحق اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصاء الاعمال الذى ترفعه الملائكة وقيل الاشارة الى القرءان والاول اظهر * وقوله سبحانه بل قلوبهم فى غمرة من هذا اختلف فى الاشارة بقوله من هذا هل هي الى القرءان او الى كتاب الاحصاء او الى الدين بجملته اوالى النبي صلى الله عليه وسلم ولهم اعمال اي من الفساد هم لها عاملون فى الحال والاستقبال والمترف المنعم فى الدنيا الذى هو منها فى سرف ويجءرون معناه يستغيثون بصياح كصياح البقر وكثر استعال الجؤار فى البشر ومنه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليك * طورا سجودا وطورا جؤارا

وقال (ص) جار الرجل الى الله تعالى اي تضرع قاله الحوفي انتهى وذهب مجاهد وغيره الى ان هذا العذاب المذكور هو الوعيد بيوم بدر وقيل غير هذا * وقوله سبحانه لا تجءروا اليوم اي يقال لهم يوم العذاب لا تجءروا اليوم *

وقوله قدكانت آياتى تتلى عليكم يعنى القرءان وتنكصون معنـاه ترجعون وراءكم
وهذه استعارة للاعراض والادبار عن الحق ومستكبرين حال والضمير فى به عائد
على الحرم والمسجد وان لم يتقدم له ذكر لشهرته والمعنى انكم تعتقدون فى
نفوسكم ان لكم بالمسجد الحرام اعظم الحقوق على الناس والمنزلة عند الله فانتم
تستكبرون لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت فرقة الضمير عائد على
القرءان المعنى يحدث لكم سماع ءاياتى كبرا وطغيانا وهذا قول جيد وذكر منذر
ابن سعيد ان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بما بعده كأن الكلام تم
فى قوله مستكبرين ثم قال بمحمد عليه السلام سامرا تهجرون وسامرا حال وهو
مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر
وهو ما يقع على الاشخاص من ضوء القمر وكانت العرب تجلس للسمر تتحدث
وهذا اوجب معرفتها بالنجوم لانها تجلس فى الصحراء فترى الطوالع من
الغوارب وقرأ ابو رجاء سمارا وقرأ ابن عباس وغيره سمرا وكانت قريش تسمرحول
الكعبة فى اباطيلها وكفرها وقرأ السبعة غير نافع تهجرون بفتح التاء وضم الجيم قال
ابن عباس معناه تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجران المعروف وقال
ابن زيد هو من هجر المريض اذا هذى اي تقولون اللغو من القول وقاله ابو
حاتم وقرأ نافع وحده تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وهي قراءة اهل المدينة ومعناه
تقولون الفحش والهجر من القول وهذه اشارة الى سبهم النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه قاله ابن عباس ايضا وغيره ثم وبخهم سبحانه بقوله افلم يدبروا القول
لانهم بعد التدبر والنظر الفاسد قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وغير ذلك ام
جاءهم مالم يات ءاباءهم الاولين اي ليس ببدع بل قد جاء آباءهم الاولين
وهم سالف الامم الرسل كنوح وابراهيم واسماعيل وغيرهم وفى هذا التاويل من
التجوز ان جعل سالف الامم ءاباء اذ الناس فى الجملة ءاخرهم من اولهم

ام لم يعرفوا رسولهم المعنى الم يعرفوا صدقه وامانته مدة عمره صلى الله عليه سلم * وقوله سبحانه ولو اتبع الحق اهواءهم قال ابن جريج وابو صالح الحق الله تعالى قال (ع) وهذا ليس من نمط الآية وقال غيرهما الحق هنا الصواب والمستقيم قال (ع) وهـذا هو الاحرى ويستقيم على هذا فساد السموات والارض ومن فيهن لوكان بحكم هوى هؤلاء وذلك انهم جعلوا لله شركاء واولادا ولوكان هذا حقا لم تكن لله عز وجل الصفات العلية ولو لم تكن له سبحانه لم تكن الصنعة ولا القدرة كما هي وكان ذلك فساد السموات والارض ومن فيهن لوكان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا * وقوله سبحانه بل اتيناهم بذكرهم قال ابن عباس بوعظهم ويحتمل بشرفهم وهو مروي ام تسئلهم خرجا الخرج والخراج بمعنى وهو المال الذى يجبى ويوتى به لاوقات محدودة * وقوله سبحانه فخراج ربك خير يريد ثوابه ويحمل ان يريد بخراج ربك رزقه ويؤيده قوله وهو خير الرازقين والصراط المستقيم دين الاسلام وناكبون اي مجادلون ومعرضون وقال البخاري لنا كبون لعادلون انتهى قال ابو حيان يقال نكب عن الطريق ونكب بالتشديد اي عدل عنه انتهى ثم اخبر تعالى عنهم انهم لوزال عنهم القحط ومن الله عليهم بالخصب ورحمهم بذلك لبقوا على كفرهم ولجوا فى طغيانهم وهذه الآية نزلت فى المدة التى اصاب فيها قريشا السنون الجدبة والجوع الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف الحديث ولقد اخذناهم بالعذاب قال ابن عباس وغيره هو الجوع والجدب حتى أكلوا الجلود وما جرى مجراها وروي انهم لما بلغهم الجهد ركب ابو سفيان وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال يامحمد الست ترعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال قد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع وقد اكلنا العِلْهِز فنزلت الآية واستكانوا معناه تواضعوا وانخفضوا * وقوله سبحانه حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد الآية

توعد بعذاب غير معين وهذا هو الصواب وهذه المجاعة انما كانت بعد وقعة بدر والمبلس الذى قد نزل به شر ويئس من زواله ونسخه بخير ثم ابتدأ تعالى بتعديد نعم فى نفس تعديدها استدلال بها على عظم قدرته سبحانه فقال وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار الاية انشأ بمعنى اخترع والافئدة القلوب وذرأ بث وخلق * وقوله بل اضراب والجحد قبله مقدركانه قال ليس لهم نظر فى هذه الآيات اونحو هذا والاولون يشير به الى الامم الكافرة كعاد وثمود * وقوله تعالى لقد وعدنا نحن وءاباؤنا هذا من قبل الآية قولهم وءاباؤنا ان حكى المقالة عن العرب فمرادهم من سلف من العالم جعلوهم ءاباء من حيث النوع واحد وكونهم سلفا وفيه تجوز وان حكى ذلك عن الاولين فالامر مستقيم فيهم * وقوله سبحانه قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون امر الله تعالى نبيه عليه السلام بتوقيفهم على هذه الاشياء التى لايمكنهم الا الاقرار بها ويلزم من الاقرار بها توحيد الله واذعانهم لشرعه ورسالة رسله وقرأ الجميع فى الاول لله بلا خلاف واختلف فى الثانى والثالث فقرأ ابوعمرو وحده الله جوابا على اللفظ وقرأ باقى السبعة لله جوابا على المعنى كانه قال فى السؤال لمن ملك السموات السبع * وقوله سبحانه فانى تسحرون استعارة وتشبيه لما وقع منهم من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها ما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك وقالت فرقة تسحرون معناه تمنعون وحكى بعضهم ذلك لغة والاجارة المنع والمعنى ان الله اذا اراد منع احد فلا يُقدَر عليه واذا اراد اخذه فلا مانع له * وقوله سبحانه وانهم لكاذبون اي فيما ذكروه من الصاحبة والولد والشريك تعالى الله

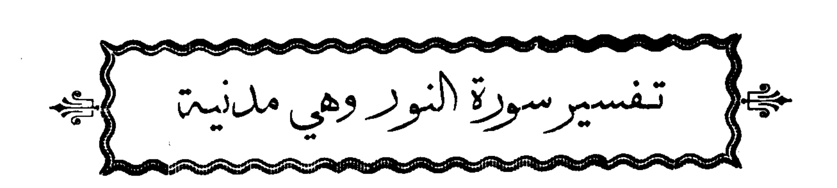
عن قولهم علوا كبيرا وفى قوله سبحانه وماكان معه من اله الآية دليل التمانع وهذا هو الفساد الذى تضمنه قوله تعالى لوكان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا والجزء المخترع محال ان تتعلق به قدرتان فصاعدا وقدتقدم الكلام على هذا الدليل فاغنى عن اعادته * وقوله اذا جواب لمحذوف تقديره لوكان معه اله اذا لذهب * وقوله عالم الغيب المعنى هوعالم الغيب وقرأ ابوعمرو وغيره عالم بالجر اتباعا للمكتوبة * وقوله سبحانه قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة انكان قضى ان يرى ذلك وان شرط وما زائدة وترينى جزم بالشرط لزمته النون الثقيلة وهي لا تفارق اما عند المبرد ويجوز عند سيبويه ان تفارق ولكن استعمال القرءان لزومها فمن هنالك الزمه المبرد وهذا الدعاء فيه استصحاب الخشية والتحذير من الامر المعذب من اجله ثم نظيره لسائر الامة دعاء فى حسن الخاتمة وقوله ثانيا رب اعتراض بين الشرط وجوابه * وقوله سبحانه ادفع بالتى هي احسن السيئة امر بالصفح ومكارم الاخلاق وما كان منها لهذا فهو محكم باق فى الامة ابدا وماكان بمعنى الموادعة فمنسوخ بءاية القتال * وقوله نحن اعلم بما يصفون يقتضى انها ءاية موادعة وقال مجاهد الدفع بالتى هي احسن هو السلام تسلم عليه اذا لقيته وقال الحسن والله لايصيبها احد حتى يكظم غيظه ويصفح عما يكره وفى الآية عدة للنبي صلى الله عليه وسلم اي اشتغل انت بهذا وكل امرهم الينا ثم امره سبحانه بالتعوذ من همزات الشياطين وهي سورات الغضب التي لايملك الانسان فيها نفسه وكانها هي التى كانت تصيب المومنين مع الكفار فتقع المجادلة ولذلك اتصلت بهذه الآية وقال ابن زيد همز الشيطان الجنون وفى مصنف ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اعوذ بك من الشيطان همزه ونفخه ونفثه قال

ابو داود همزه المُوتة ونفخه الكبر ونفثه السحر قال (ع) والنزغات وسورات
الغضب من الشيطان وهي المتعوذ منها فى الآية واصل الهمز الدفع والوكز
بيدا وغيرها (ت) قال صاحب سلاح المومن وهمزات الشياطين خطراتها التى
تخطرها بقلب الانسان انتهى وقال الواحدي همزات الشياطين نزغاتها ووساوسها
انتهى * وقوله سبحانه حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت حتى فى هذا الموضع حرف ابتداء والضمير فى قوله
احدهم للكفار وقوله ارجعون اي الى الحياة الدنيا والنون فى ارجعون نون العظمة
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المومن الموت قالت له الملائكة
نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدما الى الله واما الكافر فيقول
ارجعون لعلي اعمل صالحا * وقوله كلا رد وزجر * وقوله انها كلمة هو قائلها
تحتمل ثلاثة معان احدها الاخبار الموكد بان هذا الشيء يقع ويقول هذه
الكلمة الثانى ان يكون المعنى انها كلمة لا تغني اكثر من انه يقولها ولا نفع له فيها
ولا غوث الثالث ان يكون اشارة الى انه لورد لعاد والضمير فى ورائهم للكفار
والبرزخ فى كلام العرب الحاجز بين المسافتين ثم يستعار لما عدا ذلك وهوهنا
للمدة التى بين موت الانسان وبين بعثه هذا اجماع من المفسرين * وقوله
عز وجل فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم الآية قال ابن مسعود وغيره
هذا عند النفخة الثانية وقيام الناس من القبور فهم حينئذ لهول المطلع
واشتغال كل امرئ بنفسه قد انقطعت بينهم الوسائل وزال انتفاع الانساب
فلذلك نفاها سبحانه والمعنى فلا انساب نافعة وروي عن قتادة انه ليس احد
ابغض الى الانسان فى ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف ان يكون له عنده
مظلمة وفى ذلك اليوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ويفرح
كل احد يومئذ ان يكون له حق على ابنه وابيه وقد ورد بهذا حديث وكانّ

ارتفاع التساؤل لهذه الوجوه ثم تاتى فى القيامة مواطن يكون فيها السؤال والتعارف قال (غ) وهذا التاويل حسن وهومروي المعنى عن ابن عباس وذكر البزار من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملك موكل بالميزان فيوتى بابن ءادم فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا انتهى من العاقبة وروى ابو داود فى سننه عن عائشة انها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون اهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا عند الميزان حتى يعلم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الكتاب حتى يقول هاؤم اقرءوا كتابيه حتى يعلم اين يعطى كتابه افى يمينه ام فى شماله ام من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم انتهى ولفح النار اصابتها بالوهج والاحراق والكلوح انكشاف الشفتين عن الاسنان وقد شبه ابن مسعود ما فى الآية بما يعترى رءوس الكباش اذا شيطت بالنارفانها تكلح ومنه كلوح الكلب والاسد (ت) وفى الترمذي عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته الحديث قال ابوعيسى هذا حديث حسن صحيح غريب انتهى وهذا هو المعول عليه فى فهم الآية واما قول البخاري كالحون معناه عابسون فغير ظاهر ولعله لم يقف على الحديث * وقوله سبحانه الم تكن آياتى اي يقال لهم والآيات هنا القرءان وقرأ حمزة شقاوتنا ثم وقع جواب رغبتهم بحسب ما حتمه الله من عذابهم بقوله اخسءوا فيها ولا تكلمون ويقال ان

هذه الكلمة اذا سمعوها يئسوا من كل خير فتنطبق عليهم جهنم ويقع اليأس
عافانا الله من عذابه بمنه * وقوله اخسئوا زجروهو مستعمل فى زجر الكلاب *
وقوله عز وجل انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا ءامنا الآية الهاء فى
انه مبهمة وهي ضمير الامر والشان والفريق المشار اليه كل مستضعف من المومنين
يتفق ان تكون حاله مع كفار مثل هذه الحال ونزلت الآية فى كفار قريش
مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية
الدهر وقرأ نافع وحمزة والكساءي سخريا بضم السين والباقون بكسرها فقيل
هما بمعني واحد ذكر ذلك الطبري وقال ذلك ابوزيد الانصاري انهما بمعنى الهزء
وقال ابوعبيدة وغيره ان ضم السين من السخرة والاستخدام وكسرها من السخر
وهو الاستهزاء ومعنى الاستهزاء هنا اليق الاترى الى قوله وكنتم منهم تضحكون *
وقوله سبحانه كم لبثتم فى الارض عدد سنين الآية قوله فى الارض قال الطبري معناه
فى الدنيا احياء وعن هذا وقع السؤال ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا
يوما او بعض يوم والغرض توقيفهم على ان اعمارهم قصيرة اداهم الكفر فيها
الى عذاب طويل عافانا الله من ذلك بمنه وقال الجمهور معناه كم لبثتم فى جوف
التراب امواتا قال (ع) وهذا هو الاصوب من حيث انكروا البعث وكان قولهم
انهم لايقومون من التراب وقوله ءاخرا وانكم الينا لا ترجعون يقتضى ما
قلناه (ت) الآيات محتملة للمعنيين والله اعلم بما اراد سبحانه قال البخاري قال
ابن عباس فاسأل العادين اي الملائكة انتهى (ص) قرأ الجمهور العادين
بتشديد الدال اسم فاعل من عد وقرأ الحسن والكساءي فى رواية العادين
بتخفيف الدال اي الظلمة وان من قوله ان لبثتم نافية اي ما لبثتم الا قليلا اه وعبثا
معناه باطلا لغير غاية مرادة وخرج ابو نعيم الحافظ عن حنش الصنعاني عن ابن
مسعود انه قرأ فى اذن مبتلى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى ءاخر السورة فافاق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقرأت فى اذنه قال قرأت افحسبتم الى آخرالسورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال انتهى وخرجه ابن السني ايضا ذكره النووي * وقوله سبحانه فتعالى الله الملك الحق المعنى فتعالى الله عن مقالتهم فى دعوى الشريك والصاحبة والولد ثم توعد سبحانه عبدة الاوثان بقوله فانما حسابه عند ربه وفى حرف عبد الله عند ربك وفى حرف ابي عند الله ثم امرتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالدعاء والذكر له فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين



* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها الآية معنى فرضنا اوجبنا واثبتنا وقال الثعلبي والواحدي فرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام انتهى وقال البخاري قال ابن عباس سورة انزلناها بيناها انتهى وما تقدم ابين (ص) فرضناها الجمهور بتخفيف الراء اي فرضنا احكامها وابو عمرو وابن كثير بتشديد الراء اما للمبالغة فى الايجاب واما لان فيها فرائض شتى انتهى والآيات البينات امثالها ومواعظها واحكامها * وقوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآية هذه الآية ناسخة لآية الحبس باتفاق وحكم المحصنين منسوخ بآية الرجم والسنة المتواترة على ماتقدم فى سورة النساء وقرأ الجمهور

رأفـة بهمزة سـاكنة من رأف اذا رق ورحم والرأفـة المنهـي عنها هي فى اسقـاط الحـد اي اقيموه ولابد وهذا تاويل ابن عمر وغيره وقال قتـادة وغيره هي فى تخفف الضرب عن الزناة ومن رأيهم ان يخفف ضرب الخمر والفرية دون ضرب الزنا * وقوله تعـالى وليشهد عذابهما طائفـة من المومنـين اي اغلاظا على الزناة وتوبيخا لهم ولاخلاف ان الطائفة كلما كثرت فهو اليـق بامتثال الامرواختلف فى اقل ما يجزئ فقال الزهري الطائفة ثلاثة فصاعـدا وقال عطاء لابد من اثنين وهذا هو مشهور قول مالك فرءاها موضع شهادة * وقـوله تعـالى الزانى لاينـكح الازانيـة اومشركة مقصد الآيـة تشنيع الزنا وتشنيع امره وانه محرم على المومنين ويريد بقوله لاينكح اي لايطـأ فالنكاح هنا بمعنى الجماع كقوله تعـالى حتى تنكح زوجا غيره وقد بينـه صلى الله عليـه وسلم فى الصحيح انـه بمعـنى الوطء حيث قال لاحتى تـذوق عسيلته الحديث وتحتمل الآيـة وجوها هذا احسنها * وقوله سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهـداء الآية نزلت بسبب القاذفـين وذكـر تعالى فى الآيـة قـذف النساء من حيث هو اهم وابشـع وقذف الرجال داخل فى حكم الآية بالمعنى والاجماع على ذلك والمحصنات هنا العفائف وشدد تعالى على القاذف باربعـة شهداء رحمـة بعباده وسترا لهم وحكم شهادة الاربعـة ان تكون على معاينـة مبالغة كالمرود فى المكحلة فى موطن واحد فان اضطرب منهم واحـد جلد الثلاثـة والجلد الضرب ثم امرتعالى ان لاتقبل للقـذفـة المحدودين شهادة ابدا وهذا يقتضى مدة اعمارهم ثم حكم بفسقهم ثم استثنى تعالى من تاب واصلح من بعد القذف فالاستثناء غيرعامل فى جلده باجماع وعامل فى فسقـه باجماع واختلف فى عمله فى رد الشهادة والجمهـورانه عامل فى رد الشهادة فاذا تاب القاذف قبلت شهادته ثم اختلـفوا فى صورة توبتـه فقيل بان يكذب

نفسه والالم تقبل وقالت فرقة منها مالك توبته ان يصلح وتحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب واختلف فقهاء المالكية متى تسقط شهادة القاذف فقال ابن الماجشون بنفس قذفه وقال ابن القاسم وغيره لاتسقط حتى يجلد فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته قال اللخمي شهادته فى مدة الاجل للاثبات موقوفة وتابوا معناه رجعوا وقد رجح الطبري وغيره قول مالك واختلف ايضا على القول بجواز شهادته فقال مالك تجوز فى كل شيء باطلاق وكذلك كل من حد فى شيء وقال سحنون من حد فى شيء فلاتجوز شهادته فى مثل ماحد فيه واتفقوا فيما احفظ على ولد الزنا ان شهادته لاتجوز فى الزنا * وقوله سبحانه والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الآية لما رمى هلال بن امية الواقفي زوجته بشريك بن سحماء عزم النبي صلى الله عليه وسلم على ضربه حد القذف فنزلت هذه الآية حسبما هو مشروح فى الصحاح فجمعهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد وتلاعنا وجاء ايضا عويمر العجلاني فرمى امرأته ولاعن والمشهور ان نازلة هلال قبل وانها سبب الآية والازواج فى هذه الآية يعم المسلمات والكافرات والاماء فكلهن يلاعنهن الزوج للانتفاء من الحمل وتختص الحرة بدفع حد القذف عن نفسها وقرأ السبعة غير نافع ان لعنة وان غضب بتشديد ان فيهما ونصب اللعنة والغضب والعذاب المدرأ فى قول الجمهور هو الحد وجعلت اللعنة للرجل الكاذب لانه مفترمباهت فابعد باللعنة وجعل الغضب الذى هو اشد على المرأة التى باشرت المعصية بالفعل ثم كذبت وباهتت بالقول والله اعلم واجمع مالك واصحابه على وجوب اللعان بادعاء الرؤية زنا لاوطء من الزوج بعده وذلك مشهور المذهب وقال مالك ان اللعان يجب بنفي حمل يدعى قبله استبراء والمستحب من الفاظ اللعان ان يمشي مع ترتيب القرءان ولفظه فيقول الزوج اشهد بالله

لرأيت هذه المرأة تزنى وانى فى ذلك لمن الصادقين ثم يقول فى الخامسة ولعنة الله علي ان كنت من الكاذبين واما فى لعان نفي الحمل فيقول ماهذا الولد مني وتقول المرأة اشهد بالله مازنيت وانه فى ذلك لمن الكاذبين ثم تقول غضب الله علي ان كان من الصادقين فان منع جهلهما من ترتيب هذه الالفاظ واتيا بما فى معناها اجزأ ذلك ومشهور المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة ولايحتاج معها الى تفريق حاكم وتحريم اللعان ابدي باتفاق فيما احفظ من مذهب مالك وجواب لولا محذوف تقديره لكشف الزناة بابسر من هذا او لاخذهم بعقابه ونحو هذا * وقوله تعالى ان الذين جاءو بالافك الآية نزلت فى شأن ام المومنين عائشة رضي الله عنها ففى البخاري فى غزوة بنى المصطلق عن عائشة رضي الله عنها قالت وانزل الله العشر الآيات فى براءتى ان الذين جاءو بالافك الآيات والافك الزور والكذب وحديث الافك فى البخاري ومسلم وغيرهما مستوعب والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين * وقوله سبحانه لا تحسبوه خطاب لكل من ساءه ذلك من المومنين * وقوله تعالى بل هوخيرلكم معناه انه تبرئة فى الدنيا وترفيع من الله تعالى فى ان نزل وحيه بالبراءة من ذلك واجر جزيل فى الآخرة وموعظة للمومنين فى غابر الدهر واكتسب مستعملة فى المئاثم والاشارة بقوله تعالى والذى تولى كبره هي الى عبد الله بن ابي ابن سلول وغيره من المنافقين وكبره مصدر كبرالشيء وعظم ولكن استعملت العرب ضم الكاف فى السن * وقوله تعالى لولا اذسمعتوه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا الآية الخطاب للمومنين حاشى من تولى كبره وفى هذا عتاب للمومنين اي كان الانكار واجبا عليهم ويقيس فضلاء المومنين الامر على انفسهم فاذا كان ذلك يبعد فيهم فام المومنين ابعد لفضلها ووقع هذا النظر السديد من ابى ايوب

وامرأته وذلك انه دخل عليها فقالت له ياابا ايوب اسمعت ما قيل فقال نعم
وذلك الكذب اكنت انت ياام ايوب تفعلين ذلك قالت لاوالله قال فعائشة
والله افضل منك قالت ام ايوب نعم فهذا الفعل ونحوه هوالذى عاتب الله فيه
المومنين اذلم يفعله جميعهم والضمير فى قوله لولا جاءو اللذين تولوا كبره *
وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم
فيه عذاب عظيم هذا عتاب من الله تعالى بليغ فى تعاطيهم هذا الحديث وان
لم يكن المخبر والمخبر مصدقين ولكن نفس التعاطى والتلقى من لسان
الى لسان والافاضة فى الحديث هوالذى وقع العتاب فيه وقرأ ابن يعمروعائشة
رضي الله عنها وهي اعلم الناس بهذا الامراذ تلقونه بفتح التاء وكسراللام
وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قول العرب ولق الرجل ولقا اذا كذب
وحكى الطبري ان هذه اللفظة ماخوذة من الولق الذى هو اسراعك بالشيء
بعد الشيء يقال ولق فى سيره اذا اسرع والضمير فى تحسبونه للحديث والخوض
فيه والاذاعةله * وقوله تعالى سبحانك اي تنزيها لله ان يقع هذا من زوج
نبيه صلى الله عليه وسلم وحقيقة البهتان ان يقال فى الانسان ما ليس فيه والغيبة
ان يقال فى الانسان ما فيه ثم وعظهم تعالى فى العودة الى مثل هذه الحالة *
وقوله سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين ءامنوا الآية قال
مجاهد وغيره الاشارة بهذه الآية الى المنافقين وعذابهم الاليم فى الدنيا الحدود
وفى الآخرة النار وقالت فرقة الآية عامة فى كل قاذف وهذا هوالاظهر *
وقوله تعالى والله يعلم معناه يعلم البرئ من المذنب ويعلم سائر الامور وجواب لولا
ايضا محذوف تقديره لفضحكم بذنوبكم اولعذبكم ونحوه * وقوله تعالى ياايها
الذين ءامنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان الآية خطوات جمع خطوة وهي ما بين
القدمين فى المشي فكان المعنى لاتمشوا فى سبله وطرقه (ت) وفى قوله سبحانه

ولولا فضل الله عليكم ورحمتــه ما زكى منكم من احد ابدا ما يردع العاقل عــن
الاشتغال بغيره ويوجب له الاهتمام باصــلاح نفسه قبل هجوم منيته وحــلول
رمسه وحدث ابو عمر فى التمهيد بسنده عن اسماعيل بن كثير قال سمعت مجاهدا
يقول ان الملائكة مع ابن ءادم فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك
مثله واذا ذكره بشر قالت الملائكة ابن ءادم المستور عورته اربع على نفســك
واحمد الله الذى يستر عورتك انتهى وروينـا فى سنن ابى داود عن سهــل بن
معاذ بن انس الجهني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حمى مومنا
من منافق اراه قال بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى
مسلما بشيء يريد به شينه حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال
وروينـا ايضا عن ابي داود بسنده عن جابر بن عبـد الله وابي طلحة بن سهــل
الانصاريين انهـما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مـا من امرئى يخذل
امرءا مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتـقص فيه من عرضه الا خذله الله
فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرئى ينصر مسلما فى موضع ينتـقص فيه
من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى موضع يحب فيه نصرته انـتهى
ثم ذكر تعالى انه يزكى من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح امارة
على سبق السعادة له * وقوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم الآية المشهور
من الروايات ان هذه الآية نزلت فى قصة ابى بكر رضي الله عنه ومسطح بن
أثاثة وكان من قرابة ابي بكر وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته فلما وقع امر الافك
بلغ ابا بكر انه وقع مسطح مع من وقع فحلف ابو بكر لا ينفـق عليه ولا ينفعه بنافعــة
ابدا فجاء مسطح معتذرا وقال انما كنت اسمع ولا اقول فنزلت الآية والفضل
الزيادة فى الدين والسعة هنا هي المال ثم قال تعالى الا تحبون ان يغفر الله لـكم الآية
اي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم فروينا ان ابا بكر قال

بلى انى احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح ما كان يجرى عليه من النفقة والاحسان قال ابن العربي فى احكامه وفى هذه الآية دليل على ان الحنث اذا رءاه الانسان خيرا هو اولى من البر ولقول النبي صلى الله عليه وسلم فرأى غيرها خيرا منها فليات الذى هو خير وليكفر عن يمينه انتهى وقال بعض الناس هذه ارجى ءاية فى كتاب الله عز وجل من حيث لطف سبحانه بالقذفة العصاة بهذا اللفظ قال (ع) وانما تعطى الآية تفضلا من الله تعالى فى الدنيا وانما الرجاء فى الآخرة اما ان الرجاء فى هذه الآية بقياس اي اذا امر اولى الفضل والسعة بالعفو فطرد هذا التفضل بسعة رحمته سبحانه لارب غيره وانما ءايات الرجاء قوله تعالى قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله لطيف بعباده وسمعت ابى رحمه الله يقول ارجى ءاية فى كتاب الله عندى قوله تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقال بعضهم ارجى ءاية قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى * وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الآية قال ابن جبير هذه الآية خاصة فى رماة عائشة وقال ابن عباس وغيره بل ولجميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لمكانهن من الدين ولم يقرن بآخر الآية توبة قال (ع) وقاذف غيرهن له اسم الفسق وذكرت له التوبة ولعن الدنيا الابعاد وضرب الحد والعامل فى قوله يوم فعل مضمر تقديره يعذبون يوم او نحو هذا والدين فى هذه الآية الجزاء وفى مصحف ابن مسعود وابي يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم بتقديم الصفة على الموصوف * وقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين يقوى قول من ذهب ان الآية فى المنافقين عبد الله بن ابي وغيره * وقوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية قال ابن عباس وغيره الموصوف بالخبث والطيب الاقوال والافعال وقال ابن زيد الموصوف بالخبث والطيب النساء والرجال ومعنى هذا التفريق بين حكم ابن ابي واشباهه وبين حكم النبي صلى الله عليه

وسلم وفضلاء اصحابه وامته * وقوله تعالى اولئك مبرءون اشارة الى الطيبين المذكورين وقيل الاشارة باولئك الى عائشة رضي الله عنها ومن فى معناها * وقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا سبب هذه الآية فيماروى الطبري ان امرأة من الانصار قالت يارسول الله انى اكون فى منزلى على الحال التى لااحب ان يرانى احد عليها لاوالد ولا ولد وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلى وانا على تلك الحال فنزلت هذه الآية ثم هي عامة فى الامة غابر الدهر وبيت الانسان هو الذى لااحد معه فيه او البيت الذى فيه زوجته او امته وما عدا هذا فهو غير بيته وتستانسوا معناه تستعلموا من فى البيت وتستبصروا تقول آنست اذا علمت عن حس واذا ابصرت ومنه قوله تعالى آنستم منهم رشدا واستانس وزنه استفعل فكان المعنى فى تستانسوا تطلبوا ان تعلموا مايونسكم ويونس اهل البيت منكم واذا طلب الانسان ان يعلم امر البيت الذى يريد دخوله فذلك يكون بالاستيذان على من فيه او بان يتنحنح ويشعر بنفسه باي وجه امكنه وبتأنى قدر ما يتحفظ منه ويدخل اثر ذلك وذهب الطبري فى تستانسوا الى انه بمعنى حتى تونسوا اهل البيت بانفسكم بالتنحنح والاستيذان ونحوه وتونسوا نفوسكم بان تعلموا ان قد شعر بكم قال (ع) وتصريف الفعل يابى ان يكون من انس وقرأ ابي وابن عباس حتى تستاذنوا وتسلموا وصورة الاستيذان ان يقول الانسان السلام عليكم أأدخل فان اذن له دخل وان امر بالرجوع انصرف وان سكت عنه استاذن ثلاثا ثم ينصرف جاءت فى هذا كله ءاثار والضمير فى قوله تجدوا فيها للبيوت التى هي بيوت الغير واسند الطبري عن قتادة انه قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما ادركتها ان استاذن على بعض اخوانى فيقول لى ارجع فارجع وانا مغتبط لقوله تعالى هو ازكى لكم * وقوله تعالى والله بما تعملون عليم توعد لاهل التجسس *

وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة الآية اباح سبحانه فى هذه الآية رفع الاستيذان فى كل بيت لايسكنه احد لان العلة فى الاستيذان خوف الكشفة على المحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم وباقى الآية بين ظاهر التوعد وعن مالك رحمه الله انه بلغه انه كان يستحب اذا دخل البيت غير المسكون ان يقول الذى يدخله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى اخرجه فى الموطإ * وقوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم اظهرما فى من ان تكون للتبعيض لان اول نظرة لايملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبعيض بخلاف الفروج اذ حفظها عام لها والبصرهوالباب الاكبرالى القلب وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وحفظ الفرج هو عن الزنا وعن كشفه حيث لايحل (ت) النواظر صوارم مشهورة فاغمدها فى غمد الغض والحياء من نظر المولى والاجرحك بها عدو الهوى لا ترسل بريد النظر فيجلب لقلبك ردئ الفكر غض البصر يورث القلب نورا واطلاقه يقدح فى القلب نارا انتهى من الكلم الفارقية فى الحكم الحقيقية قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى ذلك ازكى لهم يريد اطهر وانمى يعنى اذا غض بصره كان اطهرله من الذنوب وانمى لعمله فى الطاعة قال ابن العربي ومن غض البصر كف التطلع الى المباحات من زينة الدنيا وجمالها كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى يريد ما عند الله تعالى انتهى * وقوله تعالى وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن الآية امر الله تعالى النساء فى هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره من جهة الشرع النظر اليه وفى حديث ام سلمة قالت كنت اناوعائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن ام مكتوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم احتجبن فقلن انه اعمى فقال صلى الله عليه وسلم

افعميا وان انتما ومن الكلام فيها كالتى قبلها قال ابن العربي فى احكامه وكما لا يحل للرجل ان ينظر الى المرأة لا يحل للمرأة ان تنظر الى الرجل فان علاقته بها كعلاقتها به وقصده منها كقصدها منه ثم استدل بحديث ام سلمة المتقدم انتهى وحفظ الفرج يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ ثم امر تعالى بان لا يبدين زينتهن الا ما يظهر من الزينة قال ابن مسعود ظاهر الزينة هو الثياب وقال ابن جبير وغيره الوجه والكفان والثياب وقيل غير هذا قال (ع) ويظهر لى بحكم الفاظ الآية ان المرأة مامورة بان لا تبدي وان تجتهد فى الاخفاء لكل ما هو زينة ووقع الاستثناء فى كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه او اصلاح شان فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه وذكر ابو عمر الخلاف فى تفسير الآية كما تقدم قال وروي عن ابى هريرة فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال القُلب والفتخة قال جرير بن حازم القلب السوار والفتخة الخاتم انتهى من التمهيد * وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن قال ابن العربي الجيب هو الطوق والخمار هو المقنعة انتهى قال (ع) سبب الآية ان النساء كن فى ذلك الزمان اذا غطين رؤوسهن بالاخمرة سدلنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر على ذلك فامر الله تعالى بلي الخمار على الجيوب وهيئة ذلك يستر جميع ما ذكرناه وقالت عائشة رضي الله عنها رحم الله المهاجرات الاول لما نزلت هذه الآية عمدن الى اكثف المروط فشققنها اخمرة وضربن بها على الجيوب * وقوله سبحانه اونسائهن يعني جميع المومنات ويخرج منه نساء المشركين وكتب عمر الى ابى عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الذمة ان يدخلن الحمام مع نساء المسلمين فامتثل * وقوله سبحانه اوما ملكت ايمانهن يدخل فيه الاماء الكتابيات والعبيد وقال ابن عباس وجماعة لا يدخل العبد على سيدته فيرى شعرها الا ان يكون

وغدا * وقوله تعالى او التابعين يريد الاتباع ليطعموا وهم فسول الرجال الذين لا اربة لهم فى الوطء ويدخل فى هذه الصنيفة المجبوب والشيخ الفانى وبعض المتوهين والذى لا اربة له من الرجال قليل والاربة الحاجة الى الوطء والطفل اسم جنس ويقال طفل مالم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعوا بالوطء * وقوله تعالى ولا يضربن بارجلهن الآية قيل سببها ان امرأة مرت على قوم فضربت برجلها الارض فصوت الخلخال وسماع صوت هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها ذكره الزجاج ثم امر سبحانه بالتوبة مطلقة عامة من كل شيء صغير وكبير * وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الايم من لا زوجة له او لا زوج لها فالايم يقال للرجل والمرأة * وقوله والصالحين يريد للنكاح وهذا الامر بالنكاح يختلف بحسب شخص شخص ففى نازلة يتصور وجوبه وفى نازلة الندب وغير ذلك حسبما هو مذكور فى كتب الفقه قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى والصالحين من عبادكم الاظهر فيه انه امر بانكاح العبيد والاماء كما امر بانكاح الايامى وذلك بيد السادة فى العبيد والاماء كما هو فى الاحرار بيد الاولياء انتهى ثم وعد تعالى باغناء الفقراء المتزوجين طلب رضا الله عنهم واعتصاما من معاصيه ثم امر تعالى كل من يتعذر عليه النكاح ان يستعفف حتى يغنيهم الله من فضله اذ الغالب من موانع النكاح عدم المال فوعد سبحانه المتعفف بالغنى والمكاتبة مفاعلة من حيث يكتب هذا على نفسه وهذا على نفسه ومذهب مالك ان الامر بالكتابة هو على الندب وقال عطاء ذلك واجب وهو ظاهر مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه * وقوله ان علمتم فيهم خيرا قالت فرقة الخير هنا المال وقال مالك انه ليقال الخير القوة والاداء وقال عبيدة السلماني الخير هو الصلاح فى الدين * وقوله تعالى وءاتوهم قال المفسرون هو امر لكل مكاتب ان يضع عن

العبد من مال كتابته ورأى مالك هذا الامر على الندب ولم ير لقدر الوضيعة
حدا واستحسن علي بن ابى طالب رضي الله عنه ان يوضع عنه الربع وقيل الثلث
وقيل العشر ورأى عمران يكون ذلك من اول نجومه مبادرة الى الخير وخوف
ان لا يدرك آخرها ورأى مالك وغيره ان يكون الوضع من آخر نجم وعلة
ذلك انه ربما عجز العبد فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه وضيعته وهي شبه
الصدقة (ت) والظاهر ان هذا لا يعد رجوعا كما لو رجع اليه بالميراث ورأى
الشافعي وغيره ان الوضيعة واجبة يحكم بها وقال الحسن وغيره الخطاب بقوله
تعالى وآتوهم للناس اجمعين فى ان يتصدقوا على المكاتبين وقال زيد بن اسلم انما
الخطاب لولاة الامور * وقوله سبحانه ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن
تحصنا الآية روي ان سبب الآية هو ان عبد الله بن ابي ابن سلول كانت له امة
فكان يامرها بالزنا والكسب به فشكت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين وقوله ان اردن تحصنا راجع الى الفتيات
وذلك ان الفتاة اذا ارادت التحصن فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها
ويمكن ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد التحصن فلا يتصور
ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للفساد فهذا
امر فى سادة وفتيات حالهم هذه وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين
فقال بعضهم قوله ان اردن راجع الى الايامى فى قوله وانكحوا الايامى منكم
وقال بعضهم هذا الشرط فى قوله ان اردن ملغى ونحو هذا مما هو ضعيف والله
الموفق للصواب برحمته (ت) وما اختاره (ع) هو الذى عول عليه ابن العربي ونصه
وانما ذكر الله تعالى ارادة التحصن من المرأة لان ذلك هو الذى يصور الاكراه
فاما اذا كانت هي راغبة فى الزنا لم يتحصل الاكراه فحصلوه ان شاء الله انتهى من
الاحكام وقرأ ابن مسعود وغيره فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم

ثم عدد سبحانه نعمه على المومنين فى قوله ولقد انزلنا اليكم ءايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ليقع التحفظ مما وقع اولئك فيه * وقوله تعالى الله نور السموات والارض الآية النور فى كلام العرب الاضواء المدركة بالبصر ويستعمل مجازا فيما صح من المعانى ولاح فيقال كلام له نور ومنه الكتاب المنير والله تعالى ليس كمثله شيء فواضح انه ليس من الاضواء المدركة ولم يبق الا ان المعنى منور السموات والارض اي به وبقدرته انارت اضواؤها واستقامت امورها كما تقول الملك نور الامة اي به قِوام امورها وصلاح جملتها والامر فى الملك مجاز وهو فى صفة الله تعالى حقيقة محضة وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي وغيره الله نور بفتح النون والواو المشددة وفتح الراء والضمير فى نوره يعود على الله تعالى قاله جماعة وهو اضافة خلق الى خالق كما تقول ناقة الله وبيت الله ثم اختلفوا فى المراد بهذا النور فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو المومن وقيل هو الايمان والقرءان وفى قراءة ابي ابن كعب مثل نور المومنين والمشكاة هي الكوة غير النافذة فيها القنديل ونحوه وهذه الاقوال الثلاثة يطرد فيها مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل فعلى قول من قال الممثل محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب الاحبار فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة او صدره والمصباح هو النبوءة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة هي الوحي والزيت هو الحجج والبراهين وعلى قول من قال ان الممثل به هو المومن وهو قول ابي بن كعب فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه والشجرة القرءان وزيتها هو الحجج والحكمة التى تضمنها قول ابي فهو على احسن الحال يمشى فى الناس كالرجل الحي فى قبور الاموات وتحتمل الآية معنى آخر وهو ان يريد مثل نور الله الذى هو هداه فى الوضوح

كهذه الجملة من النور الذى تتخذونه انتم على هذه الصفة التى هي ابلغ صفات النور الذى هو بين ايديكم ايها البشر وقال ابو موسى المشكاة الحديدة او الرصاصة التى يكون فيها القنديل فى جوف الزجاجة والاول اصح * وقوله فى زجاجة لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه فى غير الزجاجة والمصباح الفتيل بناره * وقوله كانه كوكب دري اي فى الانارة والضوء وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما ان يريد انها فى نفسها لصفائها وجودة جوهرها وهذا التاويل ابلغ فى التعاون على النور قال الضحاك الكوكب الدري الزهرة وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بفتح التاء والدال والمراد المصباح وقرأ نافع وغيره يوقد اي المصباح * وقوله من شجرة اي من زيت شجرة والمباركة المنماة * وقوله تعالى لاشرقية ولاغربية قال الحسن اي ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره ولو كانت فى الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وقيل غير هذا * وقوله سبحانه يكاد زيتها يضيء الآية مبالغة فى صفة صفائه وحسنه * وقوله نور على نور اي هذه كلها ومعان تكامل بها هذا النور الممثل به وفى هذا الموضع تم المثال وباقى الآية بين * وقوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع قال ابن عباس وغيره هي المساجد المخصوصة بعبادة الله التى من عادتها ان تنور بهذا النوع من المصابيح وقوله اذن الله بمعنى امر وقضى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وقال الحسن معناه تعظم ويرفع شانها وذكر اسمه تعالى هو بالصلاة والعبادة قولا وفعلا ويسبح له فيها اي فى المساجد بالغدو والآصال قال ابن عباس اراد ركعتي الضحى والعصر وان ركعتي الضحى لفى كتاب الله وما يغوص عليها الا غواص ثم وصف تعالى المسبحين بانهم لمراقبتهم امر الله تعالى وطلبهم رضاه لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شيء

من امور الدنيا (ت) وعن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الناس فى صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى فينادى مناد سيعلم اهل الجمع لمن الكرم اليوم ثلاث مرات ثم يقول اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم يقول اين الذين كانوا لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله الى ءاخر الآية ثم ينادى مناد سيعلم اهل الجمع لمن الكرم اليوم ثم يقول اين الحمادون الذين يحمدون ربهم مختصرا رواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين وله طرق عن ابى اسحاق انتهى من السلاح ورواه ايضا ابن المبارك من طريق ابن عباس قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادى ثانية ستعلمون من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادى ثالثة ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون فيسرحون الى الجنة انتهى من التذكرة والزكاة هنا عند ابن عباس الطاعة لله وقال الحسن هي الزكاة المفروضة فى المال واليوم المخوف هو يوم القيامة ومعنى الآية ان ذلك اليوم لشدة هوله القلوب والابصار فيه مضطربة قلقة متقلبة (ت) ومن الكلم الفارقية سعادة القلب اقباله على مقلبه والعالم بحال مئاله ومنقلبه القلوب بحار جواهرها المعارف وسواحلها الالسنة وغواصها الفكرة النافذة غواص بحر الصور يغوص بصورته فى طلب مكسبه والعارف يغوص بمعنى قلبه فى بحار غيب ربه فيلتقط جواهر الحكمة ودرر الدراية قلوب العارفين كالبحار تنعقد فى اصداف ضمائرهم جواهر المعارف والاسرار القلوب كالاراضي الى من اسلمت اليه قلبك

بذر فيـه ما عنده امـا من بذر نفسه ووسواسه العفن المسوس او بذر فيه معرفته بالرب المقدس انتهى (ت) فان اردت سلامتك فى ذلك اليوم فليكن قلبك الآن مقبلا على طاعة مولاك فانه يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم قال الواحدي تتقلب فيـه القلوب بين الطمع فى النجـاة والخوف من الهلاك والابصار تتقلب فى اي ناحية يوخذ بهم اذات اليمين امذات الشمال ومن اي جهة يوتون كتبهم انتهى * وقوله سبحانه ليجزيهم اي فعلوا ذلك ليجزيهم احسن ماعملوا اي ثواب احسن ما عملوا ولما ذكر تعالى حالة المومنين وتنويره قلوبهم عقب ذلك بذكر الكفرة واعمالهم فقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وهي جمع قاع والقاع المنخفض البساط من الارض ويريد بجاءه جاء موضعه الذى تخيله فيه ويحتمل ان يعود الضمير فى جاءه على السراب ثم يكون فى الكلام بعد ذلك متروك يدل عليه الظاهر تقديره فكذلك الكافر يوم القيامة يظن عمله نافعا حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * وقوله ووجد الله عنده اي بالمجازات والضمير فى عنده عائد على العمل وباقى الآية وعيد بين * وقوله تعالى اوكظلمـات عطف على قوله كسـراب وهذا المثال الاخير تضمن صفـة اعمالهم فى الدنيا اي انهم من الضلال فى مثل هذه الظلمات المجتمعة من هذه الاشياء وذهب بعض الناس الى ان فى هـذا المثال اجزاء تقابـل اجزاء من الممثل به فقال الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلـة والبحر اللجي صدر الكافر وقلبه واللجي معناه ذواللجة وهي معظم الماء وغمره واجتماع ما به اشد لظلمته والموج هو الضلال والجهالة التى قـد غمرت قلبه والسحاب هو شهوته فى الكفر واعراضه عن الايمان قال (ع) وهذا التاويل سائغ وان لايقدر هذا التقابل سائغ * وقوله اذا اخرج يده لم يكد يراها لفظ يقتضي مبالغـة الظلمة واختلف فى هذه اللفظة هل معناها انه لم يريده البتة او المعنى انه رءاهـا

بعد عسر وشدة وكاد ان لايراها ووجه ذلك ان كاد اذا صحبها حرف النفي وجب الفعل الذى بعدها واذا لم يصحبها انتفى الفعل وكاد معناها قارب ☼ وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور قالت فرقة يريد فى الدنيا اي من لم يهده الله لم يهتد وقالت فرقة اراد فى الآخرة اي من لم يرحمه الله وينور حاله بالمغفرةوالرحمة فلا رحمة له قال (ع) والاول ابين واليق بلفظ الآية وايضا فذلك متلازم ونور الآخرة انما هو لمن نورقلبه فى الدنيا ☼ وقوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض الآية الرؤية هنا قلبية والتسبيح التنزيه والتعظيم والآية عامة عند المفسرين لكل شيء من العقلاء والجمادات ☼ وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه قال الزجاج وغيره المعنى كل قد علم الله صلاته وتسبيحه وقال الحسن المعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه وقالت فرقة المعنى كل قد علم صلاة الله وتسبيح الله اللذين امر بهما وهدى اليهما فهذه اضافة خلق الى خالق وباقى الآية وعيد ويزجى معناه يسوق والركام الذى يركب بعضه بعضا ويتكاثف والودق المطر قال البخاري من خلاله اي من بين اضعاف السحاب انتهى ☼ وقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل ذلك حقيقة وقد جعل الله فى السماء جبالا من برد وقالت فرقة ذلك مجاز وانما اراد وصف كثرته وهذا كما تقول عند فلان جبال من مال وجبال من العلم (ت) وحمل اللفظ على حقيقته اولى ان لم يمنع من ذلك مانع ومن كتاب الفرج بعد الشدة للقاضى ابى علي التنوخي احد الرواة عن ابى الحسن الدارقطني والمختصين به قال اخبرنا ابو بكر الصولي عن بعض العلماء قال رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرعها فجاء الناس يعزونها فرفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم انت المامول لاحسن الخلف وبيدك التعويض مما تلف فافعل بنا ما انت اهله فان ارزاقنا عليك وآمالنا مصروفة اليك قال فلم ابرح حتى مر

رجل من الاجلاء فحُدِّث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار فاجاب الله دعوتها وفرج في الحين كربتها انتهى والسنا مقصورا الضوء وبالمد المجد والباء في قوله بالابصار يحتمل ان تكون زائدة * وقوله سبحانه والله خلق كل دابة من ماء الآية ءاية اعتبار والدابة كل مادب من جميع الحيوان وقوله من ماء قال الجمهور يعني ان خلقة كل حيوان فيها مـاء كما خلق آدم من الماء والطين وقال النقـاش اراد مني الذكور والمشي على البطن للحيات والحوت والدود وغيره وعلى رجلين للانسان والطير اذا مشى وعلى اربع لسائر الحيوان وفي مصحف ابي بن كعب ومنهم من يمشي على اكثر فعمم بهذه الزيادة جميع الحيوان * وقوله تعالى لقد انزلنا آيات مبينات يعم كل ما نصب الله تعـالى من آيـة * وقوله تعالى ويقولون يعني المنافقين روي ان رجلا من المنافقين اسمه بشر دعاه يهودي الى التحاكم عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا فابى ودعا اليهودي الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الآية فيه والحيف الميل * وقوله سبحانه انما كان قول المومنين الآيـة المعنى انما كان الواجب ان يقوله المومنـون اذا دعوا الى حكم الله ورسوله سمعنا واطعنـا * وقوله سبحانـه ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون قال الغزالي في المنهاج التقوى في القرءان تطلق على ثلاثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله عز وجل واياي فاتقون وقال سبحانـه واتقوا يومـا ترجعون فيه الى الله والثـاني بمعنى الطاعة والعبادة قال تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعتـه وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فـلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهـذه هي الحقيقة في التقوى دون الاوليـين الاترى ان الله تعـالى يقول ومن يطـع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعـة والخشيـة ثم

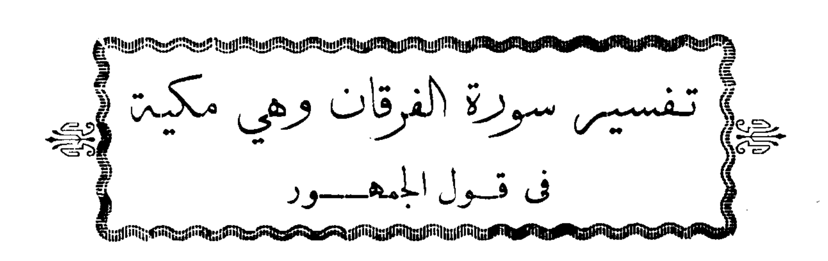
ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب عن الذنوب انتهى * وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم الآية جهد اليمين بلوغ الغاية فى تعقيدها وليخرجن معناه الى الغزو وهذه فى المنافقين الذين تولوا حين دعوا الى الله ورسوله * وقوله تعالى قل لا تقسموا طاعة معروفة يحتمل معاني احدها النهي عن القسم الكاذب اذ قد عرف ان طاعتهم دغلة فكانه يقول لا تغالطوا فقد عرف ما انتم عليه والثانى ان المعنى لا تتكلفوا القسم فطاعة معروفة على قدر الاستطاعة امثل واجدر بكم وفى هذا التاويل ابقاء عليهم وقيل غير هذا * وقوله تولوا معناه تتولوا والذى حمل النبي صلى الله عليه وسلم هو التبليغ والذى حمل الناس هو السمع والطاعة واتباع الحق وباقى الآية بين * وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية عامة لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى ان يملكهم الله البلاد كما هو الواقع فسبحانه ما اصدق وعده وقال الضحاك فى كتاب النقاش هذه الآية تتضمن خلافة ابى بكر وعمر وعثمان وعلي والصحيح فى الآية انها فى استخلاف الجمهور واللام فى ليستخلفنهم لام القسم * وقوله يعبدوننى فعل مستانف اي هم يعبدوننى * وقوله ومن كفر يحتمل ان يريد كفر هذه النعم ويحتمل الكفر المخرج عن الملة عياذا بالله من سخطه وباقى الآية بين مما تقدم فى غيرها * وقوله تعالى ياايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قيل الذين ملكت ايمانهم الرجال والنساء ورجحه الطبري وقيل الرجال خاصة وقيل النساء خاصة ومعنى الآية عند جماعة من العلماء ان الله تعالى ادب عباده بان يكون العبيد والاطفال الذين عقلوا معاني الكشفة ونحوها يستاذنون على اهليهم فى هذه الاوقات الثلاث وهي الاوقات التى تقتضى عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعرى فى المضاجع وهي عند الصباح وفى وقت

القائلة وهي الظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا علا واشتد حره وبعد العشاء لانه وقت التعرى للنوم واما فى غير هذه الاوقات فالعرف من الناس التحرز والتحفظ فلا حرج فى دخول هذه الصنيفة بغير اذن اذ هم طوافون يمضون ويجيئون لا يجد الناس بدا من ذلك * وقوله بعضكم على بعض بدل من قوله طوافون وثلاث مرات نصب على الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان ثلاثا وانما امروا بالاستيذان فى ثلاث مواطن فالظرفية فى ثلاث بينة * وقوله سبحانه كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم بين للمتأمل * وقوله سبحانه واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الآية امر تعالى فى هذه الآية ان يكونوا اذا بلغوا الحلم على حكم الرجال فى الاستيذان فى كل وقت وهذا بيان من الله عز وجل * وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم بين لا يحتاج الى تفسير * والقواعد من النساء هن اللواتى قد اسنن وقعدن عن الولد واحدتهن قاعد وقال ربيعة هي هنا التى تستقذر من كبرها قال غيره وقد تقعد المرأة عن الولد وفيها مستمتع ولما كان الغالب من النساء ان ذوات هذا السن لا مذهب للرجال فيهن ابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وقرأ ابن مسعود وابي ان يضعن من ثيابهن والعرب تقول امرأة واضع للتى كبرت فوضعت خمارها ثم استثنى عليهن فى وضع الثياب ان لا يقصدن به التبرج وابداء الزينة فرب عجوز يبدو منها الحرص على ان يظهر لها جمال والتبرج طلب البدو والظهور للعين ومنه بروج مشيدة والذى ابيح وضعه لهن الجلباب الذى فوق الخمار والرداء قاله ابن مسعود وغيره ثم ذكر تعالى ان تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلتزم الشواب من الستر افضل لهن وخير * وقوله تعالى والله سميع عليم اي سميع لما يقول كل قائل وقائلة عليم بمقصد كل احد وفى هاتين الصفتين توعد وتحذير * وقوله تعالى ليس على

الاعمى حرج الى قوله كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ظاهر الآية وامر الشريعة ان الحرج عنهم مرفوع فى كل مايضطرهم اليه العذر وتقتضى نيتهم الاتيان به بالاكمل ويقتضى العذر ان يقع منهم الانقص فالحرج مرفوع عنهم فى هذا وللناس اقوال فى الآية وتخصيصات يطول ذكرها وذكر الله تعالى بيوت القرابات وسقط منها بيوت الابناء فقال المفسرون ذلك لانها داخلة فى قوله من بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته * وقوله تعالى اوما ملكتم مفاتحه يريد ما خزنتم وصار فى قبضتكم فمعظمه ما ملكه الرجل فى بيته وتحت غلقه وهو تاويل الضحاك ومجاهد وعند جمهور المفسرين يدخل فى الآية الوكلاء والعبيد والاجراء بالمعروف وقرأ ابن جبير ملكتم مفاتيحه مبنيا للمفعول وزيادة ياء بين التاء والحاء وقرن تعالى فى هذه الآية الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة لان قرب المودة لصيق قال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا الجب قال انت لى صديق فما هذا الاستيذان قال ابن عباس فى كتاب النقاش الصديق اوكد من القرابة الاترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم * وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا رد لمذهب جماعة من العرب كانت لاتاكل افذاذا البتة نحت به نحوكرم الخلق فافرطت فى الزامه وان احضار الاكيل لحسن ولكن بان لايحرم الانفراد قال البخاري اشتاتا وشتى واحد انتهى وقال بعض اهل العلم هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الحديث وبقوله تعالى لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية وبقوله عليه السلام من حديث ابن عمر لايحلبن احدكم ماشية احد الاباذنه الحديث (ت) والحق ان لانسخ فى شيء مما ذكر وسياتى مزيد بيان لهذا المعنى * وقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا قال النخعي اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها

فان لم يكن فيها احد فالسلام ان يقول السلام على رسول الله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابن عباس وغيره المراد البيوت المسكونة اي سلموا على من فيها قالوا ويدخل فى ذلك غير المسكونة ويسلم المرء فيها على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (ت) وفى سلاح المومن وعن ابن عباس فى قوله عز وجل فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال هو المسجد اذا دخلته فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلما انتهى وهذا هو الصحيح عن ابن عباس وفهم النووي ان الآية فى البيوت المسكونة قال ففى الترمذي عن انس قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم يابني اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهل بيتك قال الترمذي حديث حسن صحيح وفى ابى داود عن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل رجل خرج غازيا فى سبيل الله عز وجل فهو ضامن على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله الجنة او يرده بما نال من اجر اوغنيمة ورجل راح الى المسجد فهو ضامن على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله الجنة او يرده بما نال من اجر وغنيمة ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله تعالى حديث حسن رواه ابو داود باسناد حسن ورواه آخرون والضمان الرعاية للشيء والمعنى انه فى رعاية الله عز وجل انتهى وقوله تعالى تحية من عند الله مباركة وصفها تعالى بالبركة لان فيها الدعاء واستجلاب مودة المسلم عليه (ت) وقد ذكرنا فى سورة النساء ماورد فى المصافحة من رواية ابن السني قال النووي وروينا فى سنن ابى داود والترمذي وابن ماجه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الاغفر لهما قبل ان يفترقا انتهى والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشارة الى هذه السنن وقال ايضا بعض الناس فى

هذه الآية انها منسوخة بئاية الاستيذان المتقدمة قال (ع) والنسخ لايتصور فى شيء من هذه الآيات بل هي كلها محكمة اما قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ففى التعدى والخدع ونحوه واما هذه الآية ففى اباحة طعام هذه الاصناف التى يسرها استباحة طعامها على هذه الصفة واما ءاية الاذن فعلة ايجاب الاستيذان خوف الكشفة فاذا استاذن المرء ودخل المنزل بالوجه المباح صح له بعد ذلك اكل الطعام بهذه الاباحة وليس يكون فى الآية نسخ فتأمله * وقوله تعالى انما المومنون الذين ءامنوا بالله ورسوله الآية انما هنا للحصر والامر الجامع يراد به ما للامام حاجة الى جمع الناس فيه لمصلحة فالادب اللازم فى ذلك ان لا يذهب احد لعذر الا باذنه والامام الذى يترقب اذنه هو امام الامارة وروي ان هذه الآية نزلت فى وقت حفر النبي صلى الله عليه وسلم خندق المدينة فكان المومنون يستاذنون والمنافقون يذهبون دون اذن ثم امر تعالى نبيه عليه السلام بالاستغفار لصنفي المومنين من اذن له ومن لم يوذن له وفى ذلك تانيس للمومنين ورأفة بهم * وقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تخاطبوه كمخاطبة بعضكم لبعض وامرهم تعالى فى هذه الآية وفى غيرها ان يدعوا رسول الله باشرف اسمائه وذلك هو مقتضى التوقير فالادب فى الدعاء ان يقول يارسول الله ويكون ذلك بتوقير وبر وخفض صوت قاله مجاهد واللواذ الروغان ثم امرهم تعالى بالحذر من عذاب الله ونقمته اذا خالفوا امره ومعنى يخالفون عن امره اي يقع خلافهم بعد امره ثم اخبر تعالى انه قد علم ما اهل الارض والسماء عليه وباقى الآية بين والحمد لله



تفسير سورة الفرقان وهي مكية في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى تبارك هو مطاوع بارك من البركة وبارك فاعل من واحد ومعناه زاد وتبارك فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل فى غيره وهو صفة فعل اي كثرت بركاته ومن جملتها انزال كتابه الذى هو الفرقان بين الحق والباطل والضمير فى قوله ليكون قال ابن زيد هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو عبده المذكور ويحتمل ان يكون للفرقان * وقوله وخلق كل شيء عام فى كل مخلوق ثم عقب تعالى بالطعن على قريش فى اتخاذهم ءالهة ليست لها صفات الالوهية والنشور بعث الناس من القبور * وقال الذين كفروا يعنى قريشا ان هذا الا افك افتراه محمد واعانه عليه قوم آخرون تقدمت الاشارة الى ذلك فى سورة النحل ثم اكذبهم الله تعالى واخبر انهم ماجاءوا الا اثما وزورا اي ما قالوا الا باطلا وبهتانا قال البخاري تملى عليه تقرأ عليه من امليت واملك انتهى ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول ان الذى انزله هو الذى يعلم سر جميع الاشياء التى فى السموات والارض وعبارة الشيخ العارف بالله سيدى عبد الله بن ابى جمرة رضي الله عنه ولما كان المراد منا بمقتضى الحكمة الربانية العبادة ودوامها ولذلك خلقنا كما ذكر مولانا سبحانه فى الآية الكريمة يعنى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية وهو عز وجل غني عن عبادتنا وعن كل شيء لكن الحكمة اقتضته لامر لايعلمه

الاهو كما قال الله عز وجل الذى يعلم السر فى السموات والارض اي الذى يعلم الحكمة فى خلقها وكذلك فى خلقنا وخلق جميع المخلوقات انتهى * وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام الآية المعنى عندهم ان من كان رسولا فهو مستغن عن الاكل والمشي فى الاسواق ومحاجتهم بهذا مذكورة فى السير ثم اخبر تعالى عن كفار قريش وهم الظالمون المشار اليهم انهم قالوا ان تتبعون الا رجلامسحورا اي قد سحر ثم نبه تعالى نبيه مسليا له عن مقالتهم فقال انظر كيف ضربوا لك الامثال الآية والقصور التى فى هذه الآية تأولها الثعلبي وغيره انها فى الدنيا والقصور هي البيوت المبنية بالجدرات لانها قصرت عن الداخلين والمستاذنين وباقى الآية بين والضمير فى رأتهم لجهنم * وقوله سبحانه قل اذلك خيرام جنة الخلد المعنى قل يامحمد لهؤلاء الكفرة الصائرين الى هذه الاحوال من النار اذلك خيرام جنة الخلد وهذا استفهام على جهة التوقيف والتوبيخ لان الموقف جائز له ان يوقف محاوره على ما شاء ليرى هل يجيبه بالصواب اوبالخطإ * وقوله تعالى ويوم نحشرهم يعنى الكفار وما يعبدون من دون الله يريد كل شيء عبد من دون الله وقرأ ابن عامر فنقول بالنون قال جمهور المفسرين والموقف المجيب كل من ظلم بان عبد ممن يعقل كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم وقال الضحاك وعكرمة الموقف المجيب الاصنام التى لا تعقل يقدرها الله تعالى على هذه المقالة ويجيء خزي الكفرة لذلك ابلغ وقرأ الجمهور نتخذ بفتح النون وذهبوا بالمعنى الى انه من قول من يعقل وان هذه الآية بمعنى التى فى سورة سبإ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة الآية وكقول عيسى ماقلت لهم الا ما امرتنى به وقولهم حتى نسوا الذكر اي ما ذكر به الناس على السنة الانبياء عليهم السلام وقرأ زيد بن ثابت وجماعة نتخذ بضم النون * وقوله تعالى فقد كذبوكم الآية خطاب من الله تعالى للكفرة اخبرهم ان معبوداتهم

كذبتهم وفى هذا الاخبار خزي وتوبيخ لهم وقرأ حفص عن عاصم فما تستطيعون بالتاء من فوق قال مجاهد الضمير فى يستطيعون هو للمشركين وصرفا معناه رد التكذيب اوالعذاب * وقوله تعالى ومن يظلم منكم قيل هو خطاب للكفار وقيل للمومنين والظلم هنا الشرك قاله الحسن وغيره وقد يحتمل ان يعم غيره من المعاصى وفى حرف ابي ومن يكذب منكم نذقه عذابا كبيرا * وقوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الآية رد على قريش فى قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق ثم اخبر عز وجل ان السبب فى ذلك انه جعل بعض عبيده فتنة لبعض على العموم فى جميع الناس مومن وكافر والتوقيف باتبصرون خاص بالمومنين المحققين قال ابن العربي فى الاحكام ولما كثر الباطل فى الاسواق وظهرت فيه المناكر كره علماؤنا دخولها لارباب الفضل والمقتدى بهم فى الدين تنزيها لهم عن البقاع التى يعصى الله تعالى فيها انتهى ثم اعرب قوله تعالى وكان ربك بصيرا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة رواه الترمذي وابن ماجه وهذا لفظ الترمذي وزاد فى رواية اخرى وبنى له بيتا فى الجنة ورواه الحاكم فى المستدرك من عدة طرق انتهى من السلاح * وقوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا الآية الرجاء هنا على بابه وقيل هو بمعنى الخوف ولما تمنت كفار قريش رؤية ربهم اخبر تعالى عنهم انهم عظموا انفسهم وسألوا ما ليسوا له باهل (ص) لقد جواب قسم محذوف انتهى والضمير فى قوله ويقولون قال مجاهد وغيره هو للملائكة والمعنى يقول الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى اي حراما محرما والحجر الحرام

وقال مجاهد ايضا وابن جريج الضمير للكافرين المجرمين قال ابن جريج كانت العرب اذا كرهوا شيأ قالوا حجرا قال مجاهد حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة قال (ع) ويحتمل ان يكون المعنى ويقولون حرام محرم علينا العفو وقد ذكر ابوعبيدة ان هاتين اللفظتين عوذة للعرب يقولها من خاف ءاخر فى الحرم او فى شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة قال الداودي وعن مجاهد وقدمنا اي عمدنا انتهى قال (ع) وقدمنا اي قصد حكمنا وانفاذنا ونحوهذا من الالفاظ اللائقة ومعنى الآية وقصدنا الى اعمالهم التى لا ترن شيأ فصيرناها هباء اي شيأ لاتحصيل له والهباء ما يتطاير فى الهواء من الاجزاء الدقيقة ولايكاد يرى الا فى الشمس قاله ابن عباس وغيره ومعنى هذه الآية جعلنا اعمالهم لاحكم لها ولا منزلة ووصف تعالى الهباء فى هذه الآية بمنثور ووصفه فى غيرها بمنبث فقالت فرقة هما سواء وقالت فرقة المنبث ارق وادق من المنثور لان المنثور يقتضى ان غيره نثره والمنبث كانه انبث من دقته * وقوله تعالى واحسن مقيلا ذهب ابن عباس والنخعي وابن جريج الى ان حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار ويقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار فالمقيل القائلة قال (ع) ويحتمل ان اللفظة انما تضمنت تفضيل الجنة جملة وحسن هوائها فالعرب تفضل البلاد بحسن المقيل لان وقت القائلة يبدى فساد هواء البلاد فاذا كان بلد فى وقت فساد الهواء حسنا حاز الفضل وعلى ذلك شواهد * ويوم تشقق السماء يريد يوم القيامة (ص) بالغمام الباء للحال اي متغيمة او للسبب او بمعنى عن انتهى وفى قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا دليل على انه سهل على المومنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليهون يوم القيامة على المومن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا وعض اليدين هو فعل النادم قال ابن عباس وجماعة من المفسرين الظالم فى هذه الآية

عقبة بن ابى معيط وذلك انه كان اسلم اوجنح الى الاسلام وكان ابي بن خلف الذى قتله النبي صلى الله عايه وسلم بيده يوم احد خليلا لعقبة فنهاه عن الاسلام فقبل نهيه فنزلت الآية فيهما فالظالم عقبة وفلانا ابي قال السهيلى وكنى سبحانه عن هذا الظالم ولم يصرح باسمه ليكون هذا الوعيد غير مخصوص به ولا مقصور عليه بل يتناول جميع من فعل مثل فعله انتهى وقال مجاهد وعيره الظالم عام اسم جنس وهذ هو الظاهر وان مقصد الآية تعظيم يوم القيامة وذكر هوله بانه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى انها لم تطع فى دنياها اخلاءها والسبيل المتمناة هي طريق الآخرة وفى هذه الآية لكل ذى نهية تنبيه على تجنب قرين السوء والاحاديث والحكم فى هذا الباب كثيرة مشهورة والذكر ما ذكر الانسان امر ءاخرته من قرءان او موعظة ونحوه * وكان الشيطان للانسان خذولا يحتمل ان يكون من قول الظالم ويحتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله عز وجل على وجه التحذير من الشيطان الذى بلغهم ذلك المبلغ * وقوله تعالى وقال الرسول حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وتشكيه ما يلقى من قومه هذا قول الجمهور وهو الظاهر وقالت فرقة هو حكاية عن قوله ذلك فى الآخرة ومهجورا يحتمل ان يريد مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الهاء وهذا قول ابن زيد ويحتمل ان يريد مقولا فيه الهجر بضم الهاء اشارة الى قولهم شعر وكهانة ونحوه قاله مجاهد قال (ع) وقول ابن زيد منبه للمومن على ملازمة المصحف وان لايكون الغبار يعلوه فى البيوت ويشتغل بغيره وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من علق مصحفا ولم يتعاهده جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب هذ اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وفى حلية النووي قال وروينا فى سنن ابى داود ومسند الدارمي عن سعد بن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ القرءان ثم نسيه لقى الله تعالى يوم

القيامة اجذم وروينا فى كتاب ابى داود والترمذي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اجور امتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتى فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القرءان او ءاية اوتيها رجل ثم نسيها تكلم الترمذي فيه انتهى ثم سلاه تعالى عن فعل قومه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا من المجرمين اي فاصبر كما صبروا قاله ابن عباس ثم وعد تعالى بقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا والباء فى بربك للتاكيد دالة على الامر اذ المعنى اكتف بربك * وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة قال ابن عباس وغيره قالوا فى بعض معارضاتهم لوكان من عند الله لنزل جملة كالتوراة والانجيل * وقوله كذلك يحتمل ان يكون من قول الكفار اشارة الى التوراة والانجيل ويحتمل ان يكون من الكلام المستانف وهو اولى ومعناه كما نزل اردناه فالاشارة الى نزوله متفرقا والترتيل التفريق بين الشيء المتتابع ومنه ترتيل القرءان وجعل الله تعالى السبب فى نزوله متفرقا تثبيت قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان ينزله فى النوازل والحوادث التى قد قدرها وقدر نزوله فيها وان هؤلاء الكفرة لايجيئون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم الاجاء القرءان بالحق فى ذلك والجلية ثم هو احسن تفسيرا وافصح بيانا وباقى الآية بين تقدم تفسير نظيره والجمهور ان هذا المشي على الوجوه حقيقة وقدجاء كذلك فى الحديث وقد تقدم ولفظ البخاري عن انس ان رجلا قال يا نبي الله ايحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال اليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة بلى وعزة ربنا انتهى * وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب الآيات تنبيه لكفار قريش وتوعد ان يحل بهم ماحل بهؤلاء المعذبين قال قتادة اصحاب الرس واصحاب الايكة قومان ارسل اليهما شعيب وقاله وهب بن منبه وقيل غير هذا *

وقوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ابهام لايعلم حقيقته الا الله عز وجل والتبار الهلاك والقرية التى امطرت مطر السوء هي سذوم مدينة قوم لوط ومالم نذكر تفسيره قد تقدم بيانه للفاهم المتيقظ ثم ذكر سبحانه انهم اذا رأوا محمدا عليه السلام قالوا على جهة الاستهزاء اهذا الذى بعث الله رسولا قال (ص) ان يتخذونك ان نافية جواب اذا انتهى ثم انس الله تعالى نبيه بقوله ارأيت من اتخذ الهه هواه الآية المعنى لاتتأسف عليهم ومعنى اتخذ الهه هواه اي جعل هواه مطاعا فصار كالاله ان هم الا كالانعام اي بل هم كالانعام (ت) وعبارة الواحدي انهم اي ماهم الا كالانعام انتهى * وقوله سبحانه الم تر الى ربك كيف مد الظل الآية مد الظل باطلاق هو مابين اول الاسفار الى بزوغ الشمس ومن بعد مغيبها ايضا وقتا يسيرا فان فى هذين الوقتين على الارض كلها ظلا ممدودا * ولوشاء لجعله ساكنا اي ثابتا غير متحرك ولامنسوخ لكنه جعل الشمس ونسخها اياه وطردها له من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ولوجه العبرة فيه وحكى الطبري انه لولا الشمس لم يعلم ان الظل شيء اذ الاشياء انما تعرف باضدادها * وقوله تعالى قبضا يسيرا يحتمل ان يريد لطيفا اي شيأ بعد شيء لافى مرة واحدة قال الداودي قال الضحاك قبضا يسيرا يعني الظل اذا علته الشمس انتهى قال الطبري ووصف الليل باللباس من حيث يستر الاشياء ويغشاها والسبات ضرب من الاغماء يعترى اليقظان مرضا فشبه النوم به والنشور هنا الاحياء شبه اليقظة به ويحتمل ان يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق واناسي قيل هو جمع انسان والياء المشددة بدل من النون فى الواحد قاله سيبويه وقال المبرد هو جمع انسي والضمير فى صرفناه عائد على القرءان وان لم يتقدم له ذكر ويعضد ذلك قوله وجاهدهم به جهادا كبيرا * وقوله تعالى وهوالذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مرج معناه خلط

قال (ع) والذى اقول به فى معنى هذه الآية ان المقصود بها التنبيه على قدرة الله تعالى فى ان بث فى الارض مياها عذبة كثيرة جعلها خلال الاجاج وجعل الاجاج خلالها كما هو مر ي تجد البحر قد اكتنفته المياه العذبة فى ضفته وتجد الماء العذب فى الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماء الاجاج وكل باق على حاله ومطعمه فالبحران يراد بهما جميع الماء العذب وجميع الماء الاجاج والبرزخ والحجر هو ما بين البحرين من الارض واليبس قاله الحسن والفرات الصافى اللذيذ المطعم والاجاج ابلغ ما يكون من الملوحة * وقوله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا الآية تعديد نعم على الناس والنسب هو ان يجتمع انسان مع ءاخر فى اب اوام والصهر هو تواشج المناكحة فقرابة الزوجة هم الاختان وقرابة الزوج هم الاحماء والاصهار يقع عاما لذلك كله * وقوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا يعينون على ربهم غيرهم من الكفرة بطاعتهم للشيطان وهذا تاويل مجاهد وغيره والكافر هنا اسم جنس وقال ابن عباس هو ابو جهل قال (ع) فيشبه ان ابا جهل هو سبب الآية ولكن اللفظ عام للجنس كله (ت) والمعنى على دين ربه ظهيرا * وقوله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا الظاهر فيه انه استثناء منقطع والمعنى لكن مسئولى ومطلوبى من شاء ان يهتدي ويومن ويتخذ الى رحمة ربه طريق نجاة * وقوله سبحانه وتوكل على الحي الذى لايموت قال القشيري فى التحبير واذا علم العبد ان مولاه حي لايموت صح توكله عليه قال تعالى وتوكل على الحي الذى لايموت قيل ان رجلا كتب الى ءاخر ان صديقى فلانا قد مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصرى فكتب اليه الذنب لك حين احببت الحي الذى يموت فهلا احببت الحي الذى لايموت حتى لاتحتاج الى البكاء عليه انتهى وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كربنى امر الاتمثل لى جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذى لا

يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح * وقوله تعالى وسبح بحمده اي قل سبحان الله وبحمده اي تنزيهه واجب وبحمده اقول وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى كل يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له ذنوبه ولوكانت مثل زبد البحر فهذا معنى قوله وسبح بحمده وهي احدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان الثقيلتين فى الميزان الحديث فى البخاري وغيره (ت) وعن جويرية رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي فى مسجدها ثم رجع بعد ان اضحى وهي جالسة فقال مازلت على الحال التى فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لووزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشة ومداد كلماته رواه الجماعة الا البخاري زاد النسائي فى آخره والحمد لله كذلك وفى رواية له سبحان الله وبحمده ولا اله الا الله والله اكبر عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته انتهى من السلاح * وقوله سبحانه وكفى به بذنوب عباده خبيرا وعيدبين * وقوله تعالى الرحمن يحتمل ان يكون رفعه باضمار مبتدإ اي هو الرحمن ويحتمل ان يكون بدلا من الضمير فى قوله استوى * وقوله فسئل به خبيرا فيه تاويلان احدهما فسئل عنه خبيرا والمعنى اسئل جبريل والعلماء واهل الكتاب والثانى ان يكون المعنى كما تقول لو لقيت فلانا لقيت به البحر كرما اي لقيت منه والمعنى فسئل الله عن كل امر وقال عياض فى الشفا قال القاضى ابو بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم انتهى قال ابو حيان والظاهر تعلق به فسئل وبقاء الباء على بابها

وخبيرا من صفاتـه تعالى نحو لقيت بزيد اسدا اي انه الاسد شجاعـة والمعنى فسئل الله الخبير بالاشياء انتهى * واذا قيـل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن يعنى ان كفار قريش قالوا مانعرف الرحمن الا رحمن اليمامـة وهو مسيلمـة الكذاب وكان مسيلمـة تسمى بالرحمـن * انسجد لما تامرنا وزادهم هـذا اللفـظ نفورا والبروج هي التى علمتهـا العرب وهي المشهورة عنـد اللغويـين واهل تعـديل الاوقات وكل برج منها على منزلتين وثلث من منازل القمر التى ذكرها الله تعالى فى قوله والقمر قدرناه منازل * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اي هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا قال مجاهد وغيره لمن اراد ان يذكر اي يعتبر بالمصنوعات ويشكر الله تعالى على ءالائـه وقال عمر وابن عباس والحسـن معناه لمن اراد ان يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه فى احدهما فيستدركه فى الذى يليه وقرأ حمزة وحده يذكر بسكون الذال وضم الكاف ثم لما قال تعالى لمن راد ان يذكر او اراد شكورا جاء بصفات عباده الذين هم اهل التذكر والشكور* وقوله الذين يمشون خبر مبتدإ والمعنى وعباده حـق عباده هـم الذين يمشون * وقوله يمشون على الارض عبارة عـن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم وهونا بمعنى ان امرهـم كله هين اي لـين حسـن قال مجاهـد بالحلم والوقار وقال ابن عباس بالطاعـة والعفاف والتـواضـع وقال الحسـن حلماء ان جهـل عليهم لم يجهلوا قال الثعلبي قال الحسـن يمشون حلماء علماء مثـل الانبياء لايوذون الذر فى سكون وتواضع وخشوع وهو ضد المختال الفخور الذى يختال فى مشيه اه قال عياض فى صفة نبـينا محمد صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشى هونا كانما ينحط من صبب انتهى من الشفا قال ابو حيان هونا نعت لمصدر محذوف اي مشيا هونا اوحال اي هينين انتهى وروى الترمذي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بمن يحرم على النار او بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين

سهل قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى * واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما العامل فى سلاما قالوا والمعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما
قولا سدادا اي يقول للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين وهذه الآية كانت
قبل ءاية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وبقي ادبها فى المسلمين الى يوم
القيامة قال صاحب الحكم الفارقية اذا نازعك انسان فلا تجبه فان الكلمة الاولى
انثى واجابتها فحلها فان امسكت عنها بترتها وقطعت نسلها وان اجبتها القحتها
فكم من نسل مذموم يتولد بينهما فى ساعة واحدة انتهى * والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما هذه ءاية فيها تحريض على قيام الليل بالصلاة قال الحسن
لما فرغ من وصف نهارهم وصف فى هذه ليلهم وغراما معناه ملازما ثقيلا ومقاما
من الاقامة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل
ثلاث الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار
مرات قالت النار اللهم اجره من النار رواه ابو داود والنساءي وابن ماجه وابن
حبان فى صحيحه بلفظ واحد ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد
انتهى من السلاح * وقوله سبحانه والذين اذا انفقوا لم يسرفوا الآية عبارة
اكثر المفسرين ان الذى لايسرف هو المنفق فى الطاعة وان افرط والمسرف
هو المنفق فى المعصية وان قل انفاقه وان المقتر هو الذى يمنع حقا عليه وهذا
قول ابن عباس وغيره والوجه ان يقال ان النفقة فى المعصية امر قد حظرت الشريعة
قليله وكثيره وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وانما التاديب بهذه الآية
هو فى نفقة الطاعات والمباحات فادب الشريعة فيها ان لايفرط الانسان
حتى يضيع حقا آخر اوعيالا ونحو هذا وان لايضيق ايضا ويقتر حتى يجيع العيال
ويفرط فى الشح والحسن فى ذلك هو القوام اي المعتدل والقوام فى كل واحد
بحسب عياله وحاله وخير الامور اوساطها ولهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم ابابكر

الصديق يتصدق بجميع ماله لان ذلك وسط بنسبة جلده وصبره فى الدين ومنع
غيره من ذلك وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة
ما نفقتك فقال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم تلا الآية وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كفى بالمرء سرفا ان لا يشتهي شيأ الا اشتراه فاكله وقواما خبر كان واسمها
مقدر اي الانفاق * والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية فى نحو هذه الآية
قال ابن مسعود قلت يوما يارسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال
ان تزاني حليلة جارك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية والاثام فى
كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتادة هذه الآية قال (ع) يضاعف
بالجزم بدل من يلق قال سيبويه مضاعفة العذاب هو لقي الاثام * وقوله تعالى
الا من تاب لاخلاف بين العلماء ان الاستثناء عام فى الكافر والزانى واختلفوا
فى القاتل وقد تقدم بيان ذلك فى سورة النساء * وقوله سبحانه فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات اي بان يجعل اعمالهم بدل معاصيهم الاولى طاعة قاله
ابن عباس وغيره ويحتمل ان يكون ذلك فى يوم القيامة يجعل بدل السيئات
الحسنات تكرما منه سبحانه وتعالى كما جاء فى صحيح مسلم وهو تاويل ابن
المسيب (ص) والاولى ان يكون الاستثناء هنا منقطعا اي لكن من تاب وءامن
وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات انتهى ثم اكد سبحانه
امر التوبة ومدح المتاب فقال ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا
كانه قال فانه يجد بابا للفرج والمغفرة عظيما ثم استمرت الآيات فى صفة عباد الله
المومنين بان نفى عنهم شهادة الزور ويشهدون فى هذا الموضع ظاهر معناها
يشاهدون ويحضرون والزور كل باطل زور واعظمه الشرك وبه فسر الضحاك
ومنه الغناء وبه فسر مجاهد وقال علي وغيره معناه لا يشهدون بالزور فهي من

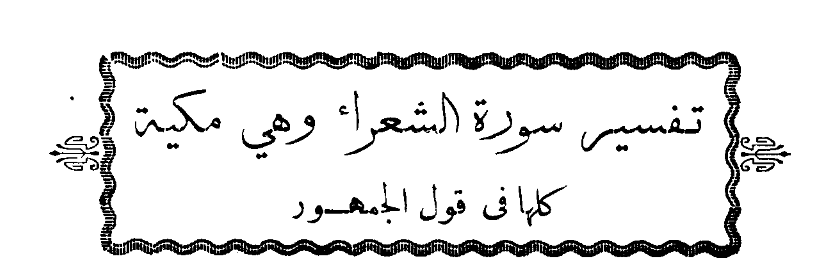
الشهادة لامن المشاهدة والمعنى الاول اعم واللغو كل سقط من فعل اوقول وقال الثعلبي اللغو كل ما ينبغي ان يطرح ويلغى انتهى وكراما معناه معرضين مستحيين يتجافون عن ذلك ويصبرون على الاذى فيه قال (ع) واذا مر المسلم بمنكر فكرمه ان يغيره وحدود التغيير معروفة * وقوله تعالى والذين اذا ذكروا بءايات ربهم يريد ذكروا بالقرءان امر ءاخرتهم ومعادهم * وقوله لم يخروا عليها صما وعميانا يحتمل تاويلين احدهما ان يكون المعنى لم يكن خرورهم بهذه الصفة بل يكونوا سجدا وبكيا وهذا كما تقول لم يخرج زيد الى الحرب جزعا اي انما خرج جريئا مقداما وكأن الذى يخر اصم اعمى هو المنافق او الشاك والتاويل الثاني ذهب اليه الطبري وهو ان يخروا صما وعميانا هي صفة للكفار وهي عبارة عن اعراضهم وقال الفراء لم يخروا اي لم يقيموا وهو نحو تاويل الطبري انتهى وقال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى والذين اذا ذكروا بءايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال علماؤنا يعنى الذين اذا قرءوا القرءان قرءوه بقلوبهم قراءة فهم وتثبيت ولم ينثروه نثر الدقل فان المرور عليه بغير فهم ولا تثبيت صمم وعمى انتهى وقرة العين من القر وهذا هو الاشهر لان دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فلهذا يقال اقر الله عينك واسخن الله عين العدو وقرة العين فى الازواج والذرية ان يراهم الانسان مطيعين لله تعالى قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وبين المقداد بن الاسود الوجه من ذلك بانه كان فى اول الاسلام يهتدى الاب والابن كافر او الزوج والزوجة كافرة فكانت قرة اعينهم فى ايمان احبابهم * واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا يأتم بنا المتقون وذلك بان يكون الداعى متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعى قال النخعي لم يطلبوا الرياسة بل ان يكونوا قدوة فى الدين وهذا حسن ان يطلب ويسعى له قال الثعلبي قال ابن عباس المعنى واجعلنا ائمة هدى انتهى وهو حسن لانهم طلبوا ان يجعلهم اهلا لذلك والغرفة

من منازل الجنة وهي الغرف فوق الغرف وهي اسم جنس كما قال

ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم

(ت) واخرج ابو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن الشحامي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لغرفا ليس لها معاليق من فوقها ولاعماد من تحتها قيل يارسول الله وكيف يدخلها اهلها قال يدخلونها اشباه الطير قيل هي يارسول الله لمن قال هي لاهل الاسقام والاوجاع والبلوى انتهى من التذكرة وقرأ حمزة وغيره يلقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف * وقوله تعالى قل مايعبؤ بكم الآية مانافية وتحتمل التقرير ثم الآية تحتمل ان تكون خطابا لجميع الناس فكانه قال لقريش منهم ما يبالى الله بكم ولا ينظر اليكم لولا عبادتكم اياه ان لوكانت اذ ذلك الذى يعبأ بالبشر من اجله قال تعالى وما خلقت الجن والانس الاليعبدون وقال النقاش وغيره المعنى لولااستغاثتكم اليه فى الشدائد وقرأ ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون وهذا يؤيد ان الخطاب بما يعبأ هو لجميع الناس ثم يقول لقريش فانتم قد كذبتم ولم تعبدوه فسوف يكون العذاب اوالتكذيب الذى هو سبب العذاب لزاما ويحتمل ان يكون الخطاب بالآيتين لقريش خاصة وقال الداودي وعن ابن عيينة لولا دعاؤكم معناه لولادعاؤكم اياه لتطيعوه انتهى قال ابن العربي فى احكامه زعم بعض الادباء ان لولا دعاؤكم معناه لولا سؤالكم اياه وطلبكم منه ورأى انه مصدر اضيف الى فاعل وليس كما زعم وانما هو مصدر اضيف الى مفعول والمعنى قل يامحمد للكفار لولا دعاؤكم ببعثة الرسول اليكم وتبين الادلة لكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ذكر هذا عند قوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فى اخر سورة النور انتهى (ت) والحق ان الآية محتملة لجميع ماتقدم ومن ادعى التخصيص فعليه بالدليل والله اعلم ويعبأ مشتق من العبء وهو الثقل الذى يعبأ ويرتب كما

يعبأ الجيش قال الثعلبي قال ابو عبيدة يقال ماعبأت به شيأ اي لم اعده شيأ فوجوده وعدمه سواء انتهى وقال العراقي ما يعبأ اي ما يبالى انتهى واكثر الناس على ان اللزام المشار اليه هو يوم بدر وقالت فرقة هوتوعد بعذاب الآخرة وقال ابن عباس اللزام الموت وقال البخاري فسوف يكون لزاما اي هالكة انتهى



تفسير سورة الشعراء وهي مكية

كلها فى قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى طسم تلك ءايات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الايكونوا مومنين تقدم الكلام على الحروف التى فى اوائل السور والباخع القاتل والمهلك نفسه بالهم والخضوعُ للآية المنزلة اما لخوف هلاك كنتق الجبل على بنى اسراءيل واما لاجل الوضوح وبهر العقول بحيث يقع الاذعان لها والاعناق الجارحة المعلومة وذلك ان خضوع العنق والرقبة هو علامة الذلة والانقياد وقيل المراد بالاعناق جماعتهم يقال جاء عنق من الناس اي جماعة * وقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقدكذبوا فسياتيهم انباء ماكانوا به يستهزءون اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم تقدم تفسير هذه الجملة فانظره فى محله وقوله تعالى فسياتيهم وعيد بعذاب الدنيا كبدر وغيرها ووعيد بعذاب الآخرة والزوج النوع والصنف والكريم الحسن المتقن قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى وماكان اكثرهم مومنين حتم

على اكثرهم بالكفر ثم توعد تعالى بقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم اي عزيز فى انتقامه من الكفار رحيم باوليائه المومنين * وقوله تعالى واذ نادى ربك موسى التقدير واذكر اذ نادى ربك موسى وسوق هذه القصة تمثيل لكفار قريش فى تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله فارسل الى هارون معناه يعيننى ولهم علي ذنب يعنى قتله القبطي * وقوله تعالى كلا ردا لقوله اني اخاف اي لاتخف ذلك وقول فرعون لموسى الم نربك فينا وليدا هو على جهة المن عليه والاحتقار اي ربيناك صغيرا ولم نقتلك فى جملة من قتلنا ولبثت فينا من عمرك سنين فمتى كان هذا الذى تدعيه ثم قرره على قتل القبطي بقوله وفعلت فعلتك والفعلة بفتح الفاء المرة وقوله وانت من الكافرين يريد وقتلت القبطي وانت فى قتلك اياه من الكافرين اذهو نفس لايحل قتلها قاله الضحاك اويريد وانت من الكافرين بنعمتي فى قتلك اياه قاله ابن زيد ويحتمل ان يريد وانت الآن من الكافرين بنعمتى وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيا الى فرعون احد عشرعاما غير اشهر * وقوله قال فعلتها اذا من كلام موسى والضمير فى قوله فعلتها لقتلة القبطي وقوله وانا من الضالين قال ابن زيد معناه من الجاهلين بان وكزتى اياه تاتى على نفسه وقال ابو عبيدة معناه من الناسين ونزع بقوله ان تضل احداهما وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس وانا من الجاهلين ويشبه ان تكون هذه القراءة على جهة التفسير وحكما يريد النبوءة وحكمتها * وقوله وجعلنى من المرسلين درجة ثانية للنبوءة فرب نبيء ليس برسول * وقوله وتلك نعمة تمنها علي الآية قال قتادة هذا من موسى على جهه الانكار على فرعون كانه يقول اويصح لك ان تعد علي نعمة ترك قتلي من اجل انك ظلمت بنى اسراءيل وقتلتهم اي ليست بنعمة لان الواجب كان الاتقتلنى ولاتقتلهم ولاتستعبدهم وقرأ الضحاك وتلك نعمة

ما لك ان تمنها علي وهذه قراءة تؤيد هذا التاويل وقال الطبري والسدي هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الاقرار بالنعمة كانه يقول نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيرى وتركتني ولكن ذلك لايدفع رسالتى ولما لم يجد فرعون حجة رجع الى معارضة موسى فى قوله ومارب العالمين واستفهمه استفهاما فقال موسى هو رب السموات والارض الآية فقال فرعون عند ذلك الاتستمعون على معنى الاغراء والتعجب من شنعة المقالة اذكانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك فزاده موسى فى البيان بقوله ربكم ورب ءابائكم الاولين فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون فزاده موسى فى بيان الصفات التى تظهر نقص فرعون وتبين انه فى غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون الاملك مصر ولما انقطع فرعون فى باب الحجة رجع الى الاستعلاء والتغلب فقال لموسى لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين وفى توعده بالسجن ضعف لانه خارت طباعه معه وكان فيما روي انه يفزع من موسى فزعا شديدا حتى كان لايمسك بوله وكان عند موسى من امر الله والتوكل عليه مالا يفزعه توعد فرعون فقال له موسى على جهة اللطف به والطمع فى ايمانه اولو جئتك بشيىء مبين يتضح لك معه صدقى فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناءه موضع معارضة فقال له فات به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذاهي ثعبان مبين على ماتقدم بيانه ونزع يده من جيبه فاذا هي تتلألأ كانها قطعة من الشمس فلمارأى فرعون ذلك هاله ولم يكن له فيه مدفع غير انه فزع الى رميه بالسحر * وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره تقدم بيانه وكذلك قولهم وابعث فى المدائن حاشرين ياتوك بكل سحارعليم تقدم بيانه * وقوله تعالى قال نعم وانكم اذا

لمن المقربين يريد بتقريبهم الجاه الزائد على العطاء الذى طلبوه * وقوله تعالى فالقي السحرة ساجدين قالوا ءامنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لاضيرانا الى ربنا منقلبون تقدم بيان هذه الجملة والحمد لله فانظره فى محله قال ابن العربي فى احكامه قال مالك دعا موسى فرعون اربعين سنة الى الاسلام وان السحرة ءامنوا فى يوم واحد انتهى وقولهم لا ضيراي لايضرنا ذلك مع انقلابنا الى مغفرة الله ورضوانه وقولهم ان كنا اول المومنين يريدون من القبط وصنيفتهم والا فقد كانت بنواسراءيل ءامنت والشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شيء بقيته الخسيسة * وقوله لغائظون يريد بخلافهم الامر وباخذهم الاموال عارية وحذرون جمع حذر والضمير فى قوله فاخرجناهم عائد على القبط والجنات والعيون بجافتي النيل من اسوان الى رشيد قاله ابن عمر وغيره والمقام الكريم قال ابن لهيعة هو الفيوم وقيل هو النابر وقيل مجالس الامراء والحكام وقيل المساكن الحسان ومشرقين معناه عند شروق الشمس وقيل معناه نحو المشرق والطود هو الجبل وازلفنا معناه قربنا وقرأ ابن عباس وازلقنا بالقاف * واتل عليهم نبأ ابراهيم الآية هذه الآية تضمنت الاعلام بغيب والعكوف الزوم * وقوله فانهم عدو لي الارب العالمين قالت فرقة هو استثناء متصل لان فى الآباء الاقدمين من قد عبد الله تعالى وقالت فرقة هو استثناء منقطع لانه انما اراد عباد الاوثان من كل قرن منهم واسند ابراهيم عليه السلام المرض الى نفسه والشفاء الى ربه عزوجل وهذا حسن ادب فى العبارة والكل من عند الله واوقف عليه السلام نفسه على الطمع فى المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع علو منزلته عند الله وروى الترمذي عن ابى هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا اوزار اخا له فى الله ناداه مناد ان طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وفى صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة قال جناها انتهى وعنه صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الاعافاه الله سبحانه خرجه ابوداود والترمذي والحاكم فى المستدرك على الصحيحين بالاسناد الصحيح انتهى من حلية النووي وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عند رأسه سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الاعافاه الله من ذلك المرض رواه ابو داود واللفظ له والترمذي والنساءي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما بمعناه وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما وفى رواية النساءي وابن حبان كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال فذكر مثله بمعناه انتهى من السلاح * وقوله خطيئتي ذهب اكثر المفسرين الى انه اراد كذباته الثلاث قوله هي اختى فى شأن سارة وقوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقالت فرقة اراد بالخطيئة اسم الجنس فدعا فى كل امره من غير تعيين قال (ع) وهذا اظهر عندى * وقوله رب هب لى حكما اي حكمة ونبوءة ودعاؤه فى مثل هذا هو فى معنى التثبيت والدوام ولسان الصدق هو الثناء الحسن واستغفاره لابيه فى هذه الآية هو قبل ان يتبين له انه عدولله * وقوله بقلب سليم معناه خالص من الشرك والمعاصى وعلق الدنيا المتروكة وان كانت مباحة كالمال والبنين قال سفيان هو الذى يلقى ربه وليس فى قلبه شيئ غيره

قال (ع) وهذا يقتضى عموم اللفظة ولكن السليم من الشرك هو الاهم وقال الجنيد بقلب لديغ من خشية الله والسليم اللديغ (ص) الا من اتى الله الظاهرانه استثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم نفعته سلامة قلبه انتهى وازلفت معناه قربت والغاوون الذين برزت لهم الجحيم هم المشركون ثم اخبر سبحانه عن حال يوم القيامة من ان الاصنام تكبكب فى النار اي تلقى كبة واحدة وقال (ص) فكبكبوا اي قلب بعضهم على بعض وحروفه كلها اصول عند جمهور البصريين وذهب الزجاج وابن عطية وغيرهما الى انه مضاعف الباء من كب وقال غيرهما وجعل التكرير من اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى وذهب الكوفيون الى ان اصله كبب والكاف بدل من الباء الثانية انتهى والغاوون الكفرة الذين شملتهم الغواية وجنود ابليس نسله وكل من يتبعه لانهم جنده واعوان ثم وصف تعالى ان اهل النار يختصمون فيها ويتلاومون قائلين لاصنامهم تالله ان كنا لفى ضلال مبين فى ان نعبدكم ونجعلكم سواءمع الله الذى هو رب العالمين ثم عطفوا يردون الملامة على غيرهم اي ما اضلنا الا كبراؤنا واهل الجرم والجراءة ثم قالوا على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والانبياء والعلماء نافعة فى اهل الايمان عموما وشفاعة الصديق فى صديقه خصوصا فمالنا من شافعين ولاصديق حميم والحميم الولي والقريب الذى يخصك امره وتخصه امرك وحامة الرجل خاصته وباقى الآية بين وقول نوح عليه السلام انى لكم رسول امين اي امين على وحي الله ورسالته (ص) قرأ الجمهور واتبعك والجملة حال اي وقد اتبعك ويعقوب واتباعك وعن اليماني واتباعك بالجر عطفا على الضمير فى لك انتهى والارذلون جمع الارذل ولايستعمل الامعرفا اومضافا اوبمن قال (ع) ويظهر من الآية ان مراد قوم نوح بنسبة الرذيلة الى المومنين تهجين افعالهم لاالنظر فى صنائعهم

وذهب اشراف قوم نوح فى استنقاصهم ضعفة المومنين مذهب كفار قريش فى
شأن عمار بن ياسر وصهيب وبلال وغيرهم وقولهم من المرجومين يحتمل ان
يريدوا بالحجارة اوبالقول والشتم وقوله افتح معناه احكم والفتاح القاضى بلغة
يمانية والفلك السفينة والمشحون معناه المملوء وقول هود عليه السلام لقومه
اتبنون هو على جهة التوبيخ والريع المرتفع من الارض وله فى كلام العرب
شواهد وعبر المفسرون عن الريع بعبارات وجملة ذلك انه المكان المشرف وهو
الذى يتنافس البشر فى مبانيه والآية البنيان قال ابن عباس ءاية علَم وقال
مجاهد ابراج الحمام وقيل القصور الطوال والمصانع جمع مصنع وهوما صنع
واتقن فى بنيانه من قصر مشيد ونحوه قال البخاري كل بناء مصنعة انتهى *
وقوله لعلكم تخلدون اي كانكم تخلدون وكذا نقله البخاري عن ابن عباس غير
مسند انتهى والبطش الاخذ بسرعة والجبار المتكبر ثم ذكرهم عليه السلام بأياد
الله تعالى فيما منحهم وحذرهم من عذابه فكانت مراجعتهم ان سووا بين وعظه
وتركه الوعظ وقرأ نافع وغيره خلق الاولين بضم اللام فالاشارة بهذا الى دينهم
اي ماهذا الذى نحن عليه الاخلق الناس وعادتهم وقرأ ابن كثير وغيره خلق
بسكون اللام فيحتمل المعنى ما هذا الذى تزعمه الااختلاق الاولين من الكذبة
فانت على منهاجهم وروى علقمة عن ابن مسعود الااختلاق الاولين وقول
صالح لقومه اتتركون فيما هاهنا تخويف لهم بمعنى اتطمعون ان تقروا فى النعم
على معاصيكم والهضيم معناه اللين الرطب والطلع الكفرى وهو عنقود التمر
قبل ان يخرج من الكم فى اول نباته فكان الاشارة الى ان طلعها يتم ويرطب
قال ابن عباس اذا اينع و بلغ فهو هضيم وقال الزجاج هو فيما قيل الذى رطبه
بغير نوى وقال الثعلبي قال ابن عباس هضيم لطيف ما دام فى كفراه انتهى
وقرأ الجمهور تنحتون بكسر الحاء وفرهين من الفراهة وهي جودة منظر

الشيء وخبرته وقوته * وقوله ولاتطيعوا امر المسرفين خاطب به جمهور قومه وعنى بالمسرفين كبراءهم واعلام الكفر والاضلال فيهم قالوا انما انت من المسحرين اي قدسحرت (ص) قرأ الجمهور شرب بكسر الشين اي نصيب وقرأ ابن ابى عبلة بضم الشين فيهما انتهى * وقوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط قال النقاش ان فى مصحف ابن مسعود وابي وحفصة اذ قال لهم لوط وسقط اخوهم * وقوله انى لعملكم من القالين القلى البغض فنجاه الله بان امره بالرحلة على ما تقدم فى قصصهم * وقوله تعالى كذب اصحاب ليكة المرسلين قرأ نافع وابن كثير وابن عامر اصحاب ليكة على وزن فعلة هنا وفى ص وقرأ الباقون الايكة وهي الدوحة الملتفة من الشجر على الاطلاق وقيل من شجر معروف له غضارة تالفه الحمام والقماري ونحوها وليكة اسم البلد فى قراءة من قرأ ذلك قاله بعض المفسرين وذهب قوم الى انها مسهلة من الايكة وانها وقعت فى المصحف هنا وفى ص بغير الف * وقوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين وكذلك ما بعده بلفظ الجمع من حيث ان تكذيب نبيء واحد يستلزم تكذيب جميع الانبياء لانهم كلهم يدعون الخلق الى الايمان بالله تعالى واليوم الآخر وفى قول الانبياء عليهم السلام الاتتقون عرض رفيق وتلطف كما قال تعالى فقل هل لك الى ان تزكى والجبلة الخليقة والقرون الماضية والكسف القطع واحدها كسفة ويوم الظلة هو يوم عذابهم وصورته فيما روي ان الله امتحنهم بحر شديد وانشأ الله سحابة فى بعض قطرهم فجاء بعضهم الى ظلها فوجدلها بردا وروحا فتداعوا اليها حتى تكاملوا فاضطرمت عليهم نارا فاحرقتهم عن آخرهم وقيل غير هذا والحق انه عذاب جعله الله ظلة عليهم * وقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين يعني القرءان * وقوله بلسان عربي متعلق بنزل اي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم

من جبريل حروفا عربية وهذا هو القول الصحيح وما سوى هذا فمردود *
وقوله سبحانه وانه لفى زبرالاولين اي القرءان مذكور فى الكتب المنزلة
القديمة منبه عليه مشار اليه اولم يكن لهم ءاية ان يعلمه علماء بني اسراءيل
كعبد الله بن سلام ونحوه قاله ابن عباس ومجاهد قال مقاتل هذه الآية مدنية
ومن قال ان الآية مكية ذهب الى ان علماء بني اسراءيل ذكروا لقريش ان فى
التوراة صفة النبي الامي وان هذا زمانه فهذه الاشارة الى ذلك وذلك ان قريشا
بعثت الى الاحبار يسئلونهم عن امر النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخبر تعالى ان
هذا القرءان لوسمعوه من اعجم اي من حيوان غير ناطق اومن جماد والاعجم
كل ما لايفصح ماكانوا يومنون والاعجمون جمع اعجم وهو الذى لايفصح وان
كان عربي النسب وكذلك يقال للحيوانات والجمادات ومنه الحديث جرح
العجماء جبار والعجمي هوالذى نسبه فى العجم وان كان افصح الناس وقرأ
الحسن الاعجميين قال ابوحاتم اراد جمع الاعجمي المنسوب الى العجم وقال الثعلبي
معنى الآية ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم بغيرلغة العرب لما
ءامنوا به انفة من اتباعه انتهى * وقوله تعالى كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين
قال (ع) وسلكناه معناه ادخلناه والضمير فيه للكفر الذى يتضمنه قوله ماكانوا به
مومنين قاله الحسن وقيل الضمير للتكذيب وقيل للقرءان ورجح بانه المتبادر الى
الذهن والمجرمون اراد به مجرمى كل امة اي ان هذه عادة الله فيهم لايومنون حتى
يروا العذاب فكفار قريش كذلك وهل نحن منظرون اي مؤخرون * وقوله
سبحانه افبعذابنا يستعجلون توبيخ لقريش على استعجالهم العذاب وقولهم
للنبي صلى الله عليه وسلم اسقط علينا كسفا من السماء وقولهم اين ما تعدنا ثم
خاطب سبحانه نبيه عليه السلام بقوله افرأيت ان متعناهم سنين قال عكرمة
سنين يريد عمر الدنيا ثم اخبر تعالى انه لم يهلك قرية من القرى الابعد ارسال

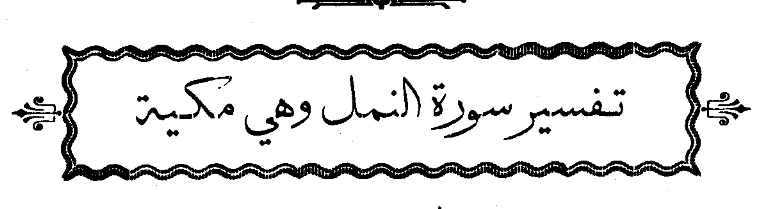
من ينذرهم عذاب الله عز وجل ذكرى لهم وتبصرة * وقوله تعالى وماتنزلت
به الشياطين الضمير فى بـه عائد على القرءان * وقوله تعالى انهم عن السمع
لمعزولون اي لان السماء محروسة بالشهب الجارية اثر الشياطين ثم وصى تعالى نبيه
بالثبوت على التوحيد والمراد امته فقال فلا تجعل مع الله الها آخر الآية *
وقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الآية وفى صحيح البخاري وغيره عن
ابن عباس لما نزلت هذه الآية خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا
فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارأيتم ان اخبرتكم ان خيلا
تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال
فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد الحديث وخص بانذاره عشيرته لانهم
مظنة الطواعية واذ يمكنه من الاغلاظ عليهم مالا يحتمله غيرهم ولان الانسان
غير متهم على عشيرته والعشيرة قرابة الرجل وخفض الجناح استعارة معناه لين
الكلمة وبسط الوجه والبر والضمير فى عصوك عائد على عشيرته ثم امر تعالى
نبيه عليه السلام بالتوكل عليه فى كل اموره ثم جاء بالصفات التى تونس
المتوكل وهي العزة والرحمة * وقوله الذى يراك حين تقوم يراك عبارة
عن الادراك وظاهر الآية انه اراد قيام الصلاة ويحتمل سائر التصرفات وهو
تاويل مجاهد وقتادة * وقوله سبحانه وتقلبك فى الساجدين قال ابن عباس
وغيره يريد اهل الصلاة اي صلاتك مع المصلين * وقوله تعالى قل هل أنبيئكم
اي قل لهم يامحمد هل اخبركم على من تنزل الشياطين والافاك الكذاب
والاثيم الكثير الاثم ويريد الكهنة لانهم كانوا يتلقون من الشياطين الكلمة الواحدة
التى سمعت من السماء فيخلطون معها مائة كذبة حسبما جاء فى الحديث وقد
ذكرناه فى غير هذا الموضع والضمير فى يلقون يحتمل ان يكون للشياطين ويحتمل
ان يكون للكهنة ولما ذكر الكهنة بافكهم وحالهم التى تقتضى نفي كلامهم عن كلام

الله تعالى عقب ذلك بذكر الشعراء وحالهم لينبه على بعد كلامهم من كلام القرءان اذ قال بعض الكفرة فى القرءان انه شعر والمراد شعراء الجاهلية ويدخل فى الآية كل شاعر مخلط يهجو ويمدح شهوة ويقذف المحصنات ويقول الزور * وقوله الغاوون قال ابن عباس هم المستحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم وقال عكرمة هم الرعاع الذين يتبعون الشاعر ويغتنمون انشاده * وقوله فى كل واد يهيمون عبارة عن تخليطهم وخوضهم فى كل فن من غث الكلام وباطله قاله ابن عباس وغيره وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى سبع خطوات فى شعر كتب من الغاوين ذكره اسد بن موسى وذكره النقاش * وقوله تعالى الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات الآية هذا الاستثناء هو فى شعراء الاسلام كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكل من اتصف بهذه الصفة ويروى عن عطاء بن يسار وغيره ان هؤلاء شق عليهم ما ذكر قبل فى الشعراء فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ءاية الاستثناء بالمدينة * وقوله تعالى وذكروا الله كثيرا يحتمل ان يريد فى اشعارهم وهو تاويل ابن زيد ويحتمل ان ذلك خلق لهم وعبادة قاله ابن عباس فكل شاعر فى الاسلام يهجو ويمدح عن غير حق فهو داخل فى هذه الآية وكل تقي منهم يكثر من الزهد ويمسك عن كل ما يعاب فهو داخل فى الاستثناء (ت) قد كتبنا والحمد لله فى هذا المختصر جملة صالحة فى فضل الاذكار عسى الله ان ينفع به من وقع بيده ففى جامع الترمذي عن ابى سعيد الخدري قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي العباد افضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت ومن الغازى فى سبيل الله عز وجل قال لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى افضل منه وروى الترمذي وابن ماجه عن ابى الدرداء قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى قال الحاكم ابو عبد الله فى كتابه المستدرك على الصحيحين هذا حديث صحيح الاسناد انتهى من حلية النووي * وقوله وانتصروا من بعد ما ظلموا اشارة الى ما رد به حسان وعلي وغيرهما على قريش (ت) قيل وانصف بيت قالته العرب قول حسان لابى سفيان اولابى جهل

اتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء

وباقى الآية وعيد لظلمة كفار مكة وتهديد لهم



تفسير سورة النمل وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى طس تلك ءايات القرءان وكتاب مبين هدى وبشرى للمومنين تقدم القول فى الحروف المقطعة وعطف الكتاب على القرءان وهما لمسمى واحد من حيث هما صفتان لمعنيين فالقرءان لانه اجتمع والكتاب لانه يكتب واقامة الصلاة ادامتها واداؤها على وجهها * وقوله تعالى زينا لهم اعمالهم اي جعل سبحانه عقابهم على كفرهم ان حتم عليهم الكفر وحبب اليهم الشرك وزينه فى نفوسهم والعمه الحيرة والتردد فى الضلال ثم توعدهم تعالى بسوء العذاب فمن ناله منه شيء فى الدنيا بقي عليه عذاب الآخرة ومن لم ينله عذاب الدنيا كان سوء عذابه فى موته وفى ما بعده * وقوله تعالى

وانـك لتلقى القرآن تلقى مضاعف لقي يلقى ومعناه تعطى كما قال وما يلقـاها الا ذو حظ عظيم وهـذه الآيـة رد على كفـار قريش فى قولهم ان القرآن من تلقـاء محمد ومن لدن معناه من عنده ومن جهته ثم قص تعالى خبر موسى حين خرج بزوجه بنت شعيب عليه السلام يريد مصر وقد تقدم فى طه قصص الآية * وقوله سـآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس الآية اصل الشهاب الكوكب المنقـض فى اثر مسترق السمع وكل مـا يقال له شهاب من المنيرات فعلى التشبيه والقبس يحتمل ان يكون اسما ويحتمل ان يكون صفـة وقـرأ الجمهور باضافـة شهاب الى قبس وقرأ حمـزة والكسائي وعاصم بتنـوين شهاب قبس فهذا على الصفـة (ص) وقوله جاءهـا ضمير المفعول عائـد على النار وقيل على الشجرة انتهى وبورك معناه قدس ونمي خيره والبركـة مختصة بالخير * وقوله تعالى من فى النار قال ابن عباس اراد النور وقال الحسن وابن عباس واراد بمن حولها الملائكة وموسى قال (ع) ويحتمـل ان تكـون من للملائكـة لان ذلك النور الذى حسبه موسى نارا لم يخل من ملائكة ومن حولها لموسى والملائكة المطيفين بـه وقرأ ابي بن كعب ان بوركت النار ومن حولها * وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين هو تنزيـه لله تعالى ممـا عساه ان يخطر ببال فى معنى النداء من الشجرة اي هو منزه عن جميع مـا تتوهمه الاوهام وعن التشبيه والتكييف والضمير فى انه للامر والشان * وقوله سبحانـه والق عصاك الآية امره تعالى بهذين الامرين القاء العصـا وامر اليد تدريـا له فى استعمالها والجان الحيات لانها تجن انفسهـا اي تسترها وقالت فرقـة الجـان صغار الحيات * وقوله تعـالى ولى مدبرا ولم يعقب اي ولى فارا قال مجاهد ولم يرجع وقال قتادة ولم يلتفت قال (ع) وعقب الرجـل اذا ولى عن امر ثم صرف بدنه اووجهه اليه ثم ناداه سبحانـه مؤنسا له يا موسى لا

تخف انى لا يخاف لدي المرسلون * وقوله تعالى الا من ظلم قال الفراء وجماعة الاستثناء منقطع وهو اخبار عن غير الانبياء كانه سبحانه قال لكن من ظلم من الناس ثم تاب فانى غفور رحيم وهذه الآية تقتضى المغفرة للتائب والجيب الفتح فى الثوب لرأس الانسان * وقوله تعالى فى تسع ءايات متصل بقوله الق وادخل يدك وفيه اقتضاب وحذف والمعنى فى جملة تسع ءايات وقد تقدم بيانها والضمير فى جاءتهم لفرعون وقومه وظاهر قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها حصول الكفر عنادا وهي مسئلة خلاف قد تقدم بيانها وظلما معناه على غير استحقاق للجحد والعلو فى الارض اعظم ءافة على طالبه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولافسادا * وقوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما الآية هذا ابتداء قصص فيه غيوب وعبر * وورث سليمان داود اي ورث ملكه ومنزلته من النبوءة بعد موت ابيه وقوله علمنا منطق الطير اخبار بنعمة الله تعالى عندهما فى ان فهمها من اصوات الطير المعاني التى فى نفوسها وهذا نحو ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع اصوات الحجارة بالسلام عليه وغير ذلك حسب ماهو فى الآثار قال قتادة وغيره انما كان هذا الامر فى الطير خاصة والنملة طائر اذ قد يوجد لها جناحان وقالت فرقة بل كان ذلك فى جميع الحيوان وانما خص الطير لانه كان جندا من جنود سليمان يحتاجه فى التظليل من الشمس وفى البعث فى الامور والنمل حيوان فطن قوي شمام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين ليلا ينبت ويشق الكزبرة باربع قطع لانها تنبت اذا قسمت شقين وياكل فى عامه نصف ماجمع ويستبقى سائره عدة قال ابن العربي فى احكامه ولاخلاف عند العلماء فى ان الحيوانات كلها لها افهام وعقول وقد قال الشافعي الحمام اعقل الطير انتهى * وقوله واوتينا من كل شيء معناه يصلح لنا ونتمناه

وليست على العموم ثم ذكر شكر فضل الله تعالى واختلف فى مقدار جند سليمان عليه السلام اختلافا شديدا لااري ذكره لعدم صحة التحديد غير ان الصحيح فى هذا ان ملكه كان عظيما ملأ الارض وانقادت له المعمورة كلها وكان كرسيه يحمل اجناده من الانس والجن وكانت الطير تظله من الشمس ويبعثها فى الامور ويوزعون معناه يرد اولهم الى ءاخرهم ويكفون قال قتادة فكان لكل صنف وزعة ومنه قول الحسن البصري حين ولي قضاء البصرة لابد للحاكم من وزعة ومنه قول ابى قحافة للجارية ذلك يابنية الوازع ومنه قول الشاعر

على حين عاتبت المشيب على الصبا * فقلت الما اصح والشيب وازع

اي كاف وهكذا نقل ابن العربي عن مالك فقال يوزعون اي يكفون قال ابن العربي وقد يكون بمعنى يلهمون من قوله اوزعني ان اشكر نعمتك اي الهمني انتهى من الاحكام * وقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها التبسم هو ضحك الانبياء فى غالب امرهم لايليق بهم سواه وكان تبسمه سرورا بنعمة الله تعالى عليه فى اسماعه وتفهيمه وفى قول النملة وهم لايشعرون ثناء على سليمان وجنوده يتضمن تنزيههم عن تعمد القبيح ثم دعا سليمان عليه السلام ربه ان يعينه ويفرغه لشكر نعمته وهذا معنى ايزاع الشكر وقال الثعلبي وغيره اوزعني معناه الهمني وكذلك قال العراقي اوزعني الهمني انتهى * وقوله تعالى وتفقد الطير الآية قالت فرقة ذلك بحسب ما تقتضيه العناية بالمملكة والتهمم بكل جزء منها وهذا ظاهر الآية انه تفقد جميع الطير وقالت فرقة بل تفقد الطير لان الشمس دخلت من موضع الهدهد فكان ذلك سبب تفقد الطير ليبين من اين دخلت الشمس وقال عبد الله بن سلام انما طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة الماء على كم هو من وجه الارض لانه

كان نزل فى مفازة عدم فيها الماء وان الهدهد كان يرى باطن الارض
وظاهرها فكان يخبر سليمان بموضع الماء ثم كانت الجن تخرجه فى ساعة وقيل
غير هذا والله اعلم بما صح من ذلك ثم توعد عليه السلام الهدهد بالعذاب
فروي عن ابن عباس وغيره ان تعذيبه للطير كان بنتف ريشه والسلطان
الحجة حيث وقع فى القرءان قاله ابن عباس وفعل سليمان هذا بالهدهد
اغلاظا على العاصين وعقابا على اخلاله بنوبته ورتبته والضمير فى مكث يحتمل
ان يكون لسليمان اوللهدهد وفى قراءة ابن مسعود فتمكث ثم جاء فقال وفى
قراءة ابي فتمكث ثم قال احطت (ت) وهاتان القراءتان تبينان ان الضمير
فى مكث للهدهد وهو الظاهر ايضا فى قراءة الجماعة ومعنى مكث اقام *
وقوله غير بعيد يعنى فى الزمن * وقوله احطت اي علمت وقرأ الجمهور سبإ
بالصرف على انه اسم رجل وبه جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
من حديث فروة بن مسيك وغيره سئل عليه السلام عن سبإ فقال كان رجلا
له عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة ورواه الترمذي من طريق
فروة بن مسيك وقرأ ابن كثير وابو عمرو سبأ بفتح الهمزة وترك الصرف على
انه اسم بلدة وقاله الحسن وقتادة * وقوله واوتيت من كل شيء اي مما
تحتاجه المملكة قال الحسن من كل امر الدنيا وهذه المرأة هي بلقيس ووصف
عرشها بالعظم فى الهيئة ورتبة الملك واكثر بعض الناس فى قصصها بما رأيت
اختصاره لعدم صحته وانما اللازم من الآية انها امرأة ملكة على مدائن
اليمن ذات ملك عظيم وكانت كافرة من قوم كفار * وقوله الايسجدوا لله
الى قوله العظيم ظاهره انه من قول الهدهد وهو قول ابن زيد وابن اسحاق
ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى اعتراضا بين الكلامين وقراءة التشديد
فى الا تعطى ان الكلام للهدهد وهي قراءة الجمهور وقراءة التخفيف وهي

للكسائي تمنعه وتقوى الآخر فتأمله وقرأ الاعمش هلا يسجدون وفى حرف عبد الله الاهل تسجدون بالتاء والخبء الخفى من الامور وهو من خبأت الشيء واللفظة تعم كل ما خفي من الامور وبه فسر ابن عباس وقرأ الجمهور يخفون ويعلنون بياء الغائب وهذه القراءة تعطى ان الآية من كلام الهدهد وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم تخفون وتعلنون بتاء الخطاب وهذه القراءة تعطى ان الآية من خطاب الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله فالقه اليهم ثم تول عنهم قال وهب بن منبه امره بالتولى حسن ادب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعاتهم وليكل الامر الى حكم ما فى الكتاب دون ان تكون للرسول ملازمة ولا الحاح وروى وهب بن منبه فى قصص هذه الآية ان الهدهد وصل فوجد دون هذه الملكة حجب جدرات فعمد الى كوة كانت بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها فدخل منها ورمى بالكتاب اليها فقرأته وجمعت اهل ملكها فخاطبتهم بما ياتى بعد قالت يا ايها الملأ تعنى الاشراف انى القى الي كتاب كريم وصفت الكتاب بالكريم اما لانه من عند عظيم اولانه بدئ باسم كريم ثم اخذت تصف لهم ما فى الكتاب ثم اخذت فى حسن الادب مع رجالها ومشاورتهم فى امرها فراجعها قومها بما يقر عينها من اعلامهم اياها بالقوة والبأس ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع وفى قراءة عبد الله ما كنت قاضية امرا بالضاد من القضاء ثم اخبرت بلقيس بفعل الملوك بالقرى التى يتغلبون عليها وفى كلامها خوف على قومها وحيطة لهم قال الداودي وعن ابن عباس اذا دخلوا قرية افسدوها قال اذا اخذوها عنوة اخربوها انتهى * وقوله وكذلك يفعلون قالت فرقة هو من قول بلقيس وقال ابن عباس هو من قول الله تعالى معرفا لمحمد عليه السلام وامته بذلك * وانى مرسلة اليهم بهدية الآية روي ان بلقيس قالت

لقومها انى اجرب هذا الرجل بهدية فيها نفائس الاموال فان كان ملكا دنيويا ارضاه المال وان كان نبيئا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فينبغى ان نومن به ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهدية عظيمة * وقوله تعالى فلما جاء سليمان يعنى رسل بلقيس وقول سليمان ارجع خطاب لرسلها لان الرسول يقع على الجمع والافراد والتذكير والتانيث وفى قراءة ابن مسعود فلما جاءوا سليمان وقرأ ارجعوا ووعيد سليمان لهم مقترن بدوامهم على الكفر قال البخاري لا قبل لهم بها اي لاطاقة لهم انتهى ثم قال سليمان لجمعه ياايها الملأ ايكم ياتينى بعرشها قال ابن زيد وغرضه فى استدعاء عرشها ان يريها القدرة التى من عند الله وليغرب عليها ومسلمين فى هذا التاويل بمعنى مستسلمين ويحتمل ان يكون بمعنى الاسلام وقال قتادة كان غرض سليمان اخذه قبل ان يعصمهم الاسلام فالاسلام على هذا التاويل يراد به الدين (ت) والتاويل الاول اليق بمنصب النبوءة فيتعين حمل الآية عليه والله اعلم وروي ان عرشها كان من ذهب وفضة مرصعا بالياقوت والجوهر وانه كان فى جوفه سبعة ابيات عليها سبعة اغلاق والعفريت هو من الشياطين القوي المارد * وقوله قبل ان تقوم من مقامك قال مجاهد وقتادة معناه قبل قيامك من مجلس الحكم وكان يجلس من الصبح الى وقت الظهر فى كل يوم وقيل معناه قبل ان تستوي من جلوسك قائما وقول الذى عنده علم من الكتاب انا ءاتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال ابن جبير وقتادة معناه قبل ان يصل اليك من يقع طرفك عليه فى ابعد ما ترى وقال مجاهد معناه قبل ان تحتاج الى التغميض اي مدة مايمكنك ان تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده قال (ع) وهذان القولان يقابلان القولين قبلهما * وقوله لقوي امين معناه قوي على حمله امين على مافيه ويروى ان الجن كانت تخبر سليمان بمناقل سير بلقيس فلماقربت قال ايكم ياتينى بعرشها فدعا الذى

عنده علم من التوراة وهو الكتاب المشار اليه باسم الله الاعظم
الذى كانت العادة فى ذلك الزمان ان لايدعو به احد الا اجيب فشقت الارض
بذلك العرش حتى نبع بين يدي سليمان عليه السلام وقيل بل جيء
به فى الهواء وجمهور المفسرين على ان هذا الذى عنده علم من الكتاب كان
رجلا صالحا من بنى اسرائيل اسمه آصف بن برخيا روي انه صلى ركعتين ثم
قال لسليمان يانبي الله امدد بصرك نحو اليمن فمد بصره فاذا بالعرش فما رد
سليمان بصره الاوهو عنده وقال قتادة اسمه بلخيا وقول سليمان عليه السلام
نكروا لها عرشها يريد تجربة ميزها ونظرها وروت فرقة ان الجن احست
من سليمان اوظنت به انه ربما تزوجها فكرهوا ذلك وعيبوها عنده بانها غير
عاقلة ولامميزة وان رجلها كحافر دابة فجرب عقلها وميزها بتنكير السرير وجرب
امر رجلها بامر الصرح لتكشف عن ساقيها عنده وتنكير العرش تغيير وضعه
وستر بعضه وقولها كانه هو تحرز فصيح وقال الحسن بن الفضل شبهوا عليها
فشبهت عليهم ولو قالوا اهذا عرشك لقالت نعم ثم قال سليمان عند ذلك
واوتينا العلم من قبلها الآية وهذا منه على جهة تعديد نعم الله عليه وعلى
ءابائه * وقوله تعالى وصدها ماكانت تعبداي عن الايمان وهذا الكلام يحتمل
ان يكون من قول سليمان اومن قول الله اخبارا لمحمد عليه السلام قال محمد
ابن كعب القرظي وغيره ولما وصلت بلقيس امر سليمان الجن فصنعت له
صرحا وهو السطح فى الصحن من غير سقف وجعلته مبنيا كالصهريج
وملئى ماء وبث فيه السمك وطبقه بالزجاج الابيض الشفاف وبهذا جاء
صرحا والصرح ايضا كل بناء عال وكل هذا من التصريح وهو الاعلان
البالغ ثم وضع سليمان فى وسط الصرح كرسيا فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلى
الى النبي عليه السلام فلما رأت الصرح حسبته لجة وهو معظم الماء ففزعت

وظنت انها قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ماهالها ولم يكن لها بد من امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فرأى سليمان ساقيها بسليمة مما قالت الجن غير انها كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان انه صرح ممرد من قوارير والممرد المحكوك المملس ومنه الامرد فعند ذلك قالت رب انى ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فروي ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك وقيل تزوجها وردها الى ملكها باليمن وكان ياتيها على الريح كل شهر مرة فولدت له غلاما سماه داود مات فى حياته وروي ان سليمان لما اراد زوال شعر ساقيها امر الجن بالتلطف فى زواله فصنعوا النورة ولم تكن قبل وصنعوا الحمام * وقوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا الآية تمثيل لقريش وفريقان يريد بهما من آمن بصالح ومن كفر به واختصامهم هو تنازعهم وقد ذكر تعالى ذلك فى سورة الاعراف ثم ان صالحا عليه السلام ترفق بقومه ووقفهم على خطإهم فى استعجالهم العذاب قبل الرحمة او المعصية لله قبل الطاعة ثم اجابوه بقولهم اطيرنا بك اي تشاءمنا بك وتسعة رهط هم رجال كانوا من اوجه القوم واعتاهم وهم اصحاب قدار والمدينة مجتمع ثمود وقريتهم * وقوله تعالى تقاسموا قال الجمهور هو فعل امر اشار بعضهم على بعض بان يتحالفوا على هذا الفعل بصالح وحكى الطبري انه يجوز ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا فى موضع الحال كانه قال متقاسمين او متحالفين بالله لنبيتنه واهله وتؤيده قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا باسقاط قالوا قال (ع) وهذه الالفاظ الدالة على قسم تجاوب باللام وان لم يتقدم قسم ظاهر فاللام فى لنبيتنه جواب القسم وروي فى قصص هذه الآية ان هؤلاء التسعة لما كان فى صدر الثلاثة الايام بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجيىء العذاب اتفق هؤلاء التسعة فتحالفوا

على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختصين به قالوا فان كان كذبا فى وعيده اوقمنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا به نفوسنا لجاءوا واختفوا لذلك فى غار قريب من داره فروي انه انحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا وروي انها طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم وكل فريق لا يعلم بما جرى على الآخر وقد كانوا بنوا على جحود الامر من قرابة صالح ويعنى بالاهل كل من آمن به قاله الحسن * وقوله سبحانه ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون قال ابن العربي الحاتمي المكر ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب انتهى من شرحه لالفاظ الصوفية والتدمير الهلاك وخاوية معناه قفرا وهذه البيوت المشار اليها هي التى قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك لا تدخلوا بيوت المعذبين الا ان تكونوا باكين الحديث فى صحيح مسلم وغيره * وقوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون تقدم قصص هؤلاء القوم وتبصرون معناه بقلوبكم قال ابو حيان وشهوة مفعول من اجله انتهى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله من عمل عمل قوم لوط رواه ابو داود والترمذي والنساءي واللفظ له وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح * وقوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آالله خير اما تشركون الآيات هذا ابتداء تقرير وتنبيه لقريش والعرب وهو بعد يعم كل مكلف من الناس جميعا وافتتح ذلك بالقول بحمده سبحانه وتمجيده وبالسلام على عباده الذين اصطفاهم للنبوءة والايمان فهذا اللفظ عام لجميعهم من ولد ءادم وكأن هذا صدر خطبة للتقرير المذكور قالت فرقة وفى الآية حذف مضاف فى

موضعين التقدير اتوحيد الله خير ام عبادة ما تشركون فما على هذا موصولة بمعنى الذى وقالت فرقة ما مصدرية وحذف المضاف انما هو اولا تقديره اتوحيد الله خير ام شرككم (ت) ومن كلام الشيخ العارف بالله ابى الحسن الشاذلي قال رحمه الله ان اردت ان لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فاكثر من قولك سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا اله الا الله اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفرلى ذنبى واغفر للمومنين والمومنات وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى انتهى * وقوله تعالى امن خلق وما بعدها من التقريرات توبيخ لهم وتقرير على مالامندوحة عن الاقرار به والحدائق مجتمع الشجر من الاعناب والنخيل وغير ذلك قال قوم لا يقال حديقة الا لما عليه جدار قد احدق به وقال قوم يقال ذلك كان جدار او لم يكن لان البياض محدق بالاشجار والبهجة الجمال والنضارة * وقوله سبحانه ماكان لكم ان تنبتوا شجرها اي ليس ذلك فى قدرتكم ويعدلون يجوز ان يراد به يعدلون عن طريق الحق ويجوز ان يراد به يعدلون بالله غيره اي يجعلون له عديلا ومثيلا وخلالها معناه بينها والرواسى الجبال والبحران الماء العذب والماء الاجاج على ما تقدم والحاجز ما جعل الله بينهما من حواجز الارض وموانعها على رقتها فى بعض المواضع ولطافتها لولا قدرة الله لغلب المالح العذب * وقوله سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه الآية وعن حبيب بن سلمة الفهري وكان مجاب الدعوة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم الا اجابهم الله رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من سلاح المومن وعن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء

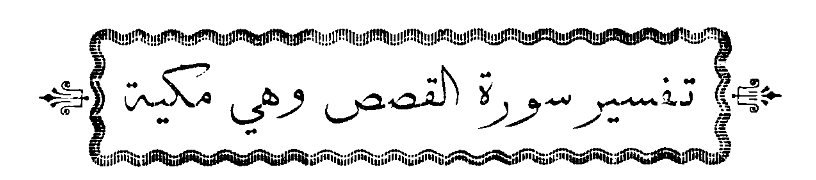
من قلب غافل لاه رواه الترمذي وهذا لفظه قال صاحب السلاح ورواه الحاكم فى المستدرك وقال مستقيم الاسناد انتهى والسوء عام فى كل ضر يكشفه الله تعالى عن عباده قال ابن عطاء الله ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا اسرع بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار انتهى والظلمات عام لظلمة الليل ولظلمة الجهل والضلال والرزق من السماء هو بالمطر ومن الارض بالنبات هذا هو مشهور ما يحسه البشر وكم لله بعد من لطف خفى ثم امر تعالى نبيه ان يوقفهم على ان الغيب مما انفرد الله بعلمه ولذلك سمي غيبا لغيبه عن المخلوقين روي ان هذه الآية من قوله قل لا يعلم انما نزلت لاجل سؤال الكفار عن الساعة الموعود بها فجاء بلفظ يعم الساعة وغيرها واخبر عن البشر انهم لا يشعرون ايان يبعثون (ص) ايان اسم استفهام بمعنى متى وهي معمولة ليبعثون والجملة فى موضع نصب بيشعرون انتهى وقرأ جمهور القراء بل ادارك اصله تدارك وقرأ عاصم فى رواية ابي بكر بل ادرك على وزن افتعل وهي بمعنى تفاعل وقرأ ابن كثير وابو عمرو بل ادرك وهذه القراءات تحتمل معنيين احدهما ادرك علمهم اي تناهى كما تقول ادرك النبات والمعنى قد تناهى علمهم بالآخرة الى ان لا يعرفوا لها مقدارا فيومنوا وانما لهم ظنون كاذبة اوالى ان لا يعرفوا لها وقتا والمعنى الثانى بل ادرك بمعنى يدرك اي انهم فى الآخرة يدرك علمهم وقت القيامة ويرون العذاب والحقائق التى كذبوا بها واما فى الدنيا فلا وهذا هو تاويل ابن عباس ونحا اليه الزجاج فقوله فى الآخرة على هذا التاويل ظرف وعلى التاويل الاول فى بمعنى الباء ثم وصفهم عز وجل بانهم فى شك منها ثم اردف بصفة هي ابلغ من الشك وهي العمى بالجملة عن امر الآخرة وعمون اصله عميون فعلون كحذرون * وقوله تعالى وقال الذين كفروا اذا كنا ترابا وءاباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن

وءاباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين هذه الآية معناها واضح مما تقدم في غيرها ثم ذكر تعالى استعجال كفار قريش امر الساعة والعذاب بقولهم متى هذا الوعد على معنى التعجيز وردف معناه قرب وازف قاله ابن عباس وغيره ولكنها عبارة عمايجيء بعد الشيء قريبا منه والهاء في غائبة للمبالغة اي ما من شيء في غاية الغيب والخفاء الا في كتاب عند الله وفي مكنون علمه لا اله الا هو ثم نبه تعالى على ان هذا القرءان يقص على بني اسراءيل اكثر الاشياء التي كان بينهم اختلاف في صفتها جاء بها القرءان على وجهها وانه لهدى ورحمة للمومنين كما انه عمى على الكافرين المحتوم عليهم ثم سلى نبيه بقوله انك لا تسمع الموتى فشبههم مرة بالموتى ومرة بالصم من حيث ان فائدة القول لهؤلاء معدومة وقرأ حمزة وحده وما انت تهدي العمي بفعل مستقبل ومعنى قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اي اذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول الازلي من الله في ذلك وهذا بمنزلة قوله تعالى حقت كلمة العذاب فمعنى الآية واذا اراد الله ان ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب اخرج لهم دابة من الارض وروي ان ذلك حين ينقطع الخير ولا يومر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تائب ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم وفي الحديث ان الدابة وطلوع الشمس من المغرب من اول الاشراط وهذه الدابة روي انها تخرج من الصفا بمكة قاله ابن عمر وغيره وقيل غير هذا وقرأ الجمهور تكلمهم من الكلام وقرأ ابن عباس وغيره تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وسئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم اوتكلمهم فقال كل ذلك والله تفعل تكلمهم وتكلمهم وروي انها تمر على الناس فتسم الكافر في جبهته وتربره وتشتمه وربما خطمته وتمسح على وجه المومن فتبيضه ويعرف بعد ذلك

الايمان والكفر من اثرها وفى الحديث تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجوه المومنين بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان الناس ليجتمعون فيقول هذا ياسومن ويقول هذا ياكافر رواه البزار انتهى من الكوكب الدري وقرأ الجمهور ان الناس بكسر ان وقرأ حمزة والكسائي وعاصم ان بفتحها وفى قراءة عبد الله تكلمهم بان وعلى هذه القراءة فيكون قوله ان الناس الى ءاخرها من كلام الدابة وروي ذلك عن ابن عباس ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى * وقوله تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا هو تذكير بيوم القيامة والفوج الجماعة الكثيرة ويوزعون معناه يكفون فى السوق اي يحبس اولهم على ءاخرهم قاله قتادة ومنه وازع الجيش ثم اخبر تعالى عن توقيفه الكفرة يوم القيامة وسؤالهم على جهة التوبيخ اكذبتم الآية ثم قال اماذا كنتم تعملون على معنى استيفاء الحجج اي ان كان لكم عمل اوحجة فهاتوها ثم اخبر عن وقوع القول عليهم اي نفوذ العذاب وحتم القضاء وانهم لاينطقون بحجة وهذا فى موطن من مواطن القيامة ولما تكلم المحاسبي على اهوال القيامة قال واذكر الصراط بدقته وهوله وزلته وعظيم خطره وجهنم تخفق بامواجها من تحته فياله من منظر ما افظعه واهوله فتوهم ذلك بقلب فارغ وعقل جامع فان اهوال يوم القيامة انما خفت على الذين توهموها فى الدنيا بعقولهم فتحملوا فى الدنيا الهموم خوفا من مقام ربهم فخففها مولاهم يوم القيامة عنهم انتهى من كتاب التوهم * ويوم ينفخ فى الصور وهو القرن فى قول جمهور الامة وصاحب الصور هو اسرافيل عليه السلام وهذه النفخة المذكورة هنا هي نفخة الفزع وروى ابو هريرة انها ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وقالت فرقة انما هما نفختان

كانهم جعلوا الفزع والصعق فى نفخة واحدة مستدلين بقوله تعالى ثم نفخ فيه
اخرى الاية قالوا واخرى لايقال الافى الثانية قال (ع) والاول اصح واخرى
يقال فى الثالثة ومنه قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى * وقوله تعالى الامن شاء
الله استثناء فيمن قضى الله سبحانه من ملائكته وانبيائه وشهداء عبيده
ان لاينالهم فزع النفخ فى الصور حسب ماورد فى ذلك من الآثار قال (ع)
واذا كان الفزع الاكبر لاينالهم فهم حريون ان لاينالهم هذا وقرأ حمزة
وكل اتوه على صيغة الفعل الماضى والداخر المتذلل الخاضع قال ابن عباس
وابن زيد الداخر الصاغر وقد تظاهرت الروايات بان الاستثناء فى هذه
الآية انما اريد به الشهداء لانهم احياء عند ربهم يرزقون وهم اهل للفزع
لانهم بشر لكن فضلوا بالامن فى ذلك اليوم (ت) واختار الحليمي هذا القول
قال وهو مروي عن ابن عباس ان المستثنى هم الشهداء وضعف ماعداه من
الاقوال قال القرطبي فى تذكرته وقدورد فى حديث ابى هريرة بانهم الشهداء
وهو حديث صحيح انتهى * وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة الآية
هذا وصف حال الاشياء يوم القيامة عقب النفخ فى الصور والرؤية
هي بالعين قال ابن عباس جامدة قائمة والحسنة الايمان وقال ابن عباس
وغيره هي لااله الا الله وروي عن علي بن الحسين انه قال كنت فى
بعض خلواتى فرفعت صوتى بلااله الا الله فسمعت قائلا يقول انها الكلمة
التى قال الله فيها من جاء بالحسنة فله خيرمنها وقال ابن زيد يعطى بالحسنة
الواحدة عشرا قال (ع) والسيئة التى فى هذه الآية هي الكفروالمعاصى
فيمن حتم الله عليه من اهل المشيئة بدخول النار * وقوله انما امرت المعنى
قل يامحمد لقومك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعنى مكة وان
اتلوا القرءان معناه تابع فى قراءتك اي بين ءاياته واسرد قال (ص) وان

اتلوا معطوف على ان اكون وقرأ عبد الله وان اتل بغير واو وقوله ومن ضل جوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فوبال ضلاله عليه اويكون الجواب فقل ويقدر ضمير عائد من الجواب على الشرط لانه اسم غير ظرف اي من المنذرين له انتهى وتلاوة القرءان سبب الاهتداء الى كل خير * وقوله تعالى سيريكم ءاياته توعد بعذاب الدنيا كبدر ونحوه وبعذاب الآخرة * وما ربك بغافل عما تعملون فيه وعيد



تفسير سورة القصص وهي مكية

الاقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرءان لرادك الى معاد فانها نزلت بالجحفة فى وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قاله ابن سلام وغيره وقال مقاتل فيها من المدني الذين ءاتيناهم الكتاب الى قوله لانبتغى الجاهلين

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى طسم تلك ءايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى الآية معنى نتلوا نقص وخص تعالى بقوله لقوم يومنون من حيث انهم هم المنتفعون بذلك دون غيرهم وعلا فى الارض اي علوطغيان وتغلب وفى الارض يريد ارض مصر والشيع الفرق والطائفة المستضعفة هم بنو اسراءيل يذبح ابناءهم خوف خراب ملكه على ما اخبرته كهنته اولاجل رؤيا رءاها قاله السدي وطمع بجهله ان يرد القدر واين هذا المنزع من قول النبي صلى الله عليه وسلم

لعمر ان يكنه فلن تسلط عليه وان لم يكنه فلا خير لك فى قتله يعنى ابن صياد اذخاف عمر ان يكون هو الدجال وباقى الآية بين وتقدم قصصه والائمة ولاة الامور قاله قتادة * ونجعلهم الوارثين يريد ارض مصر والشام وقرأ حمزة ويرى فرعون بالياء وفتح الراء والمعنى ويقع فرعون وقومه فيما خافوه وحذروه من جهة بنى اسرايل وظهورهم وهامان هو وزير فرعون واكبر رجاله وهذا الوحي الى ام موسى قيل وحي الهام وقيل بملك وقيل فى منام وجملة الامر انها علمت ان هذا الذى وقع فى نفسها هو من عند الله قال السدي وغيره امرت ان ترضعه عقب الولادة وتصنع به مافى الآية لان الخوف كان عقب كل ولادة واليم معظم الماء والمراد نيل مصر واسم ام موسى يوحانذ وروي فى قصص هذه الآية ان ام موسى لفته فى ثيابه وجعلت له تابوتا صغيرا وسدته عليه بقفل وعلقت مفتاحه عليه واسلمته ثقة بالله وانتظارا لوعده سبحانه فلما غاب عنها عاودها بثها واسفت عليه واقنطها الشيطان فاهتمت به وكادت تفتضح وجعلت الاخت تقصه اي تطلب اثره وتقدم باقى القصة فى طه وغيرها والالتقاط اللقاء عن غير قصد وءال فرعون اهله وجملته واللام فى ليكون لام العاقبة وقال (ص) ليكون اللام للتعليل المجازي ولما كان مئاله الى ذلك عبر عنه بلام العاقبة وبلام الصيرورة انتهى وقرأ حمزة والكسائي وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي والخاطئ متعمد الخطإ والمخطئ الذى لايتعمده * وقوله وهم لايشعرون اي بانه هو الذى يفسد ملك فرعون على يده قاله قتادة وغيره * واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي فارغا من كل شيء الامن ذكر موسى قاله ابن عباس وقال مالك هو ذهاب العقل وقالت فرقة فارغا من الصبر * وقوله تعالى ان كادت لتبدى به اي امر ابنها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كادت ام موسى ان تقول وابناه

وتخرج سائحة على وجهها والربط على القلب تانيسه وتقويته ولتكون من المومنين اي من المصدقين بوعد الله وما اوحي اليها به وعن جنب اي ناحية فمعنى عن جنب عن بعد لم تدن منه فيشعر لها * وقوله وهم لا يشعرون معناه انها اخته ووعد الله المشار اليه هو الذى اوحاه اليها اولا اما بملك او بمنامة حسبما تقدم والقول بالالهام صعيف ان يقال فيه وعد * وقوله واكثرهم يريد به القبط والاشد شدة البدن واستحكام امره وقوته واستوى معناه تكامل عقله وذلك عند الجمهور مع الاربعين والحكم الحكمة والعلم المعرفة بشرع ابراهيم عليه السلام * وقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال السدي كان موسى فى وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى انه كان يدعى موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مدائن مصر فركب موسى بعده ولحق بتلك المدينة فى وقت القائلة وهو حين الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشاء والعتمة وقيل غير هذا * وقوله تعالى هذا من شيعته اي من بنى اسرايل وعدوه هم القبط والوكز الضرب باليد مجموعة وقرأ ابن مسعود فلكزه والمعنى واحد الا ان اللكز فى اللحى والوكز على القلب وقضى عليه معناه قتله مجهزا ولم يرد عليه السلام قتل القبطي لكن وافقت وكزته الاجل فندم ورأى ان ذلك من نزع الشيطان فى يده ثم ان ندامة موسى حملته على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه فغفر الله له ذلك ومع ذلك لم يزل عليه السلام يعيد ذلك على نفسه مع علمه انه قد غفر له حتى انه فى القيامة يقول وقتلت نفسا لم اومر بقتلها حسبما صح فى حديث الشفاعة ثم قال موسى عليه السلام معاهدا لربه رب بنعمتك علي وبسبب احسانك وغفرانك فانا ملتزم ان لا اكون معينا للمجرمين هذا

احسن ما تأول وقال الطبري انه قسم اقسم بنعمة الله عنده قال (ع) واحتج
اهل الفضل والعلم بهذه الآية فى منع خدمة اهل الجور ومعونتهم فى شيء
من امورهم ورأوا انها تتناول ذلك نص عليه عطاء بن ابى رباح وغيره قال
ابن عباس ثم ان موسى مر وهو بحالة الترقب واذا ذلك الاسرائيلي الذى
قاتل القبطي بالامس يقاتل آخر من القبط وكان قتل القبطي قد خفي على
الناس واكتتم فلما رأى الاسرائيلي موسى استصرخه بمعنى صاح به
مستغيثا فلما رأى موسى قتاله لآخر اعظم ذلك وقال له معاتبا ومؤنبا انك
لغوي مبين وكانت ارادة موسى مع ذلك ان ينصر الاسرائيلي فلما دنا
منهما وحبس الاسرائيلي وفزع منه وظن انه ربما ضربه وفزع من قوته التى
رأى بالامس فناداه بالفضيحة وشهر امر المقتول ولما اشتهر ان موسى
قتل القتيل وكان قول الاسرائيلي يغلب على النفوس تصديقه على
موسى مع ما كان لموسى من المقدمات اتى رأي فرعون وملائه على قتل
موسى وغلب على نفس فرعون انه المشار اليه بفساد المملكة فانفذ فيه
من يطلبه وياتى به للقتل والهم الله رجلا يقال انه مومن من آل فرعون
او غيره فجاء الى موسى وبلغه قبلهم ويسعى معناه يسرع فى مشيه قاله
الزجاج وغيره وهو دون الجري فقال ياموسى ان الملا ياتمرون بك
الآية (ت) قال الهروي قوله تعالى ياتمرون بك اي يوامر بعضهم بعضا
فى قتلك وقال الازهري الباء فى قوله ياتمرون بك بمعنى فى يقال
ائتمر القوم اذا شاور بعضهم بعضا انتهى وعن ابى مجلز واسمه لاحق بن حميد قال
من خاف من امير ظلما فقال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيئا
وبالقرءان حكما واماما نجاه الله منه رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه انتهى
من السلاح وتلقاء معناه ناحية مدين وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية ايام

وكان ملك مدين لغير فرعون ولما خرج عليه السلام فارا بنفسه منفردا حافيا لاشيء معه ولازاد وغير عارف بالطريق اسند امره الى الله تعالى وقال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ومشى عليه السلام حتى ورد ماء مدين وورده الماء معناه بلوغه ومدين لاينصرف اذ هو بلد معروف والامة الجمع الكثير ويسقون معناه ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة التي جاء منها فوصل الى المرأتين قبل وصوله الى الامة وتذودان معناه تمنعان وتحبسان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقوياء وابونا شيخ كبير اي لايستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه * وقوله تعالى فسقى لهما قالت فرقة كانت ءابارهم مغطاة بحجارة كبار فعمد الى بير وكان حجرها لايرفعه الاجماعة فرفعه وسقى للمرأتين فمن رفع الصخرة وصفته احداهما بالقوة وقيل وصفته بالقوة لانه زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى لهما وقرأ الجمهور يصدر الرعاء على حذف المفعول تقديره مواشيهم وتولى موسى الى الظل وتعرض لسؤال ما يطعمه بقوله رب اني لما انزلت الي من خير فقير ولم يصرح بسؤال هكذا روى جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ماياكله قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع الى ان اخضر لونه من اكل البقل ورئيت خضرة البقل في بطنه وانه لاكرم الخلق يومئذ على الله وفي هذا معتبر وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى وعن معاذ بن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اكل طعاما فقال الحمد لله الذى اطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمدلله الذى كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولاقوة غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر رواه ابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري وقال الترمذي حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله تعالى فجاءته احداهما تمشي على

استحياء الاية فى هذا الموضع اختصار يدل عليه الظاهر قدره ابن اسحاق فذهبتا الى ابيهما فاخبرتاه بما كان من الرجل فامر احدى ابنتيه ان تدعوه له فجاءته على مافى الآية وقوله على استحياء اى خفرة قد سترت وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى الترمذي عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى والجمهور ان الداعي لموسى عليه السلام هو شعيب عليه السلام وان المرأتين ابنتاه فقالت ان ابى يدعوك الآية فقام يتبعها فهبت ريح ضمت قميصها الى بدنها فتحرج موسى من النظر اليها فقال لها امشى خلفى وارشديني الى الطريق ففهمت عنه فذلك سبب وصفها له بالامانة قاله ابن عباس فلما جاءه وقص عليه القصص فانسه بقوله لا تخف نجوت من القوم الظالمين فلما فرغ كلامهما قالت احدى الابنتين ياابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين فقال لها ابوها ومن اين عرفت هذا منه قالت اما قوته ففى رفع الصخرة واما امانته ففى تحرجه عن النظر الي قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم فقال له الاب عند ذلك اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين الآية قال ابن العربي فى احكامه قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين يدل على انه عرض لاعقد لانه لوكان عقدا لعين المعقود عليها لان العلماء وان اختلفوا فى جواز البيع اذا قال له بعتك احد عبدي هذين بثمن كذا فانهم اتفقوا على ان ذلك لايجوز فى النكاح لانه خيار وشيء من الخيار لايلحق بالنكاح وروي انه قال شعيب ايتهما تريد قال الصغرى انتهى وتاجر معناه تثيب وجعل شعيب الثمانية الاعوام شرطا ووكل العامين الى المروءة ولما فرغ كلام شعيب قرره موسى وكرر معناه على جهة التوثق فى ان الشرط انما وقع فى ثمان حجج وايما استفهام

نصب بقضيت وما صلة للتاكيد ولاعدوان معناه لاتباعة علي والوكيل الشاهد القائم بالامر * وقوله تعالى فلما قضى موسى الاجل قال ابن عباس قضى اكملهما عشر سنين واسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله اني ءانست نارا لعلي ءاتيكم منها بخبر اوجذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي الآية تقدم قصصها فانظره فى محاله قال البخاري والجذوة قطعة غليظة من الخشب فيها لهب انتهى قال العراقي وءانس معناه ابصر انتهى * وقوله من الشجرة يقتضى ان موسى عليه السلام سمع ما سمع من جهة الشجرة وسمع وادرك غير مكيف ولامحدد قال السهيلي قيل ان هذه الشجرة عوسجة وقيل عليقة والعوسج اذا عظم قيل له الغرقد انتهى ولم يعقب معناه لم يرجع على عقبه من توليته * وقوله تعالى واضمم اليك جناحك من الرهب ذهب مجاهد وابن زيد الى ان ذلك حقيقة امره بضم عضده وذراعه وهو الجناح الى جنبه ليخف بذلك فزعه ورهبه ومن شان الانسان اذا فعل ذلك فى اوقات فزعه ان يقوى قلبه وذهبت فرقة الى ان ذلك على المجاز وانه امر بالعزم على ما امر به كما تقول العرب اشدد حيازيمك واربط جأشك اي شمر فى امرك ودع عنك الرهب * وقوله تعالى فذانك برهانان من ربك قال مجاهد والسدي هي اشارة الى العصا واليد وقرأ الجمهور ردأ بالهمز وقرأ نافع وحده ردا بتنوين الدال دون همز وذلك على التخفيف من ردء والردء الوزير المعين وشد العضد استعارة فى المعونة والسلطان الحجة * وقوله بـءاياتنا متعلق بقوله الغالبون اي تغلبون بـءاياتنا وهي المعجزات ثم ان فرعون استمر فى طريق مخرقته على قومه وامر هامان بان يطبخ له الآجر وان يبني له صرحا اي سطحا فى اعلى الهواء موهما لجهلة قومه ان يطلع بزعمه فى السماء ثم قال واني لاظنه من الكاذبين يعني موسى فى انه ارسله مرسل

ونبذناهم معناه طرحناهم واليم بحر القلزم فى قول اكثر الناس وهو الاشهر * وقوله تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار الآية عبارة عن حالهم وافعالهم وخاتمتهم اي هم بذلك كالداعين الى النار وهم فيه ائمة من حيث اشتهروا وبقي حديثهم فهم قدوة لكل كافر وعات الى يوم القيامة والمقبوحين الذين يقبح كل امرهم قولا لهم وفعلا بهم قال ابن عباس هم الذين قبحوا بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف مقدم ولقد آتينا موسى الكتاب يعنى التوراة والقصد بهذا الاخبار التمثيل لقريش بما تقدم فى غيرها من الامم وبصائر نصب على الحال اي طرائق هادية * وقوله تعالى وماكنت بجانب الغربي الآية اي ماكنت يامحمد حاضرا لهذه الغيوب التى تخبرهم بها ولكنها صارت اليك بوحينا اي فكان الواجب ان يسارعوا الى الايمان بك قال السهيلي وجانب الغربي هو جانب الطور الايمن فحين ذكر سبحانه نداءه لموسى قال وناديناه من جانب الطور الايمن وحين نفى عن محمد عليه السلام ان يكون بذلك الجانب قال وما كنت بجانب الغربي والغربي هو الايمن وبين اللفظين فى ذكر المقامين ما لايخفى فى حسن العبارة وبديع الفصاحة والبلاغة فان محمدا عليه السلام لايقال له وما كنت بالجانب الايمن فانه لم يزل بالجانب الايمن مذ كان فى ظهر ءادم عليه السلام انتهى * وقوله سبحانه فتطاول عليهم العمر الثعلبي اي فنسوا عهد الله انتهى وقضينا معناه انفذنا والامر يعنى التوراة وقالت فرقة يعنى به ما اعلمه من امر محمد عليه السلام قال (ع) وهذا تاويل حسن يلتئم معه ما بعده من قوله ولكنا انشأنا قرونا (ت) قال ابو بكر بن العربي قوله تعالى اذ قضينا الى موسى الامر معناه اعلمناه وهو احد مايرد تحت لفظ القضاء مرادا انتهى من كتاب تفسير الافعال الواقعة فى القرءان والثاوى المقيم * وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور يريد وقت انزال التوراة الى موسى *

وقوله اذ نادينا روي عن ابي هريرة انه نودي يومئذ من السماء يا امة محمد استجبت لكم قبل ان تدعوني وغفرت لكم قبل ان تسئلوني فحينئذ قال موسى عليه السلام اللهم اجعلني من امة محمد فالمعنى اذ نادينا بامرك واخبرنا بنبوتك وقال الطبري معنى قوله اذ نادينا بان سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الآية * وقوله سبحانه ولولا ان تصيبهم مصيبة الآية المصيبة عذاب في الدنيا على كفرهم وجواب لولا محذوف يقتضيه الكلام تقديره لعاجلناهم بما يستحقونه وقال الزجاج تقديره لما ارسلنا الرسل * وقوله سبحانه فلما جاءهم الحق يريد القرءان ومحمدا عليه السلام والمقالة التي قالتها قريش لولا اوتي مثل ما اوتي موسى كانت من تعليم اليهود لهم قالوا لهم لم لاياتي بءاية باهرة كالعصا واليد وغير ذلك فعكس الله عليهم قولهم ووقفهم على انهم قد وقع منهم في تلك الآيات ماوقع من هؤلاء في هذه فالضمير في قوله يكفروا لليهود وقرأ الجمهور ساحران والمراد موسى وهارون قال (ع) ويحتمل ان يريد بما اوتي موسى من امر محمد والاخبار به الذى هو في التوراة * وقوله وقالوا انا بكل كافرون يؤيد هذا التاويل وقرأ حمزة والكسائي وعاصم سحران والمراد بهما التوراة والقرءان قاله ابن عباس وتظاهرا معناه تعاونا * وقوله اهدى منهما قال الثعلبي يعني اهدى من كتاب محمد وكتاب موسى انتهى (ت) ويحتمل ان يكون الضمير في يكفروا لقريش كما اشار اليه الثعلبي وكذا في قالوا لقريش عنده وساحران يريدون موسى ومحمدا عليهما السلام وهو ظاهر قولهم انا بكل كافرون لان اليهود لايقولون ذلك في موسى في عصر نبينا محمد عليه السلام ويبين هذا كله قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك الآية فان ظاهر الآية ان المراد قريش وعلى هذا كله مر الثعلبي انتهى * وقوله تعالى ولقد وصلنا لهم القول الآية الذين وصل لهم القول هم قريش قاله مجاهد وغيره قال الجمهور

والمعنى واصلنا لهم فى القرءان وتابعنــاه موصولا بعضه ببعض فى المواعـظ والزواجـر والدعاء الى الاسلام وذهبت فرقة الى ان الاشارة بتوصيل القول انما هي الى الالفاظ فالمعنى ولقد وصلنا لهـم قولا معجزا دالا على نبوتـك قال (ع) والمعنى الاول تقديره ولقد وصلنا لهم قولا يتضمــن معاني من تـدبرهــا اهتدى ثم ذكر تعالى القوم الذين ءامنوا بمحمد من اهل الكتاب مباهيا بهـم قريشا واختلف فى تعيـينهم فـقال الزهري الاشارة الى النجاشي وقيــل الى سلمان وابن سلام واسند الطبري الى رفاعة القرظي قال نزلت هذه الآيــة فى اليهود فى عشرة انا احدهم اسلمنا فاوذينا فنزلت فينــا هذه الآية والضميـر فى قبله يعود على القرءان واجرهم مرتين معناه على ملتين وهذا المعنى هـو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم ثلاثـة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب ءامن بنبيه وءامن بي الحديث ويدرءون معناه يدفعون وهذا وصف لمـكارم الاخـلاق اي يتغابون ومن قال لهم سوءا لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه واللغو سقط القول والقول يسقط لوجوه يعز حصرها والمراد منه فى الاية ماكان سبا واذى ونحوه فادب الاسلام الاعراض عنه وسلام فى هذا الموضع قصد به المتاركة لا التحيــة قال الزجاج وهـذا قبل الامر با لقتــال ولانبتغى الجاهلين معناه لانطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة (ت) قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا حبيب بن حجر القيسي قال كان يقال ما احسن الايمان يزينه العلم ومـا احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضفت شيأ الى شيىء مثل حلم الى علم انتهى واجمع جل المفسرين على ان قوله تعالى انك لاتهدى من احببت انما نزلت فى شان ابى طالب فروى ابو هريرة وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو يـجود بنفسه فقال له اي عم قل لااله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله الحديث قد ذكرناه فى سورة براءة فمات ابو طالب على

كفره فنزلت هذه الآية فيه قال ابو روق قوله تعالى ولكن الله يهدى من يشاء اشارة الى العباس والضمير فى قوله وقالوا لقريش قال ابن عباس والمتكلم بذلك فيهم الحارث بن نوفل وحكى الثعلبي انه قال له انا لنعلم ان الذى تقول حق ولكن ان اتبعناك تخطفتنا العرب وتجبى معناه تجمع وتجلب * وقوله كل شيء يريد مما به صلاح حالهم ثم توعد قريشا بقوله وكم اهلكنا من قرية وبطرت معناه سفهت واشرت وطغت قاله ابن زيد وغيره (ت) قال الهروي قوله تعالى بطرت معيشتها اي فى معيشتها والبطر الطغيان عند النعمة انتهى ثم احالهم على الاعتبار فى خراب ديار الامم المهلكة كحجر ثمود وغيره ثم خاطب تعالى قريشا محقرا لماكانوا يفتخرون به من مال وبنين وان ذلك متاع الدنيا الفانى وان الآخرة وما فيها من النعيم الذى اعده الله للمومنين خير وابقى (ت) وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة رواه الترمذي من طريق سهل بن سعد قال وفى الباب عن ابى هريرة قال ابو عيسى هذا حديث صحيح انتهى وباقى الآية بين لمن ابصر واهتدى جعلنا الله منهم بمنه * وقوله سبحانه افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه الآية معناها يعم جميع العالم ومن المحضرين معناه فى عذاب الله قاله مجاهد وقتادة ولفظة محضر مشيرة الى سوق بجبر * وقوله تعالى ويوم يناديهم الضمير المتصل بينادى لعبدة الاوثان والاشارة الى قريش وكفار العرب * وقوله قال الذين حق عليهم القول هؤلاء المجيبون هم كل مغو داع الى الكفر من الشياطين والانس طمعوا فى التبرى من متبعيهم فقالوا ربنا هؤلاء انما اضللناهم كما ضللنا نحن باجتهاد لنا ولهم واحبوا الكفر كما احببناه تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ثم اخبر تعالى انه يقال للكفرة العابدين للاصنام ادعوا شركاءكم يعنى

الاصنام فدعوهم فلم يكن فى الجمادات ما يجيب ورأى الكفار العذاب * وقوله تعالى لو انهم كانوا يهتدون ذهب الزجاج وغيره الى ان جواب لو محذوف تقديره لما نالهم العذاب وقالت فرقة لو متعلقة بما قبلها تقديره فودوا حين رأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون * وقوله سبحانه ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين هذا النداء ايضا للكفار وعميت عليهم الانباء معناه اظلمت عليهم جهاتها * وقوله فهم لا يتساءلون معناه فى قول مجاهد لايتساءلون بالارحام ويحتمل ان يريد انهم لايتساءلون عن الانباء ليقين جميعهم انه لاحجة لهم * قوله سبحانه فعسى ان يكون من المفلحين قال كثير من العلماء عسى من الله واجبة قال (ع) وهذا ظن حسن بالله تعالى يشبه كرمه وفضله سبحانه واللازم من عسى انها ترجية لاواجبة وفى كتاب الله تعالى عسى ربه ان طلقكن (ت) ومعنى الوجوب هنا الوقوع * وقوله سبحانه وربك يخلق ما يشاء ويختار الآية قيل سببها قول قريش لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم ونحو ذلك من قولهم فرد الله عليهم بهذه الآية وجماعة المفسرين ان ما نافية اي ليس لهم الخيرة وذهب الطبري الى ان ما مفعولة بيختار اي ويختار الذى لهم فيه الخيرة وعن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن ءادم استخارته الله ومن شقاوته تركه رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح وباقى الآية بين والسرمد من الاشياء الدائم الذى لاينقطع (ت) وقوله سبحانه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله الآية معناها بين وينبغى للعاقل ان لا يجعل ليله كله نوما فيكون ضائع العمر جيفة بالليل بطالا بالنهار كما قيل

نهارك بطال وليلك نائم * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

فان اردت ايها الاخ ان تكون من الابرار فعليك بالقيام فى الاسحار وقد نقل صاحب الكوكب الدري عن البزار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما قالت ام سليمان لسليمان عليه السلام يابني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل يدع الرجل فقيرا يوم القيامة انتهى وابتغاء الفضل هو بالمشي والتصرف * وقوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا اي عدول الامم واخيارها فيشهدون على الامم بخيرها وشرها فيحق العذاب على من شهد عليه بالكفر وقيل له على جهة الاعذار فى المحاورة هاتوا برهانكم ومن هذه الآية انتزع قول القاضى عند ارادة الحكم ابقيت لك حجة * وقوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية كان قارون من قرابة موسى ممن آمن بموسى وحفظ التوراة وكان عند موسى من عباد المومنين ثم ان الله اضله وبغى على قومه بانواع البغي من ذلك كفره بموسى وقال الثعلبي قال ابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون على بنى اسراءيل ممن يبغي عليهم ويظلمهم قال قتادة بغى عليهم بكثرة ماله وولده انتهى (ت) وما ذكره ابن المسيب هو الذى يصح فى النظر لمتأمل الآية ولولا الاطالة لبينت وجه ذلك والمفاتح ظاهرها انها التى يفتح بها ويحتمل ان يريد بها الخزائن والاوعية الكبار قاله الضحاك لان المفتح فى كلام العرب الخزانة واما قوله لتنوء فمعناه تنهض بتحامل واشتداد قال كثير من المفسرين ان المراد ان العصبة تنوء بالمفاتح المثقلة لها فقلب (ت) وقال عريب الاندلسي فى كتاب الانواء له نوء كذا معناه ميله ومنه لتنوء بالعصبة انتهى وهو حسن ان ساعده النقل وقال الداودي عن ابن عباس لتنوء بالعصبة اولى القوة يقول تثقل وكذا قال الواحدي انتهى واختلف فى العصبة كم هم فقال ابن عباس ثلاثة وقال قتادة هم من العشرة الى الاربعين قال البخاري يقال الفرحين المرحين قال الغزالي فى الاحياء الفرح بالدنيا والتنعم بها سم قاتل يسرى فى العروق

فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت
القلب والعياذ بالله فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم فى حال الفرح
بمواتاة الدنيا وعلموا ان النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من اسباب الفرح والبطر
فقطعوا النفس عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا
ان حلالها حساب وهو نوع عذاب ومن نوقش الحساب عذب فخلصوا انفسهم
من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك فى الدنيا والآخرة بالخلاص من اسر
الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته انتهى قال
ابن الحاج فى المدخل قال يمن بن رزق رحمه الله تعالى وانا اوصيك بان تطيل
النظر فى مرءاة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها
فيدعوك ذلك النظر الى تركها ثم قال يمن بن رزق ولا تفرحن بكثرة العمل مع
قلة الحزن واغتنم قليل العمل مع الحزن فان قليل حزن الآخرة الدائم فى
القلب ينفى كل سرور الفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا فى القلب ينفى
عنك جميع حزن الآخرة والحزن لايصل الى القلب الامع تيقظه وتيقظه حياته
وسرور الدنيا لغير الآخرة لايصل الى القلب الامع غفلته وغفلة القلب موته
وعلامة ثبات اليقين فى القلب استدامة الحزن فيه وقال رحمه الله اعلم
انى لم اجد شيأ ابلغ فى الزهد فى الدنيا من ثبات حزن الآخرة فى القلب
وعلامة ثبات حزن الآخرة فى القلب انس العبد بالوحدة انتهى وقولهم له
ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ابن عباس والجمهور معناه لا تضيع عمرك فى
ان لا تعمل عملا صالحا فى دنياك اذ الآخرة انما يعمل لها فى الدنيا فنصيب
الانسان عمره وعمله الصالح فيها فينبغى ان لايهمله وحكى الثعلبي انه قيل ارادوا
بنصيبه الكفن قال (ع) وهذا كله وعظ متصل ونحو هذا قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال ابن العربي فى احكامه وفى معنى النصيب ثلاثة اقوال الاول لاتنس حظك من الدنيا اي لاتغفل ان تعمل فى الدنيا للآخرة الثانى امسك مايبلغك فذلك حظ الدنيا وانفق الفضل فذلك حظ الآخرة الثالث لاتغفل عن شكر ماانعم الله به عليك انتهى وقولهم واحسن كما احسن الله اليك امر بصلة المساكين وذوى الحاجات (ص) كما احسن الكاف للتشبيه اوللتعليل انتهى وقول قارون انما اوتيته على علم عندى قال الجمهور ادعى ان عنده علما استوجب به ان يكون صاحب ذلك المال ثم اختلفوا فى ذلك العلم فقال ابن المسيب اراد علم الكيمياء وقال ابو سليمان الداراني اراد العلم بالتجارة ووجوه تثمير المال وقيل غير هذا * وقوله تعالى ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون قال محمد بن كعب هو كلام متصل بمعنى ما قبله والضمير فى ذنوبهم عائد على من اهلك من القرون اي اهلكوا ولم يسئل غيرهم بعدهم عن ذنوبهم اي كل احد انما يكلم ويعاتب بحسب ما يخصه وقالت فرقة هو اخبار مستانف عن حال يوم القيامة وجاءت ءايات اخر تقتضى السؤال فقال الناس فى هذا انها مواطن وطوائف وقيل غير هذا ويوم القيامة هو مواطن ثم اخبر تعالى عن خروج قارون على قومه فى زينته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا واكثر الناس فى تحديد زينة قارون وتعيينها بما لاصحة له فتركته وباقى الآية بين فى اغترار الجهلة والاغمار من الناس * وقوله سبحانه وقال الذين اوتوا العلم ويلكم الآية اخبر تعالى عن الذين اوتوا العلم والمعرفة بالله وبحق طاعته انهم زجروا الاغمار الذين تمنوا حال قارون وحملوهم على الطريقة المثلى من ان النظر والتمني انما ينبغى ان يكون فى امور الآخرة وان حالة المومن العامل الذى ينتظر ثواب الله تعالى خير من حال كل ذى دنيا ثم اخبر تعالى عن هذه النزعة وهذه القوة فى الخير والدين انها لايلقاها اي لايمكن فيها ويخولها الا الطابر على طاعة

الله وعن شهوات نفسه وهذاهو جماع الخير كله وقال الطبري الضمير عائد على الكلمة وهي قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا اي لايلقن هذه الكلمة الا الصابرون وعنهم تصدر وروي فى الخسف بقارون وداره ان موسى عليه السلام لما امضه فعل قارون به وتعديه عليه استجار بالله تعالى وطلب النصرة فاوحى الله اليه انى قد امرت الارض ان تطيعك فى قارون واتباعه فقال موسى ياارض خذيهم فاخذتهم الى الركب فاستغاثوا ياموسى ياموسى فقال خذيهم فاخذتهم شيأ فشيأ الى ان تم الخسف بهم فاوحى الله اليه ياموسى لوبى استغاثوا والي تابوا لرحمتهم قال قتادة وغيره روي انه يخسف به كل يوم قامة فهو يتجلجل الى يوم القيامة (ت) وفى الترمذي عن معاذ بن انس الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من اي حلل الايمان شاء يلبسها وروى الترمذي عن عائشة قالت كان لنا قرام ستر فيه تماثيل على بابى فرءاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انزعيه فانه يذكرنى الدنيا الحديث وروى الترمذي عن كعب ابن عياض قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فتنة وفتنة امتى المال قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفيه عن عثمان بن عفان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس لابن ءادم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء قال النضر بن شميل جلف الخبز يعنى ليس معه ادام انتهى فهذه الاحاديث واشباهها تزهد فى زينة الدنيا وغضارة عيشها الفانى * وقوله ويكأن مذهب الخليل وسيبويه ان وي حرف تنبيه منفصلة من كأن لكن اضيفت لكثرة الاستعمال وقال ابو حاتم وجماعة ويك هي ويلك حذفت اللام منها لكثرة الاستعمال وقالت فرقة ويكأن بجملتها كلمة * وقوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا

فى الارض ولا فسادا الآية هذا اخبار مستانف من الله تعالى لنبيه عليه السلام يراد به جميع العالم ويتضمن الحض على السعي حسب مادلت عليه الآية ويتضمن الانحناء على حال قارون ونظرائه والمعنى ان الآخرة ليست فى شيء من امر قارون واشباهه وانما هي لمن صفته كذا وكذا والعلو المذموم هو بالظلم والتجبر قال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان تريد ان يكون شراك نعلك افضل من شراك نعل اخيك والفساد يعم وجوه الشر * وقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرءان قالت فرقة معناه فرض عليك احكام القرءان * وقوله تعالى لرادك الى معاد قال الجمهور معناه لرادك الى الآخرة اي باعثك بعد الموت وقال ابن عباس وغيره المعاد الجنة وقال ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكة وفى البخاري بسنده عن ابن عباس لرادك الى معاد الى مكة انتهى وهذه الآية نزلت بالجحفة كما تقدم والمعاد الموضع الذى يعاد اليه * وقوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك هو تعديد نعم والظهير المعين * ولا يصدنك عن آيات الله باقوالهم ولا تلتفت نحوهم وامض لشأنك وادع الى ربك وءايات الموادعة كلها منسوخة * وقوله تعالى كل شيء هالك الاوجهه قالت فرقة المعنى كل شيء هالك الاهو سبحانه قاله الطبري وجماعة منهم ابو المعالى رحمه الله وقال الزجاج الااياه



تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

الا الصدر منها العشر الآيات فانها مدنية نزلت فى شأن من كان من المسلمين بمكة هذا اصح ماقيل هنا

* بسم الله الرحمـــن الرحيم *

قوله تعالى الم تقدم الكلام على هذه الحروف * وقوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا ءامنا وهم لايفتنون نزلت هذه الآية فى قوم من المومنين بمكة وكان كفار قريش يوذونهم ويعذبونهم على الاسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استنكر بعضهم ان يمكن الله الكفرة من المومنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة ان هذه هي سيرة الله فى عباده اختبارا للمومنين ليعلم الصادق من الكاذب وحسب بمعنى ظن * والذين من قبلهم يريد بهم المومنين مع الانبياء فى سالف الدهر * وقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ام معادلة للهمزة فى قوله احسب وكانه تعالى قرر الفريقين قرر المومنين على ظنهم انهم لايفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات فى تعذيب المومنين وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون عقاب الله ويعجزونه ثم الآية بعد تعم كل عاص وعامل سيئة من المسلمين وغيرهم وفى الآية وعيد شديد للكفرة الفاتنين وفى قوله تعالى من كان يرجوا لقاء الله تثبيت للمومنين وباقى الآية بين والله الموفق وقال (ص) قول (ع) ام معادلة للالف فى قوله احسب يقتضى انها هنا متصلة وليس كذلك بل ام هنا منقطعة مقدرة ببل للاضراب بمعنى الانتقال لابمعنى الابطال وهمزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ فلا تقتضى جوابا انتهى * وقوله تعالى والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اخبار عن المومنين المهاجرين الذين هم فى اعلى رتبة من البدار الى الله تعالى نوه بهم عز وجل وبحالهم ليقيم نفوس المتخلفين عن الهجرة وهم الذين فتنهم الكفار * ولنجزينهم احسن اي ثواب احسن الذى كانوا يعملون * وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به

علم فلا تطعهما روي عن قتادة وغيره انها نزلت فى شأن سعد بن ابى وقاص وذلك انه هاجر فحلفت امــه ان لاتستظــل بظــل حتى يرجع اليها ويكفر بمحمد فلج هو فى هجرته ونزلت الآية وقيل بل نزلت فى عياش بن ابى ربيعة وكانت قصته كهذه ثم خدعه ابو جهل ورده الى امه الحديث فى كتب السيرة وباقى الآية بين ثم كرر تعالى التمثيل بحالة المومنين العاملين ليحرك النفوس الى نيل مراتبهم قال الثعلبي قوله تعالى لندخلنهم فى الصالحين اي فى زمرتهم وقال محمد بن جرير فى مدخل الصالحين وهو الجنة وقيل فى بمعنى مع والصالحون هم الانبياء والاولياء انتهى * وقوله تعالى ومن الناس من يقول ءامنا بالله الى قوله المنافقين نزلت فى المتخلفين عن الهجرة المتقدم ذكرهم قاله ابن عباس ثم قررهم تعالى على علمه بما فى صدورهم اي لوكان يقينهم تاما واسلامهم خالصا لما توقفوا ساعة ولركبوا كل هــول الى هجرتهــم ودار نبيهم * وقوله تعالى وليعلمــن الله الذين ءامنوا وليعلمن المنافقــين هنا انتهى المدني مــن هــذه السورة * وقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين ءامنــوا اتبعوا سبيلنا الآيــة روي ان قائل هذه المقالة هــو الوليد بن المغيرة وقيل بل كانت شائعة من كفار قريش لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وليحملن اثقالهم الآية لانه يلحق كل داع الى ضلالة كفل منها حسبما صرح به الحديث المشهور * وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الاية العطف بالفاء يقتضي ظاهره انه لبث هذه المدة رسولا يدعو الى عبادة الله تعالى والطوفان العظيم الطامى ويقال ذلك لكل طام خرج عــن العادة من ماء اونار اوموت * وقوله وهم ظالمون يريد بالشرك ثم ذكــر تعالى قصة ابراهيم وقومه وذلك ايضا تمثيل لقريش * وتخلقون افكا قال ابن عبــاس هو نحت الاصنام وقال مجاهد هو اختلاق الكذب فى امر الاوثان وغير ذلك * وقوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخــلــق ثم يعيده الآية هــذه الحالة هي

على مايظهر مع الاحيان مـن احياء الارض والنبات واعادتـه ونحـو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور ثم امر تعالى نبيه محمدا عليـه السلام ويحتمل ان يكون ابراهيم بان يامرهم على جهة الاحتجاج بالسير فى الارض والنظر فى اقطارها والنشأة الآخرة نشأة القيام من القبور * وقوله تعالى وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء الآية قال ابن زيد لا يعجزه اهل الارض فى الارض ولا اهـل السماء فى السـماء ان عصوه وقيـل معناه ولا فى السـماء لو كنتم فيها وقيل المعنى ليس للبشر حيلة الى صعود اونزول يفلتون بها قال قتادة ذم الله قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا مـن رحمتى الآيـة قال (ع) وما تقدم من قوله اولم يروا كيف الى هذه الآية المستانفة يحتمل ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم ويكون اعتراضا فى قصة ابراهيم عليـه السلام ويحتمل ان يكون خطابا لابراهيم ومحاورة لقومه وعنـد ءاخر ذلك ذكر جواب قومـه * وقوله تعالى فانجاه الله من النار اي بان جعلها بردا وسلاما قال كعب الاحبار ولم تحرق النار الا الحبل الذى اوثقوه به وجعل سبحانه ذلك ءاية وعبرة ودليلا على توحيده لمن شرح صدره ويسره للايمان ثم ذكر تعالى ان ابراهيم عليه السلام قررهم على ان اتخاذهم الاوثان انما كان اتباعا من بعضهم لبعض وحفظا لمودتهم الدنيوية وانهم يوم القيامـة يجحد بعضهم بعضا ويتـلاعنون لان توادهـم كان على غـير تقوى والاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * وقوله تعالى فـءامـن له لوط معناه صدق وآمن يتعدى باللام والباء والقائل انى مهاجر هو ابراهيم عليه السلام قاله قتادة والنخعي وقالت فرقة هو لوط عليه السلام * وقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوءة والكتاب وءاتيناه اجره فى الدنيا الآية ٠لاجر الذى٠ اتاه الله فى الدنيا العافية من النار ومن الملك الجائر والعمل الصالح اوالثنـا الحسن قاله مجاهد ويدخل فى عموم اللفظ غير مـا ذكـر * وانـه

فى الآخره لمن الصالحين اي فى عداد الصالحين الذين نالوا رضا الله عز وجل وقول لوط ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل قالت فرقة كان قطع الطريق بالسلب فاشيا فيهم وقيل غير هذا والنادى المجلس الذى يجتمع الناس فيه واختلف فى هذا المنكر الذى ياتونه فى ناديهم فقالت فرقة كانوا يخذفون الناس بالحصباء ويستخفون بالغريب والخاطر عليهم ورونه ام هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت خلقهم مهملة لا يربطهم دين ولا مروءة وقال مجاهد كانوا ياتون الرجال فى مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقال ابن عباس كانوا يتضارطون ويتصافعون فى مجالسهم وقيل غير هذا وقد تقدم قصص الآية مكررا والرجز العذاب * وقوله تعالى ولقد تركنا منها اي من خبرها وما بقي من آثارها والآية موضع العبرة وعلامة القدرة ومزدجر النفوس عن الوقوع فى سخط الله تعالى * وقوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر الآية الرجاء فى الآية على بابه وذهب ابو عبيدة الى ان المعنى وخافوا وتعثوا معناه تفسدوا والسبيل هي طريق الايمان ومنهج النجاة من النار وما كانوا سابقين اي مفلتين اخذنا وعقابنا وقيل معناه وما كانوا سابقين الامم الى الكفر وباقى الآية بين * وقوله تعالى ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شيئ قيل معناه ان الله يعلم الذين تدعون من دونه من جميع الاشياء وقيل مانافية وفيه نظر وقيل مااستفهامية قال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون العالم من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته * وخلق الله السموات والارض بالحق اي لا للعبث واللعب بل ليدل على سلطانه وتثبيت شرائعه ويضع الدلالة لاهلها ويعم بالمنافع الى غير ذلك مما لا يحصى عدا ثم امر تعالى نبيه عليه السلام بالنفوذ لامره وتلاوة القرءان الذى اوحي اليه واقامة الصلاة اي ادامتها والقيام بحدودها ثم اخبر

سبحانه حكما منه ان الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر قال (ع) وذلك عندى بان المصلي اذا كان على الواجب من الخشوع والاخبات وتذكر الله وتوهم الوقوف بين يديه وان قلبه واخلاصه مطلع عليه مرقوب صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى فاطرد ذلك فى اقواله وافعاله وانتهى عن الفحشاء والمنكر ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة اخرى يرجع بها الى افضل حاله فهذا معنى هذا الاخبار لان صلاة المومن هكذا ينبغى ان تكون وقد روي عن بعض السلف انه كان اذا اقام الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم فى ذلك فقال انى اقف بين يدي الله تعالى قال (ع) فهذه صلاة تنهى ولابد عن الفحشاء والمنكر واما من كانت صلاته دائرة حول الاجزاء بلاتذكر ولاخشوع ولافضائل فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان * وقوله تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس وابو الدرداء وسلمان وابن مسعود وابو قرة معناه ولذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل معناه ولذكر الله اكبر مع المداومة من الصلاة فى النهي عن الفحشاء والمنكر وقال ابن زيد وغيره معناه ولذكر الله اكبر من كل شيئ وقيل لسلمان اي الاعمال افضل فقال اما تقرأ ولذكر الله اكبر والاحاديث فى فضل الذكر كثيرة لا تنحصر وقال ابن العربي فى احكامه قوله ولذكر الله اكبر فيه اربعة اقوال الاول ذكر الله لكم افضل من ذكركم له اضاف المصدر الى الفاعل الثانى ذكر الله افضل من كل شيئ الثالث ذكر الله فى الصلاة افضل من ذكره فى غيرها يعنى لانهما عبادتان الرابع ذكر الله فى الصلاة اكبر من الصلاة وهذه الثلاثة الاخيرة من اضافة المصدر الى المفعول وهذه كلها صحيحة وان للصلاة بركة عظيمة انتهى قال (ع) وعندى ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذى ينهى عن

الفحشاء والمنكر فالجزء الذى منه فى الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل فى غير الصلاة لان الانتهاء لايكون الا من ذاكر لله تعالى مراقب له وثواب ذلك الذكران يذكره الله تعالى كما فى الحديث الصحيح ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم والحركات التى فى الصلاة لاتأثير لها فى نهي والذكر النافع هومع العلم واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما مالا يتجاوز اللسان ففى رتبة اخرى وذكر الله تعالى للعبد هو افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة ذكرالعبد ربه قال الله عز وجل فاذكرونى اذكركم وعبارة الشيخ ابن ابى جمرة ولذكر الله اكبر معناه ذكره لك فى الازل ان جعلك من الذاكرين له اكبر من ذكرك انت الآن له انتهى قال القشيري فى رسالته الذكر ركن قوي فى طريق الحق سبحانه وهو العمدة فى هذا الطريق ولايصل احد الى الله سبحانه الا بدوام الذكر ثم الذكر على ضربين ذكر باللسان وذكر بالقلب فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب والتاثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه سمعت اباعلى الدقاق يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد وفق للمنشور ومن سلب الذكر فقد عزل والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات واسند القشيري عن المظفر الجصاص قال كنت انا ونصر الخراط ليلة فى موضع فتذاكرنا شيأ من العلم فقال الخراط الذاكر لله تعالى فائدته فى اول ذكره ان يعلم ان الله ذكره فبذكر الله له ذكره قال فخالفته فقال لوكان الخضرهاهنا لشهد لصحته قال فاذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والارض حتى بلغ الينا وقال صدق الذاكر لله بفضل الله وذكره له ذكره فعلمنا انه الخضرعليه السلام انتهى وباقى الآية ضرب من التوعد وحث على المراقبة قال الباجي فى سنن الصالحين قال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته

وكنت جليسه ومحادثه وانيسه انتهى * وقوله تعالى ولاتجادلوا اهل الكتاب الابالتي هي احسن هذه الآية مكية ولم يكن يومئذ قتال وكانت اليهود يومئذ بمكة وفيما جاورها فربما وقع بينهم وبين بعض المومنين جدال واحتجاج فى امر الدين وتكذيب فامر الله المومنين الايجادلوهم الابالتى هي احسن دعاء الى الله تعالى وملاينة ثم استثنى من ظلم منهم المومنين وحصلت منه اذية فان هذه الصنيفة استثني لاهل الاسلام معارضتها بالتغيير عليها والخروج معها عن التى هي احسن ثم نسخ هذا بعد بثاية القتال وهذا قول قتادة وهو احسن ما قيل فى تاويل الآية (ت) قال عزالدين بن عبد السلام فى اختصاره لقواعد الاحكام فائدة لايجوز الجدال والمناظرة الالاظهار الحق ونصرته ليعرف ويعمل به فمن جادل لذلك فقد اطاع ومن جادل لغرض آخر فقد عصى وخاب ولاخير فيمن يتحيل لنصرة مذهبه مع ضعفه وبعد ادلته من الصواب انتهى تنبيه روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وروى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها حديث غريب انتهى وهما فى مصابيح البغوي وروى ابو داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال او الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا انتهى * وقوله تعالى وقولوا ءامنا الآية قال ابو هريرة كان اهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية للمسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا ءامنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وروى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسئلوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا

اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل * وقوله تعالى فالذين ءاتيناهم الكتاب يريد التوراة والانجيل كانوا فى وقت نزول الكتاب عليهم يومنون بالقرءان ثم اخبر عن معاصرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان منهم ايضا من يومن به ولم يكونوا ءامنوا بعد ففى هذا اخبار بغيب بينه الوجود بعد ذلك * وما يجحد بءاياتنا الا الكافرون يشبه ان يراد بهذا الانحناء كفار قريش ثم بين تعالى الحجة واوضح البرهان ان مما يقوى ان نزول هذا القرءان من عند الله ان محمدا عليه السلام جاء به فى غاية الاعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك وهو امي لا يقرأ ولا يكتب ولايتلو كتابا ولا يخط حروفا ولا سبيل له الى التعلم ولوكان ممن يقرأ اويخط لا رتاب المبطلون وكان لهم فى ارتيابهم معلق واما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده بل هو ءايات بينات يعنى القرءان ويحتمل ان يعود على امر محمد صلى الله عليه وسلم والظالمون والمبطلون يعم لفظهما كل مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن عظم الاشارة بهما الى قريش لانهم الاهم قاله مجاهد * وقالوا لولا انزل عليه ءايات من ربه الضمير فى قالوا لقريش ولبعض اليهود لانهم كانوا يعلمون قريشا مثل هذه الحجة على مامر فى غير ما موضع ثم احتج عليهم فى اقتراحهم ءاية بامر القرءان الذى هو اعظم الآيات ومعجز للجن والانس فقال سبحانه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الآية * وقوله ءامنوا بالباطل يريد الاصنام وما فى معناها * وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب يريد كفار قريش وباقى الآية بين مما تقدم مكررا والله الموفق بفضله وبغتة معناه فجأة وهذا هو عذاب الدنيا كيوم بدر ونحوه ثم توعدهم سبحانه بعذاب الآخرة فى قوله يستعجلونك بالعذاب وان جهنم الآية * وقوله تعالى يا عبادي الذين ءامنوا ان ارضى واسعة فاياي فاعبدون الآيات هذه

الآيات نزلت فى تحريض المومنين الكائنين بمكة على الهجرة قال ابن جبير وعطاء ومجاهد ان الارض التى فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية وتلزم الهجرة عنها الى بلد حق وقاله مالك * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون تحقير لامر الدنيا ومخاوفها كان بعض المومنين نظر فى عاقبة تلحقه فى خروجه من وطنه انه يموت او يجوع ونحو هذا فحقر الله سبحانه شأن الدنيا اي وانتم لا محالة ميتون ومحشرون الينا فالبدار الى طاعة الله والهجرة اليه اولى ما يمتثل ذكر هشام بن عبد الله القرطبي فى تاريخه المسمى ببهجة النفس قال بينما المنصور جالس فى منزله فى اعلى قصره اذ جاءه سهم عائر فسقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم اخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين

اتطمع فى الحياة الى التنادى * وتحسب ان مالك من معاد
ستسئل عن ذنوبك والخطايا * وتسئل بعد ذاك عن العباد

ومن الجانب الآخر

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما ياتى به القدر
وساعدتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وفى الآخر

هي المقادير تجرى فى اعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس القوم ترفعه * الى السماء ويوما تخفض العالى

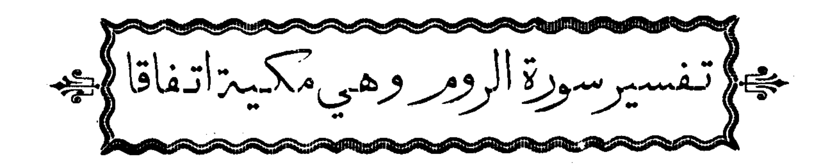
ثم قرأ على الجانب الآخر من السهم

من يصحب الدهر لايامن تصرفه * يوما فللدهر احلاء وامرار
لكل شيء وان طالت سلامته * اذا انتهى مدة لابد اقصار

انتهى وقرأ حمزة لنثوينهم من الجنة غرفا من اثوى يثوى بمعنى اقام * وقوله تعالى

وكأين من دابة الآية تحريض على الهجرة لان بعض المومنين فكر فى الفقر والجوع الذى يلحقه فى الهجرة وقالوا غربة فى بلد لادار لنا فيه ولا عقار ولا من يطعم فمثل لهم باكثر الدواب التى لا تتقوت ولا تدخر ثم قال تعالى الله يرزقها واياكم فقوله لا تحمل يجوز ان يريد من الحمل اي لا تنتقل ولا تنظر فى ادخاره قاله مجاهد وغيره قال (ع) والادخار ليس من خلق الموقنين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس يخبئون رزق سنة بضعف اليقين ويجوز ان يريد من الحمالة اي لا تتكفل لنفسها قال الداودي وعن علي بن الاقمر لا تحمل رزقها اي لا تدخر شيأ لغد انتهى وفى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى ثم خاطب تعالى فى امر الكفار واقامة الحجة عليهم بانهم ان سئلوا عن الامور العظام التى هي دلائل القدرة لم يكن لهم الا التسليم بانها لله تعالى و يوفكون معناه يصرفون* وقوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وصف الله تعالى الدنيا فى هذه الآية بانها لهو ولعب اي ما كان منها لغير وجه الله تعالى واما ما كان لله تعالى فهو من الآخرة واما امور الدنيا التى هي زائدة على الضروري الذى به قوام العيش والقوة على الطاعات فانما هي لهو ولعب وتأمل ذلك فى الملابس والمطاعم والاقوال والمكتسبات وغير ذلك وانظر ان حالة الغني والفقير من الامور الضرورية واحدة كالتنفس فى الهواء وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد هذه عظم امر العيش والحيوان والحياة بمعنى والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال اصله حييان فابدلت احداهما واوا لاجتماع المثلين ثم وقفهم تعالى على حالهم فى البحر عند الخوف العظيم

ونسيانهم عند ذلك للاصنام وغيرها على ما تقدم بيانه فى غيرهذا الموضع وليكفروا نصب بلام كي ثم عدد تعالى على كفرة قريش نعمته عليهم فى الحرم والمثوى موضع الاقامة والفاظ هذه الآيـة فى غايـة الاقتضاب والايجاز وجمع المعانى ثم ذكر تعالى حال اوليائـه والمجاهدين فيـه * وقوله فينـا معناه فى مرضاتنـا وبغيـة ثوابنـا قال السدي وغيره نزلت هذه الآيـة قبل فرض القتال قال (ع) فهي قبل الجهاد العرفي وانمـا هو جهاد عام فى دين الله وطلب مرضاتـه قال الحسن بن ابى الحسن الآيـة فى العباد وقال ابراهيم ابن ادهم هي فى الذين يعملون بما علموا وقال ابوسليمان الداراني ليس الجهاد فى هذه الآيـة قتال العدو فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين واعظمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنـه مجاهدة النفوس فى طاعة الله عز وجل وهو الجهـاد الاكبر قاله الحسن وغيره وفيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رجعتم من الجهـاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والسبل هنا يحتمل ان تكون طرق الجنـة ومسالكهـا ويحتمـل ان تكون سبل الاعمال المؤدية الى الجنة قال يوسف بن اسباط هي اصلاح النيـة فى الاعمـال وحب التزيـد والتفهم وهو ان يجازى العبـد على حسنة بازدياد حسنة وبعلم ينقدح من علم متقدم قال (ص) والذين جاهـدوا مبتدأ خبره القسم المحذوف وجوابه وهو لنهدينهم انتهى وقال الثعلبي قال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنـة انتهى واللام فى قوله لمع لام تاكيد



تفسير سورة الروم وهي مكية اتفاقا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الم غلبت الروم قرأ الجمهور غلبت بضم الغين وقالوا معنى الآية انه بلغ اهل مكة ان الملك كسرى هزم جيش الروم باذرعات وهي ادنى الارض الى مكة قاله عكرمة فسر بذلك كفار مكة فبشر الله تعالى المومنين بان الروم سيغلبون فى بضع سنين فخرج ابو بكر رضي الله عنه الى المسجد الحرام فقال للكفار اسركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن الله تعالى انهم سيغلبون فى بضع سنين فقال له ابي بن خلف واخوه امية بن خلف يا ابا بكر تعال فلنتناحب اي نتراهن فى ذلك فراهنهم ابو بكر على خمس قلائص والاجل ثلاث سنين وذلك قبل ان يحرم القمار فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له ان البضع الى التسع ولكن زد هم فى الرهن واستزد هم فى الاجل ففعل ابو بكر فجعلوا القلائص مائة والاجل تسعة اعوام فغلبت الروم فارس فى اثناء الاجل يوم بدر وروي ان ذلك كان يوم الحديبية يوم بيعة الرضوان وفى كلا اليومين كان نصر من الله تعالى للمومنين وذكر الناس سرور المومنين بغلبة الروم من اجل انهم اهل كتاب وفرحت قريش بغلبة الفرس من اجل انهم اهل اوثان ونحوه من عبادة النار * وقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اي له انفاذ الاحكام من قبل ومن بعد هذه الغلبة التى بين هؤلاء ثم اخبر تعالى ان يوم غلبة الروم للفرس يفرح المومنون بنصر الله ولكن اكثر الناس لايعلمون يريد كفار قريش والعرب اي لايعلمون ان الامور من عند الله وان وعده لايخلف وان ما يورثه نبيه حق قل (ع) وهذا الذى ذكرناه عمدة ما قيل ثم وصف تعالى الكفرة الذين لايعلمون امر الله وصدق وعده بانهم انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون قال صاحب الكلم الفارقية الدنيا طبق

مسموم * لايعرف ضرره الا ارباب الفهوم * قوة الرغبة فى الدنيا علامة ضعفها فى الآخرة * بحسب انصراف الرغبة الى الشيء يجدّ الراغب فى طلبه وتتوفر دواعيه على تحصيله * المطلوبات تُظهر وتبين اقدار طلابها * فمن شرفت همته شرفت رغبته وعزت طلبته * ياغافل سكر حبك لدنياك * وطول متابعتك لغاوى هواك * انساك عظمة مولاك * وثناك عن ذكره والهاك * وصرف وجه رغبتك عن آخرتك الى دنياك * ان كنت من اهل الاستبصار * فالق ناظر رغبتك عن زخارف هذه الدار * فانها مجمع الاكدار * ومنبع المضار * وسجن الابرار * ومجلس سرور الاشرار * الدنيا كالحية تجمع فى انيابها * سموم نوائبها * وتفرغه فى صميم قلوب ابنائها انتهى قال عياض فى الشفا قال ابو العباس المبرد رحمه الله قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون لكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جزأها ثلاثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لايستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لايستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر انتهى والمومن المنهمك فى امور الدنيا التى هي اكبرهمه ياخذ من هذه الآية بحظ نور الله قلوبنا بهداه (ت) قد تقدم ماجاء فى الفكرة فى ءال عمران قال ابن عطاء الله الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له وقال ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة انتهى وباقى الآية بين * وقوله عز وجل اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض الآية يريد اثاروا الارض بالمبانى والحرث والحروب وسائر الحوادث التى احدثوها

هي كلهـا اثارة للارض بعضهـا حقيقـة وبعضهـا بتجـوز والضمير في عمروها الاول للماضين وفى الثانى للحاضرين المعاصرين * وقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بئايات الله قرأ نافع وغيره عاقبة بالرفع على انها اسم كان والخبر يجوز ان يكون السوأى ويجوز ان يكون ان كذبوا وتكون السوأى على هذا مفعولا باساءوا واذا كان السوأى خبرا فان كذبوا مفعول من اجله وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما عاقبة بالنصب على انها خبر مقدم واسم كان احد مـا تقدم والسوأى مصـدر كالرجعى والشورى والفتيا قال ابن عباس اساءوا هنا بمعنى كفروا والسوأى هي النار وعبارة البخـاري وقال مجـاهـد السوأى اي الاساءة جزاء المسيئين انتهى والابلاس الـكون فى شر مع اليأس من الخير (ص) وقال الزجاج المبلس الساكت المنقطع فى حجته اليائس من ان يهتـدي اليها انتهى * وقوله جلت عظمته ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون معناه فى المنازل والاحكام والجزاء قال قتادة فرقـة والله لا اجتماع بعدها ويحبرون معناه ينعمـون قاله مجاهد والحبرة والحبور السرور وقال يحي بن ابى كثير يحـبرون معناه يسمعون الاغانى وهذا نوع من الحبرة (ت) وفى الصحيح من قـول ابى موسى لوشعرت بك يارسول الله لحبرته لك تحبيرا اوكما قال وقال (ص) يحبرون قال الزجاج التحبير التحسين والحبر العالم انما هو من هذا المعنى لانـه متخـلق باحسن اخلاق المومنين والحـبر المداد انما سمي به لانه يحسن به انتهى قال الاصمعي ولايقال روضة حتى يكون فيها ماء يشرب منه ومعني فى العذاب محضرون اي مجموعون له لايغيب احد عنه * وقوله تعـالى فسبحان الله الآيـة خطاب للمومنين بالامر بالعبادة والحض على الصلاة فى هذه الاوقات كانه يقول سبحانـه اذاكان امر هذه الفرق هكـذا من النعمة والعذاب فجد ايها المومن فى طريق الفوز برحمة الله وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى يومه ذلك ومن قالهن حين يمسى ادرك مافاته فى ليلته رواه ابو داود انتهى من السلاح قال ابن عباس وغيره فى هذه الآية تنبيه على اربع صلوات المغرب والصبح والظهر والعصر قالوا والعشاء الاخيرة هي فى ءاية اخرى فى زلف الليل وقد تقدم بيان هذا مستوفى فى محاله * وقوله تعالى يخرج الحي من الميت الآية تقدم بيانها ثم بعد هذه الامثلة القاضية بتجويز بعث الاجساد عقلا ساق الخبر سبحانه بان كذلك خروجنا من قبورنا وتنتشرون معناه تتصرفون وتتفرقون والمودة والرحمة هما على بابهما المشهور من التواد والتراحم هذا هو البليغ وقيل غيرهذا وقرأ الجمهور للعالمين بفتح اللام يعنى جميع العالم وقرأ حفص عن عاصم بكسرها على معنى ان اهل الانتفاع بالنظرفيها انماهم اهل العلم وباقى الآية اطلبه فى محاله تجده ان شاء الله مبينا وهذا شاننا الاحالة فى هذا المختصر على ما تقدم بيانه فاعلمه راشدا (ت) وهذه الآيات والعبر انما يعظم موقعها فى قلوب العارفين بالله سبحانه ومن اكثر التفكر فى عجائب صنع الله تعالى حصلت له المعرفة بالله سبحانه قال الغزالي فى الاحياء وبحر المعرفة لاساحل له والاحاطة بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله تعالى وصفاته وافعاله واسرار مملكته وقويت كثر النعيم فى الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن وقال ايضا فى كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء وتكون سعة ملك العبد فى الجنة بحسب سعة معرفته بالله وبحسب ما يتجلى له من عظمة الله سبحانه وصفاته وافعاله انتهى * وقوله تعالى ان تقوم السماء والارض معناه تثبت كقوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا وهذا كثير والدعوة من الارض هي البعث ليوم القيامة قال مكي والاحسن عند اهل النظر ان الوقف فى هذه الآية يكون

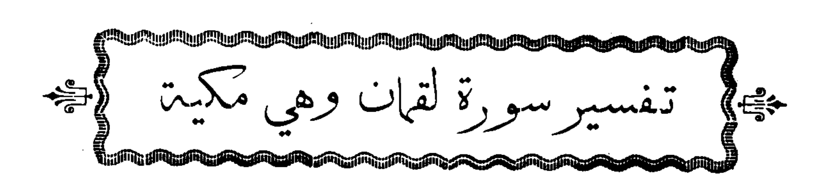
فى اخرها تخرجون لان مذهب سيبويه والخليل فى اذا الثانية انها جواب الاولى كانه قال ثم اذا دعاكم خرجتم وهذا اسد الاقوال وقال (ص) اذا انتم اذا للمفاجأة وهل هي ظرف مكان اوظرف زمان خلاف ومن الارض علقه الحوفي بدعا واجاز (ع) ان يتعلق بدعوة انتهى وقرأحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء والباقون بضمها والقنوت هنا بمعنى الخضوع والانقياد فى طاعته سبحانه واعادة الخلق هو بعثهم من القبور * وقوله تعالى وهو اهون عليه قال ابن عباس وغيره المعنى وهوهين عليه وفى مصحف ابن مسعود وهو هين عليه وفى بعض المصاحف وكل هين عليه وقال ابن عباس ايضا وغيره المعنى وهو ايسر عليه قال ولكن هذا التفضيل انما هو بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر فى الشاهد من ان الاعادة فى كثير من الاشياء اهون علينا من البدءة ولما جاء بالفظ فيه استعارة وتشبيه بما يعهده الناس من انفسهم خلص جانب العظمة بان جعل له المثل الاعلى الذى لايلحقه تكييف ولاتماثل مع شيء ثم بين تعالى امر الاصنام وفساد معتقد من يشركها بالله بضربه هذا المثل وهو قوله ضرب لكم مثلامن انفسكم الآية ومعناه انكم ايها الناس اذا كان لكم عبيد تملكونهم فانكم لاتشركونهم فى اموالكم ومهم اموركم ولافى شيء على جهة استواء المنزلة وليس من شأنكم ان تخافوهم فى ان يرثوا اموالكم اويقاسموكم اياها فى حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده وملكه شركاء فى سلطانه والوهيته هذا تفسير ابن عباس والجماعة * وقوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا الآية اقامة الوجه هي تقويم المقصد والقوة على الجد فى اعمال الدين وخص الوجه لانه جامع حواس الانسان ولشرفه وفطرة الله نصب على المصدر وقيل بفعل مضمر تقديره اتبع اوالتزم فطرة الله واختلف فى الفطرة هاهنا والذى يعتمد عليه فى تفسير هذه

اللفظة انها الخلقة والهيئة التى فى نفس الطفل التى هي معدة مهيئة لان يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويومن به فكانه تعالى قال اقم وجهك للدين الذى هو الحنيف وهو فطرة الله الذى على الاعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه اوينصرانه الحديث ثم يقول فطرة الله الآية الى القيم فذكر الابوين انما هما مثال للعوارض التى هي كثيرة وقال البخاري فطرة الله هي الاسلام انتهى * وقوله تعالى لاتبديل لخلق الله يحتمل ان يريد بها هذه الفطرة ويحتمل ان يريد بها الانحاء على الكفرة اعترض به اثناء الكلام كانه يقول اقم وجهك للدين الذى من صفته كذا وكذا فان هؤلاء الكفرة قد خلق الله لهم الكفر ولاتبديل لخلق الله اي انهم لايفلحون وقيل غير هذا وقال البخاري لاتبديل لخلق الله اي لدين الله وخلق الاولين دينهم انتهى والقيم بناء مبالغة من القيام الذى هو بمعنى الاستقامة ومنيبين يحتمل ان يكون حالا من قوله فطر الناس لاسيما على رأي من رأى ان ذلك خصوص فى المومنين ويحتمل ان يكون حالا من قوله اقم وجهك وجمعه لان الخطاب باقامة الوجه هو للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته نظيرها قوله تعالى يا ايها النبيء اذا طلقتم النساء والمشركون المشار اليهم فى هذه الآية هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقيل غير هذا * وقوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الآية ابتداء انحاء على عبدة الاصنام قال (ع) ويلحق من هذه الالفاظ شيء للمومنين اذا جاءهم فرج بعد شدة فعلقوا ذلك بمخلوقين او بحذق آرائهم وغير ذلك لان فيه قلة شكر لله تعالى ويسمى تشريكا مجازا والسلطان هنا البرهان من رسول اوكتاب ونحوه * وقوله تعالى فهو يتكلم معناه فهو يظهر حجتهم ويغلب مذهبهم وينطق بشركهم ثم قال تعالى واذا اذقنا الناس

رحمة فرحوا بها الآية وكل احد ياخذ من هذه الخلق بقسط فالمقل والمكثر الامن
ربطت الشريعة جاشه ونهجت السنة سبيله وتأدب بآداب الله فصبر عند الضراء
وشكر عند السراء ولم يبطر عند النعمة ولاقنط عند الابتلاء والقنط
اليأس الصريح ثم ذكر تعالى الامر الذى من اعتبره لم ييأس من روح الله وهو
انه سبحانه يخص من يشاء من عباده ببسط الرزق ويقدر على من يشاء منهم
فينبغى لكل عبد ان يكون راجيا ما عند ربه ثم امر تعالى نبيه عليه السلام امرا
تدخل فيه امته على جهة الندب بايتاء ذى القربى حقه من صلة المال وحسن
المعاشرة ولين القول قال الحسن حقه المواساة فى اليسر وقول ميسور فى العسر
قال (ع) ومعظم ما قصد امر المعونة بالمال وقرأ الجمهور وما ءاتيتم بمعنى اعطيتم
وقرأ ابن كثير بغير مد بمعنى وما فعلتم واجمعوا على المد فى قوله وما ءاتيتم من
زكاة والربا الزيادة قال ابن عباس وغيره هذه الآية نزلت فى هبات الثواب قال
(ع) وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازئ عليه كالسلم وغيره فهو وان كان
لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وما اعطى الانسان تنمية لماله
وتطهيرا يريد بذلك وجه الله تعالى فذلك هو الذى يجازى به اضعافا مضاعفة
على ما شاء الله له وقرأ جمهور السبعة ليربوا باسناد الفعل الى الربا وقرأ نافع وحده
لتربوا وباقى الآية بين ثم ذكر تعالى على جهة العبرة ماظهر من الفساد بسبب
المعاصى قال مجاهد البر البلاد البعيدة من البحر والبحر السواحل والمدن التى
على ضفة البحر وظهور الفساد فيها هو بارتفاع البركات ووقوع الرزايا وحدوث
الفتن وتغلب العدو وهذه الثلاثة توجد فى البر والبحر قال ابن عباس الفساد
فى البحر انقطاع صيده بذنوب بنى ءادم وقلما توجد امة فاضلة مطيعة مستقيمة
الاعمال الا يدفع الله عنها هذه الامور والامر بالعكس فى المعاصى وبطر النعمة
ليذيقهم عاقبة بعض ما عملوا ويعفوا عن كثير ولعلهم يرجعون اي يتوبون

ويراجعون بصائرهم فى طاعة ربهم ثم حذر تعالى من يوم القيامة تحذيرا يعم العالم واياهم المقصد بقوله فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لامرد له من الله الآية ولامرد له معناه ليس فيه رجوع لعمل ويحتمل ان يريد لايرده راد وهذا ظاهر بحسب اللفظ ويصدعون معناه يتفرقون بعد جمعهم الى الجنة والى النار ثم ذكر تعالى من آياته اشياء وهي ما فى الريح من المنافع وذلك انها بشرى بالمطر وبلقح بها الشجر وغير ذلك وتجرى بها السفن فى البحر ثم انس سبحانه نبيه عليه السلام بقوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات الآية ثم وعد تعالى محمدا وامته النصر بقوله وكان حقا علينا نصر المومنين وحقا خبر كان قدمه اهتماما * وقوله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا الآية الاثارة تحريكها من سكونها وتسييرها وبسطه فى السماء هو نشره فى الآفاق والكسف القطع * وقوله من قبله تاكيد افاد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار والابلاس الكون فى حال سوء مع اليأس من زوالها * وقوله تعالى كيف يحيى الضمير فى يحيىٓ يحتمل ان يكون للاثر ويحتمل ان يعود على الله تعالى وهو اظهر ثم اخبر تعالى عن حال تقلب بنى ءادم فى انه بعد الاستبشار بالمطر ان بعث الله ريحا فاصفر بها النبات ظلوا يكفرون قلقا منهم وقلة تسليم لله تعالى والضمير فى رأوه للنبات واللام فى لئن موذنة بمجيء القسم وفى لظلوا لام القسم * وقوله تعالى انك لاتسمع الموتى الآية استعارة للكفار وقد تقدم بيان ذلك فى سورة النمل * وقوله تعالى الله الذى خلقكم من ضعف قال كثير من اللغويين ضم الضاد فى البدن وفتحها فى العقل وهذه الآية انما يراد بها حال الجسم والضعف الاول هو كون الانسان من ماء مهين والقوة بعد ذلك الشبيبة وشدة الاسر والضعف الثانى هو الهرم والشيخوخة هذا قول قتادة وغيره وروى ابو داود فى

سننه بسند صحيح عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنتفوا الشيب مامن مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وفى رواية الا كتب الله عز وجل له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة انتهى ثم اخبر عز وجل عن يوم القيامة فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا اي تحت التراب غير ساعة وقيل المعنى مالبثوا فى الدنيا كانهم استقلوها كذلك كانوا فى الدنيا يوفكون اي يصرفون عن الحق قال (ص) مالبثوا جواب القسم على المنى ولو حكي قولهم لكان مالبثنا انتهى ثم اخبر تعالى ان الكفرة لاينفعهم يومئذ اعتذار ولايعطون عتبى وهي الرضى وباقى الآية بين ولله الحمد



تفسير سورة لقمان وهي مكية

غير ءايتين قال قتادة اولهما ولو ان ما فى الارض الى ءاخر الآيتين وقال ابن عباس ثلاث

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الم تلك ءايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين خصه للمحسنين من حيث لهم نفعه والا فهو هدى فى نفسه * وقوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث روي ان الآية نزلت فى شأن رجل من قريش اشترى جارية مغنية لتغني له بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه ابن خطل وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وقيل غير هذا والذى يترجح ان الآية

نزلت فى لهو حديث منضاف الى كفر فلذلك اشتدت الفاظ الآيـة ولهو
الحديث كل ما يلهى من غناء وخناء ونحوه والآية باقية المعنى فى الامة غابر
الدهر لكن ليس ليضلوا عن سبيل الله ولاليتخذوا ءايات الله هزؤا ولاعليهم
هذا الوعيد بل ليعطلوا عبادة ويقطعوا زمنا بمكروه قال ابن العربي فى
احكامه وروى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر ان الله تعالى يقول
يوم القيامة اين الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان
ادخلوهم فى ارض المسك ثم يقول الله تعالى للملائكة اسمعوهم ثناءى وحمدى
واخبروهم ان لاخوف عليهم ولاهم يحزنون انتهى * وقوله عز وجل واذا
تتلى عليه ءاياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب
اليم الوقر فى الاذن الثقل الذى يعسر معه ادراك المسموعات والرواسى هي الجبال
والميد التحرك يمنة ويسرة وماقرب من ذلك والزوج النوع والصنف وكريم
مدحه بكرم جوهره وحسن منظره وغير ذلك ثم وقف تعالى
الكفرة على جهة التوبيخ فقال هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين
من دونه * وقوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة اختلف فى لقمان
هل هو نبي اورجل صالح فقط وقال ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين
احب الله فاحبه فمنّ عليه بالحكمة وخيره فى ان يجعله خليفة يحكم بالحق
فقال رب ان خيرتنى قبلت العافية وتركت البلاء وان عزمت علي فسمعا
وطاعة فانك ستعصمنى وكان قاضيا فى بنى اسراءيل نوبيا اسود مشقق الرجلين
ذا مشافر قاله سعيد بن المسيب وابن عباس وجماعة وقال له رجل كان قد رعى
معه الغنم ما بلغ بك يالقمان ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة وتركى
مالايعنينى وحكم لقمان كثيرة ماثورة قال ابن العربي فى احكامه وروى

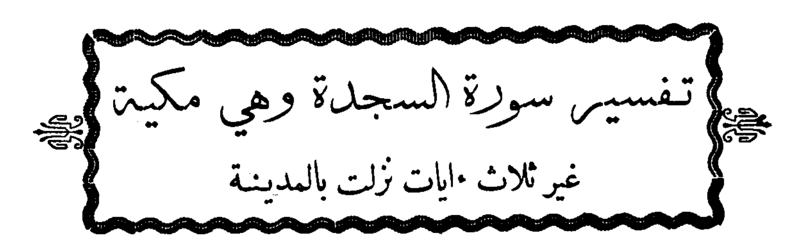
علماؤنا عن مالك قال قال لقمان لابنه يابني ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم الى الآخرة سراعا يذهبون وانك قد استدبرت الدنيا مذ كنت واستقبلت الآخرة مع انفاسك وان دارا ستسير اليها اقرب اليك من دار تخرج منها انتهى * وقوله ان اشكر يجوز ان تكون ان فى موضع نصب على اسقاط حرف الجر اي بان اشكر لله ويجوز ان تكون مفسرة اي كانت حكمته دالة على الشكر لله وجميع العبادات داخلة فى الشكر لله عز وجل وحميد بمعنى محمود اي هو مستحق ذلك بذاته وصفاته * وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن هاتان الآيتان اعتراض اثناء وصية لقمان ووهنا على وهن معناه ضعفا على ضعف كانه قال حملته امه والضعف يتزيد بعد الضعف الى ان ينقضي امده وقال (ص) وهنا على وهن حال من امه اي شدة بعد شدة اوجهدا على جهد وقيل وهنا نطفة ثم علقة فيكون حالا من الضمير المنصوب فى حملته انتهى * وقوله تعالى ان اشكر لى ولوالديك قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه فى ادبار الصلوات فقد شكرهما * وقوله سبحانه وان جاهداك على ان تشرك بى الآية روي ان هاتين الآيتين نزلتا فى شأن سعد بن ابى وقاص وامه حمنة بنت ابى سفيان على ماتقدم بيانه وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لاتراعى فى ركوب كبيرة ولا فى ترك فريضة على الاعيان وتلزم طاعتهما فى المباحات وتستحسن فى ترك الطاعات الندب * وقوله سبحانه واتبع سبيل من اناب الي وصية لجميع العالم وهذه سبيل الانبياء والصالحين * وقوله تعالى حاكيا عن لقمان يابني انها ان تك مثقال حبة الآية ذكر كثير من المفسرين انه اراد مثقال حبة من اعمال المعاصى والطاعات وبهذا المعنى يتحصل فى الموعظة ترجية وتخويف منضاف الى تبيين قدرة الله تعالى *

وقوله واصبر على ما اصابك يقتضى حضا على تغيير المنكر وان نال ضرر فهو اشعار بان المغير يوذى احيانا * وقوله ان ذلك من عزم الامور يحتمل ان يريد مما عزمه الله وامر به قاله ابن جريج ويحتمل ان يريد ان ذلك من مكارم الاخلاق وعزائم اهل الحزم السالكين طريق النجاة قاله جماعة والصعر الميل فمعنى الآية ولاتمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا واحتقارا لهم قاله ابن عباس وجماعة وعبارة البخاري ولا تصاعر اي لاتعرض والتصاعر الاعراض بالوجه انتهى والمرح النشاط والمشي مرحا هو فى غير شغل ولغير حاجة واهل هذه الخلق ملازمون للفخر والخيلاء فالمرح مختال فى مشيه وقد ورد من صحيح الاحاديث فى جميع ذلك وعيد شديد يطول بنا سرده قال عياض كان ابو اسحاق الجبنياني قل مايترك ثلاث كلمات وفيهن الخير كله اتبع ولاتبتدع * اتضع ولاترتفع * من ورع لايتسع * انتهى وغض الصوت اوقر للمتكلم وابسط لنفس السامع وفهمه ثم عارض ممثلا بصوت الحمير على جهة التشبيه اي تلك هي التى بعدت عن الغض فهي انكر الاصوات فكذلك مابعد عن الغض من اصوات البشر فهو فى طريق تلك وفى الحديث اذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا باللهمن الشيطان فانها رأت شيطانا وقال سفيان الثوري صياح كل شيئ تسبيح الاصياح الحمير (ت) ولفظ الحديث عن ابىهريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم صياح الديكة فسألوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فانه رأى شيطانا رواه الجماعة الاابن ماجه وفى لفظ النساءي اذا سمعتم الديكة تصيح بالليل وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان

الرجيم فانهــا ترى مــا لاترون واقلوا الخـروج اذا جـدت فان الله يـبث فى ليـله مـن خلقــه ما يشاء رواه ابو داود والنســاءي والحـا كم فى المسـتــدرك واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح * وقوله تعالى واسبغ عليكم نعمـه ظاهـرة وباطنـة قال المحاسبي رحمـــه الله الظــاهـرة نعم الدنيــا والباطنــة نعم العقبى والظاهر عندى التعميم ثم وقف تعالى الكفرة على اتباعهم دين ءابائهم ايكــون وهم بحال مـن يصير الى عـذاب السعير فكأن القائل منهم يقول هم يتبعون دين ءابائهم ولوكان مصيرهم الى السعير فـدخلت الف التوقيف على حرف العطف كما كـان اتساق الكلام فيـه فتأملـه * وقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله معناه يخلص ويوجـه ويستسلم بـه والوجه هنـا الجارحة استعير للمقصد لان القاصد الى شيئ فهو مستقبله بوجهه فاستعير ذلـك للمعانى والمحسن الذى جمـع القـول والعـمـل وهـو الذى شرحــه صـلى الله عليـه وسلم حـين سـأله جبريل عـن الاحســان والمتـاع القليـل هناهو العمر فى الدنيــا * وقوله قـل الحمـد لله اي على ظهور الحجــة * وقوله تـعالى ولو ان مــا فى الارض مـن شجـرة اقـلام الآيــة روي عــن ابن عباس ان سبب نزولهــا ان اليهـود قالت يامحمـد كيف عنينــا بهـذا القول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا التوراة تبيانا لكل شيئ فنزلت الآية وقيل غير هـذا قال (ع) وهذه الآيــة بحر نظر وفكرة نور الله قلوبنـا بهداه * وقوله تعالى ما خلقكم ولابعثكم الا كـنفس واحدة اي لانه كله بكن فيكون قاله مجاهد * وقوله تعالى كل يجرى الى اجل مسمى يريد القيامة * وقوله بنعمة الله يحتمل ان يريد ما تحمله السفن من الطعام والارزاق والتجارات فالباء للالزاق ويحتمل ان يريد بالريح وتسخير الله البحر ونحو هــذا فالباء باء السبب وذكـر تعالى من صفات المومن الصبار والشكور لانهما أُعظم اخلاقه

الصبر على الطاعات وعلى النوائب وعن الشهوات والشكر على الضراء والسراء وقال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصفه الآخر واليقين الايمان كله وغشي غطى او قارب والظلل السحاب * وقوله تعالى فمنهم مقتصد قال الحسن منهم مومن يعرف حق الله فى هذه النعم والختار القبيح الغدر وذلك ان منن الله على العباد كانها عهود ومنن يلزم عنها اداء شكرها والعبادة لمسديها فمن كفر ذلك وجحد به فكانه ختر وخان قال الحسن الختار هو الغدار وكفور بناء مبالغة * وقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده الآية يجزى معناه يقض والمعنى لاينفعه بشيء وقرأ الجمهور الغرور بفتح الغين وهو الشيطان قاله مجاهد وغيره واعلم ايها الاخ ان من فهم كلام ربه ورزق التوفيق لم ينخدع بغرور الدنيا وزخرفها الفانى بل يصرف همته بالكلية الى التزود لآخرته ساعيا فى مرضاة ربه وان من ايقن ان الله يطلبه صدق الطلب اليه كما قاله الامام العارف بالله ابن عطاء الله وانه لابد لبناء هذا الوجود ان تنهدم دعائمه وان تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره وظهرت تباشيره فصدف عن هذه الدار مغضيا واعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا بل انهض الهمة فيها الى الله وصارفيها مستعينا به فى القدوم عليه فما زالت مطية عزمه لايقر قرارها دائما تسيارها الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط الانس انتهى وروينا فى جامع الترمذي عن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اغبط اوليائى عندى لمومن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لايشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت منيته قلت نوائحه قل تراثه قال ابو عيسى وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن

اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك واذا
شبعت شكرتك وحمدتك قال ابو عيسى هذا حدبث حسن وفى الباب عن
فضالة بن عبيد انتهى والغرور التطميع بما لايحصل وقال ابن جبير معنى
الآية ان تعمل المعصية وتتمنى المغفرة وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه
وسلم قال خمس من الغيب لايعلمهن الاالله تعالى وتلاالآية ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث الى ءاخرها قال ابو حيان باي ارض الباء ظرفية والجملة
فى موضع نصب بتدرى انتهى



تفسير سورة السجدة وهي مكية

غير ثلاث ءايات نزلت بالمدينة

وهي قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا الى تمام ثلاث ءايات

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال جابر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرأ الم السجدة
وتبارك الذى بيده الملك وتنزيل يصح ان يرتفع بالابتداء والخبر لاريب ويصح
ان يرتفع على انه خبر مبتدإ محذوف اي ذلك تنزيل والريب الشك وكذلك
هو فى كل القرءان الاقوله ريب المنون * وقوله ام يقولون اضراب كانه قال
بل ايقولون ثم رد على مقالتهم واخبر انه الحق من عند الله * وقوله سبحانه ما
ءاتاهم اي لم يباشرهم ولا رأوه هم ولا ءاباؤهم العرب * وقوله تعالى وان
من امة الا خلافيها نذير يعم من بوشرمن النذر ومن سمع به فالعرب من الامم

التى خلت فيها النذر على هذا الوجه لانها علمت بابراهيم وبنيه وبدعوتهم ولم ياتهم نذير مباشر لهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم ياتهم نذير فى الفترة بين عيسى ونبينا محمد صلى الله عليهما وسلم * وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض الآية الامر اسم جنس لجميع الامور والمعنى ينفذ سبحانه قضاءه بجميع مايشاءه ثم يعرج اليه خبر ذلك فى يوم من ايام الدنيا مقداره ان لوسير فيه السير المعروف من البشر الف سنة اي نزولا وعروجا لان ما بين السماء والارض خمس مائة سنة هذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقيل المعنى يدبر الامر من السماء الى الارض فى مدة الدنيا ثم يعرج اليه يوم القيامة ويوم القيامة مقداره الف سنة من عدنا وهو على الكفار قدر خمسين الف سنة وقيل غير هذا وقرأ الجمهور الذى احسن كل شيئ خلقه بفتح اللام على انه فعل ماض ومعنى احسن اتقن واحكم فهو حسن من جهة ما هو لمقاصده التى اريد لها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه بسكون اللام وذهب بعض الناس على هذه القراءة الى ان احسن هنا معناه الهم وان هذه الآية بمعنى قوله تعالى اعطى كل شيئ خلقه ثم هدى اي الهم والانسان هنا ءادم والمهين الضعيف ونفخ عبارة عن افاضة الروح فى جسد ءادم والضمير فى روحه لله تعالى وهي اضافة ملك الى مالك وخلق الى خالق ويحتمل ان يكون الانسان فى هذه الآية اسم جنس وقليلا صفة لمصدر محذوف * وقوله تعالى وقالوا ائذا ضللنا فى الارض اي تلفنا وتقطعت اوصالنا فذهبنا فى التراب حتى لم نوجد انا لفى خلق جديد اي انخلق بعد ذلك خلقا جديدا انكارا منهم للبعث واستبعادا له ويتوفاكم معناه يستوفيكم روي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي الانسان ياخذ من حيث امر * وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم الآية تعجيب

لمحمد عليه السلام وامته من حال الكفرة وما حل بهم وجواب لومحذوف لان حذفه اهول فى النفوس وتنكيس رءوسهم هومن الذل والياس والهم بحلول العذاب وقولهم ابصرنا وسمعنا اي ما كنا نخبر به فى الدنيا ثم طلبوا الرجعة حين لاينفع ذلك ثم اخبر تعالى عن نفسه انه لوشاء لهدى الناس اجمعين بان يلطف بهم لطفا يومنون به ويخترع الايمان فى نفوسهم هذا مذهب اهل السنةِ والجنةُ الشياطين ونسيتم معناه تركتم قاله ابن عباس وغيره * وقوله انا نسيناكم سمى العقوبة باسم الذنب ثم اثنى سبحانه على القوم للذين يومنون بئاياته و وصفهم بالصفة الحسنى من سجودهم عند التذكير وتسبيحهم وعدم استكبارهم * وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية تجافى الجنب عن موضعه اذا تركه قال الزجاج وغيره التجافى التنحى الى فوق قال (ع) وهذا قول حسن والجنوب جمع جنب والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم (ت) وقال الهروي تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي ترتفع وتتباعد والجفاء بين الناس هو التباعد انتهى وروى البخاري بسنده عن ابى هريرة ان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه قال

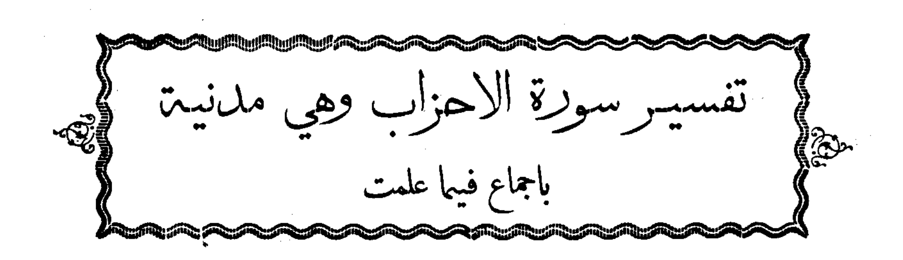
وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلو بنا * به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

انتهى وجمهور المفسرين على ان المراد بهذا التجافى صلاة النوافل بالليل قال (ع) وعلى هذا التاويل اكثر الناس وهو الذى فيه المدح وفيه احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر عليه السلام قيام الليل ثم يستشهد بالآية فى حديث معاذ الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع

حتى بلـغ يعملون رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورجـح الزجاج
ماقاله الجمهور بانهم جُوزوا باخفاء فدل ذلك على ان العمل اخفاء ايضا وهو
قيام الليل يدعون ربهم خوفا اي من عذابـه وطمعا اي فى ثوابـه قال (ص)
تتجافى اعربه ابو البقاء حالا ويدعون حال او مستانف وخوفا وطمعا مفعولان
من اجله اومصدران فى موضـع الحال انتهى وفى الترمذي عن معاذ بن جبل
قال قلت يارسول الله اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار قال لقد
سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لاتشرك به
شيأ وتقيم الصلاة وتوتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك
على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة
الرجل فى جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم
قال الا اخبرك برأس الامر وعمـوده وذروة سنامـه قلت بلى يارسـول الله
قال راس الامر الاسلام وعموره الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك
بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت
يارسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس فى
النار على وجوههم الا حصائد السنتهم قال الترمذي حديث حسن صحيح
انتهى وقرأ حمزة وحده اخفي بسكون الياء كانه قال اخفى انا وقرأ الجمهور اخفى
بفتح الياء وفى معنى هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ذخرا
بله مااطلعتم عليه واقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس مااخفي لهم من قرة اعين
الآية انتهى قال القرطبي فى تذكرته وبله معناه غير وقيل هو اسم فعل بمعنى
دع وهذا الحديث خرجه البخاري وغيره (ت) وفى روايـة للبخاري قال ابو
هريرة واقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس الآية انتهى وقال ابن مسعود فى التوراة

مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وباقى الآية بين والضمير فى قوله تعالى ولنذيقنهم لكفار قريش ولاخلاف ان العذاب الاكبر هو عذاب الآخرة واختلف فى تعيين العذاب الادنى فقيل هو السنون التى اجاعهم الله فيها وقيل هو مصائب الدنيا من الامراض ونحوها وقيل هو القتل بالسيف كبدر وغيرها ٭ وقوله سبحانه انا من المجرمين منتقمون ظاهر الاجرام هنا انه الكفر وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من فعلهن فقد اجرم من عقد لواء فى غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما ٭ وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه اختلف فى الضمير الذى فى لقائه على من يعود فقال قتادة وغيره يعود على موسى والمعنى فلا تكن يامحمد فى شك من انك تلقى موسى اي فى ليلة الاسراء وهذا قول جماعة من السلف وقالت فرقة الضمير عائد على الكتاب اي فلاتكن فى شك من لقاء موسى للكتاب (ص) وقيل يعود على الكتاب على تقدير مضمر اي من لقاء مثله اي ءاتيناك مثل ما ءاتينا موسى والتاويل الاول هو الظاهر انتهى والمرية الشك والضمير فى جعلناه يحتمل ان يعود على الكتاب او على موسى قاله قتادة ٭ وقوله تعالى ان ربك هو يفصل بينهم الآية حكم يعم جميع الخلق وذهب بعضهم الى تخصيص الضمير وذلك ضعيف ٭ وقوله تعالى او لم يهد معناه يبين قاله ابن عباس والفاعل بيهدى هو الله فى قول فرقة والرسول فى قول فرقة وقرأ ابو عبد الرحمن نهد بالنون وهي قراءة الحسن وقتادة فالفاعل الله تعالى والضمير فى يمشون يحتمل ان يكون للمخاطبين او للمهلكين والجرز الارض العاطشة التى قد اكلت نباتها من العطش والقيظ ومنه قيل للاكول جَروز وقال ابن عباس وغيره الارض الجرز ارض ابين من اليمن وهي ارض تشرب بسيول لابمطر

وفى البخاري وقال ابن عباس الجرز التى لم تمطر الامطرا لايغنى عنها شيأ انتهى
ثم حكى سبحانه عن الكفرة انهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاء بينهم
وبين الرسل على معنى الهزء والتكذيب والفتح الحكم هذا قول جماعة من
المفسرين وهو اقوى الاقوال قال مجاهد والفتح هنا هو حكم الآخرة ثم امر تعالى
نبيه عليه السلام بالاعراض عن الكفرة وانتظار الفرج وهذا مما نسخته اية
السيف * وقوله انهم منتظرون اي العذاب بمعنى هذا حكمهم وان كانوا لا
يشعرون



تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية
باجماع فيما علمت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ياايها النبيء اتق الله الآية قوله اتق معناه دم على التقوى ومتى
امر احد بشيئ وهو به متلبس فانما معناه الدوام فى المستقبل على مثل
الحالة الماضية وحذره تعالى من طاعة الكافرين والمنافقين تنبيها على
عداوتهم وان لايطمئن الى مايبدونه من نصائحهم والباء فى قوله وكفى
بالله زائدة على مذهب سيبويه وكانه قال وكفى الله وغيره يراها غير
زائدة متعلقة بكفى على انه بمعنى اكتف بالله واختلف فى السبب فى
قوله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فقال ابن عباس سببها
ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان وقيل غير هذا قال (ع) ويظهر من

الآيــة بجملتها انها نـفي لاشياء كانت العرب تعـتـقدها فى ذلك الوقـت واعلام بحـقيقـة الامر فمنها ان الـعـرب كانت تقول ان الانســان له قلب يامره وقلب يـنهاه وكان تضادا الخواطر يحملها على ذلك وكذلك كانت العــرب تعتقد الزوجة اذاظاهر منها بمنزلة الام وتراه طلاقا وكانت تعـتـقد الدعي المتبنى ابـنا فنفى الله مااعتقـدوه من ذلك * وقـوله سبحانـه وما جعـل ادعياءكم ابناءكم سببها امر زيد بن حارثة كانوا يـدعونـه زيد بن محمد والسبيل هنا سبيل الشرع والايمان ثم امر تعالى فى هذه الآية بدعاء الادعياء لآبائهم اي الى ءابـائـهم للصلب فمن جُهل ذلك فيه كان مولى واخا فى الدين فقال الناس زيد بن حارثة وسالم مولى ابي حذيفة الى غير ذلك واقسط مـعناه اعدل * وقوله عزوجـل وليس عليكم جنـاح الآية رفع الحرج عمن وهم ونسي واخطــأ فجرى على العادة من نسبة زيد الى محمد وغيــر ذلك ممايشبهه وابـقى الجناح فى المتعمد والخطأ مرفوع عــن هذه الامة عقابـه قال صلى الله عليه وسلم وضــع عن امتى الخطأ والنسيان وما اكـرهوا عليـه وقال عليه السلام ما اخشى عليكـم الخطــأ وانما اخشــى العـمد قال السهيلي ولـما نزلت الآيــة وامتثلها زيد فقال انــا زيـــد بن حارثــة جبر الله وحشته وشرفه بان سماه باسمه فى القـرءان فقال فلما قــضى زيــد منها وطرا ومــن ذكــره سبحانــه باسمــه فى الذكــر الحكيم حــتى صار اسمه قرءانا يتلى فى المحاريب فقـد نــوه به غــايـــة التـنويه فكان فى هذا تانيس له وعوض من الفخر بابوة سيدنا محمد صلى الله عليــه وسـلم له الاترى الى قول ابي بن كـعب حـين قال له النبي صلى الله عليــه وسلم ان الله تعالى امـرنى ان اقرأ عليك ســـورة كذا فبكى ابي وقال اوذكـرت هنالك وكان بكاؤه من الفرح حين اخبر ان الله تـعالى ذكـره فكيـف بمن صار اسـمه قـرءانا يـتلي مخلدا لايبـيـد يـتلوه اهــل الدنـيا اذا قـرءوا القــرءان

واهل الجنة كذلك فى الجنان ثم زاده فى الآية غاية الاحسان ان قال واذ تقول للذى انعم الله عليه يعنى بالايمان فدل على انه عند الله من اهل الجنان وهذه فضيلة اخرى هي غاية منتهى امنية الانسان انتهى * وقوله تعالى النبيء اولى بالمومنين من انفسهم ازال الله بهذه الآية احكاما كانت فى صدر الاسلام منها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى على ميت عليه دين فذكر الله تعالى انه اولى بالمومنين من انفسهم فجمع هذا ان المومن يلزم ان يحب النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من نفسه حسب حديث عمر بن الخطاب ويلزم ان يمتثل اوامره احبت نفسه ذلك اوكرهت وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية انا اولى بالمومنين من انفسهم من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا اوضياعا فالي وعلي انا وليه اقرءوا ان شئتم النبيء اولى بالمومنين من انفسهم (ت) ولفظ البخاري من رواية ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن مومن الاوانا اولى به فى الدنيا والآخرة اقرءوا ان شئتم النبيء اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فان ترك دينا اوضياعا فليأتنى فانا مولاه قال ابن العربي فى احكامه فهذا الحديث هو تفسير الولاية فى هذه الآية انتهى قال (ع) وقال بعض العارفين هو صلى الله عليه وسلم اولى بالمومنين من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة قال (ع) ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فانا ءاخذ بحجزكم عن النار وانتم تقحمون فيها تقحم الفراش قال عياض فى الشفا قال اهل التفسير فى قوله تعالى النبيء اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأي النفس انتهى وشرف تعالى ازواج نبيه بان جعلهن امهات

المومنين فى المبرة وحرمة النكاح وفى مصحف ابي بن كعب وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقرأ ابن عباس من انفسهم وهو اب لهم ووافقه ابي على ذلك ثم حكم تعالى بان اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى التوارث مما كانت الشريعة قررته من التوارث باخوة الاسلام وفى كتاب الله يحتمل ان يريد القرءان اواللوح المحفوظ * وقوله من المومنين متعلق باولى الثانية * وقوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يريد الاحسان فى الحياة والصلة والوصية عند الموت والكتاب المسطور يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا * وقوله سبحانه واذ اخذنا من النبيئين ميثاقهم المعنى واذكر اذ اخذنا من النبيئين وهذا الميثاق قال الزجاج وغيره انه الذى اخذ عليهم وقت استخراج البشر من صلب ءادم كالذر بالتبليغ وبجميع ماتضمنته النبوءة وروي نحوه عن ابي بن كعب وقالت فرقة بل اشار الى اخذ الميثاق عليهم وقت بعثهم والقاء الرسالة اليهم وذكر تعالى النبيين جملة ثم خصص اولى العزم منهم تشريفا لهم واللام فى قوله ليسأل يحتمل ان تكون لام كي اولام الصيرورة * وقوله تعالى يايها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود الآيات الى قوله تعالى يايها النبيء قل لازواجك نزلت فى شأن غزوة الخندق وما اتصل بها من امر بنى قريظة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلى بنى النضير من موضعهم عند المدينة الى خيبر فاجتمعت جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود وخرجوا الى مكة مستنهضين قريشا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجسروهم على ذلك وازمعت قريش السير الى المدينة ونهض اليهود الى غطفان وبنى اسد ومن امكنهم من اهل نجد وتهامة فاستنفروهم الى ذلك وتحزبوا وساروا الى المدينة واتصل خبرهم بالنبيء صلى الله عليه وسلم فحفر الخندق حول المدينة وحصنها فوردت

الاحزاب وحصروا المدينة وذلك فى شوال سنة خمس وقيل اربع من الهجرة وكانت قريظة قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وعاقدوه الا يلحقه منهم ضرر فلما تمكن ذلك الحصار وداخلهم بنو النضير غدروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده وضاق الحال على المومنين ونجم النفاق وساءت ظنون قوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذلك يبشر ويعد النصر فالقى الله عزوجل الرعب فى قلوب الكافرين وتخاذلوا ويئسوا من الظفر وارسل الله عليهم ريحا وهي الصبا وملائكة تسدد الريح وتفعل نحو فعلها وتلقى الرعب فى قلوب الكفرة وهى الجنود التى لم تر فارتحل الكفرة وانقلبوا خائبين * قوله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم يريد اهل نجد مع عيينة بن حصن ومن اسفل منكم يريد اهل مكة وسائر تهامة قاله مجاهد وزاغت الابصار معناه مالت عن مواضعها وذلك فعل الواله الفزع المختبل وبلغت القلوب الحناجر عبارة عما يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرقها ويجد كان حشوته وقلبه يصعد علوا وروى ابو سعيد ان المومنين قالوا يوم الخندق يانبي الله بلغت القلوب الحناجر فهل من شيىء نقوله قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا فقالوها فضرب الله وجوه الكفار بالريح فهزمهم * وقوله سبحانه وتظنون بالله الظنونا الآية عبارة عن خواطر خطرت للمومنين لايمكن البشر دفعها واما المنافقون فنطقوا ونجم نفاقهم وابتلي المومنون معناه اختبروا وزلزلوا معناه حركوا بعنف ثم ذكر تعالى قول المنافقين والمرضى القلوب على جهة الذم لهم ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا فروي عن يزيد بن رومان ان معتب بن قشير قال يعدنا محمد ان نفتتح كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن الآن لاينقدر احدنا ان يذهب الى الغائط مايعدنا الاغرورا وقال غيره من المنافقين نحو هذا * وقوله سبحانه واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين

لامقام لكم اي لاموضع قيام وممانعة فارجعوا الى منازلكم وبيوتكم وكان هذا على جهة التخذيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والفريق المستاذن هو اوس بن قيظي استاذن فى ذلك على اتفاق من اصحابه المنافقين فقال ان بيوتنا عورة اي منكشفة للعدو فاكذبهم الله تعالى ولودخلت المدينة من اقطارها اي من نواحيها واشتد الخوف الحقيقي ثم سئلوا الفتنة والحرب لمحمد واصحابه لبادروا اليها واتوها محبين فيها ولم يتلبثوا فى بيوتهم لحفظها الايسيرا قيل قدرما ياخذون سلاحهم ثم اخبر تعالى عنهم انهم قد كانوا عاهدوا الله اثر احد لايولون الادبار وفى قوله تعالى وكان عهد الله مسئولا توعد وباقى الآية بين ثم وبخهم بقوله قد يعلم الله المعوقين منكم وهم الذين يعوقون الناس عن نصرة الرسول ويمنعونهم بالاقوال والافعال من ذلك ويسعون على الدين واما القائلون لاخوانهم هلم الينا فقال ابن زيد وغيره اراد من كان من المنافقين يقول لاخوانه فى النسب وقرابته هلم اي الى المنازل والاكل والشرب واترك القتال وروي ان جماعة منهم فعلت ذلك واصل هلم ها الم وهذا مثل تعليل رد من اردد والبأس القتال والاقليلا معناه الااتيانا قليلا واشحة جمع شحيح والصواب تعميم الشح ان يكون بكل مافيه للمومنين منفعة * وقوله فاذا جاء الخوف قيل معناه فاذا قوي الخوف رأيت هؤلاء المنافقين ينظرون اليك نظر الهلع المختلط الذى يغشى عليه فاذا ذهب ذلك الخوف العظيم وتنفس المختنق سلقوكم اي خاطبوكم مخاطبة بليغة يقال خطيب سلاق ومسلاق ومسلق ولسان ايضا كذلك اذا كان فصيحا مقتدرا ووصف الالسنة بالحدة لقطعها المعاني ونفوذها فى الاقوال قالت فرقة وهذا السلق هو فى مخادعة المومنين بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة والمخاتلة * وقوله اشحة حال من الضمير فى سلقوكم * وقوله على الخير يدل على عموم الشح فى قوله اولا

اشحة عليكم وقيل المراد بالخير المال اي اشحة على مال الغنائم والله اعلم ثم اخبر تعالى عنهم انهم لم يومنوا وجمهور المفسرين على ان هذه الاشارة الى منافقين لم يكن لهم قط ايمان ويكون قوله فاحبط الله اعمالهم اي انها لم تقبل قط والاشارة بذلك فى قوله وكان ذلك الى حبط اعمال هؤلاء المنافقين والضمير فى قوله يحسبون الاحزاب للمنافقين والمعنى انهم من الفزع والجزع بحيث رحل الاحزاب وهزمهم الله تعالى وهؤلاء يظنون انها من الخدع وانهم لم يذهبوا وان يات الاحزاب اي يرجعوا اليهم كرة ثانية يودوا من الخوف والجبن لو انهم بادون اي خارجون الى البادية فى الاعراب وهم اهل العمود ليسلموا من القتال يسئلون اي من ورد عليهم ثم سلى سبحانه عنهم وحقر شانهم بان اخبر انهم لو حضروا لما اغنوا ولما قاتلوا الا قتالا قليلا لا نفع له ثم قال تعالى على جهة الموعظة لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة حين صبر وجاد بنفسه واسوة معناه قدوة ورجاء الله تابع للمعرفة به ورجاء اليوم الآخر ثمرة العمل الصالح وذكر الله كثيرا من خير الاعمال فنبه عليه (ت) وعن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول انا مع عبدى اذا هو ذكرنى وتحركت بي شفتاه رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان فى صحيحه ورواه الحاكم فى المستدرك من حديث ابى الدرداء وروى جابر بن عبد الله قال خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الارض فارتعوا فى رياض الجنة قالوا واين رياض الجنة يارسول الله قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه انفسكم من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وعن معاذ بن جبل قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم اي

الاعمال احب الى الله تعالى قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله رواه ابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح ولولا خشية الاطالة لاتيت فى هذا الباب باحاديث كثيرة وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا سفيان ابن عيينة عن ابن ابى نجيح عن مجاهد قال لايكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا انتهى وفى مصحف ابن مسعود يحسبون الاحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا انهم بادون فى الاعراب * وقوله تعالى ولما رأى المومنون الاحزاب الآية قالت فرقة لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق اعلمهم بانهم سيحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك واعلمهم بانهم سينصرون بعد ذلك فلما رأوا الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله الآية وقالت فرقة ارادوا بوعد الله مانزل فى سورة البقرة من قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب قال (ع) ويحتمل انهم ارادوا جميع ذلك ثم اثنى سبحانه على رجال عاهدوا الله على الاستقامة فوفوا وقضوا نحبهم اي نذرهم وعهدهم والنحب فى كلام العرب النذر والشيء الذى يلتزمه الانسان وقد يسمى الموت نحبا وبه فسر ابن عباس وغيره هذه الآية ويقال للذى جاهد فى امر حتى مات قضى فيه نحبه ويقال لمن مات قضى فلان نحبه فمن سمى المفسرون انه اشير اليه بهذه الآية انس بن النضر عم انس بن مالك وذلك انه غاب عن بدر فساءه ذلك وقال لئن شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا ليرين الله ما اصنع فلما كان احد ابلى بلاء حسنا حتى قتل ووجد فيه نيف على ثمانين جرحا فكانوا يرون ان هذه الآية فى انس بن النضر ونظرائه وقالت فرقة الموصوفون بقضاء النحب هم جماعة من اصحاب

النبيى صلى الله عليه وسلم وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهداء منهم والعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة منهم الى من حصل فى هذه المرتبة ممن لم ينص عليه ويصحح هذه المقالة ايضا ماروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على المنبر فقال له اعرابي يارسول الله من الذى قضى نحبه فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم دخل طلحة بن عبيد الله على باب المسجد وعليه ثوبان اخضران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين السائل فقال ها اناذا يارسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال (ع) فهذا ادل دليل على ان النحب ليس من شرطه الموت وقال معاوية بن ابى سفيان انى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه وروت عائشة نحوه * وقوله تعالى ومنهم من ينتظر يريد ومنهم من ينتظر الحصول فى اعلى مراتب الايمان والصلاح وهم بسبيل ذلك وما بدلوا ولاغيروا واللام فى ليجزي يحتمل ان تكون لام الصيرورة اولام كيى وتعذيب المنافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم والتوبة موازية لتلك الادامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان ادامة على نفاق اوتوبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب اورحمة ثم عدد سبحانه نعمه على المومنين فى هزم الاحزاب فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم الآية * وقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم يريد بنى قريظة وذلك انهم لما غدروا وظاهروا الاحزاب اراد الله النقمة منهم فلما ذهب الاحزاب جاء جبريل الى النبيى صلى الله عليه وسلم وقت الظهر فقال يامحمد ان الله يامرك بالخروج الى بنى قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس وقال لهم لايصلين احد العصر الا فى بنى قريظة فخرج الناس اليهم وحصرهم النبيى صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد

بان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والعيال والاموال وان تكون الارض والثمار للمهجرين دون الانصار فقالت له الانصار فى ذاك فقال اردت ان يكون للمهاجرين اموال كما لكم اموال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة فامر صلى الله عليه وسلم برجالهم فضربت اعناقهم وفيهم حيي بن اخطب النضيري وهو الذى كان ادخلهم فى الغدر وظاهروهم معناه عاونوهم والصياصى الحصون واحدها صيصية وهي كل مايتمنع به ومنه يقال لقرون البقر الصياصي والفريق المقتول الرجال والفريق الماسور العيال والذرية * وقوله سبحانه وارضا لم تطئوها يريد بها البلاد التى فتحت على المسلمين بعد كالعراق والشام واليمن وغيرها فوعد الله تعالى بها عند فتح حصون بنى قريظة واخبر انه قد قضى بذلك قاله عكرمة * وقوله تعالى ياايها النبيء قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الآية ذكر جل المفسرين ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سألنه شيأ من عرض الدنيا وآذينه بزيادة النفقة والغيرة فهجرهن وءالى ان لايقربهن شهرا فنزلت هذه الآية فبدأ بعائشة وقال ياعائشة انى ذاكرلك امرا ولا عليك ان لاتعجلى حتى تستامرى ابويك ثم تلا عليها الآية فقالت له وفى اي هذا استمر ابوي فانى اريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت وقد علم ان ابوي لايامرانى بفراقه ثم تتابع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على مثل قول عائشة فاخترن الله ورسوله رضى الله عنهن قالت فرقة قوله بفاحشته مبينة يعم جميع المعاصى ولزمهن رضي الله عنهن بحسب مكانتهن اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الاجر والعذاب * وقوله ضعفين معناه يكون العذاب عذابين اي يضاف الى عذاب سائر الناس عذاب آخر مثله ويقنت معناه يطيع ويخضع بالعبودية قاله الشعبي وقتادة والرزق الكريم

الجنة ثم خاطبهن الله سبحانه بانهن لسن كاحد من نساء عصرهن فما بعد بل هن افضل بشرط التقوى وانما خصصنا النساء لان فيمن تقدم اسية ومريم فتأمله وقد اشار الى هذا قتادة ثم نهاهن سبحانه عما كانت الحال عليه فى نساء العرب من مكالمة الرجال برخيم القول ولاتخضعن معناه لاتلن قال ابن زيد خضع القول ما يدخل فى القلوب الغزل والمرض فى هذه الآية قال قتادة هو النفاق وقال عكرمة الفسق والغزل والقول المعروف هو الصواب الذى لاتنكره الشريعة ولاالنفوس وقرأ الجمهور وقرن بكسر القاف وقرأ نافع وعاصم وقرن بالفتح فاما الاولى فيصح ان تكون من الوقار ويصح ان تكون من القرار واما قراءة الفتح فعلى لغة العرب قررت بكسر الراء اقر بفتح القاف فى المكان وهي لغة ذكرها ابو عبيد فى الغريب المصنف وذكرها الزجاج وغيره فامر الله تعالى فى هذه الآية نساء النبي بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج والتبرج اظهار الزينة والتصنع بها ومنه البروج لظهورها وانكشافها للعيون واختلف الناس فى الجاهلية الاولى فقال الشعبي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل غير هذا قال (ع) والذى يظهر عندى انه اشار الى الجاهلية التى لحقنها فامرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة وجعلها اولى بالاضافة الى حالة الاسلام وليس المعنى ان ثم جاهلية آخرة والرجس اسم يقع على الاثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص فاذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت قالت ام سلمة نزلت هذه الآية فى بيتى فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبري وقال هؤلاء اهل بيتي وقرأ الآية وقال اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمة فقلت وانا يارسول الله فقال انت من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

وانت الى خير والجمهور على هذا وقال ابن عباس وغيره اهل البيت ازواجه خاصة والجمهور على ماتقدم قال (ع) والذى يظهرلى ان اهل البيت ازواجه وبنته وبنوها وزوجها اعنى عليا ولفظ الآية يقتضى ان الزوجات من اهل البيت لان الآية فيهن والمخاطبة لهن قال (ص) واهل البيت منصوب على النداء اوعلى المدح اوعلى الاختصاص وهو قليل فى المخاطب واكثر مايكون فى المتكلم كقوله

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق

انتهى (ت) واستصوب ابن هشام نصبه على النداء قاله فى المغنى * وقوله تعالى واذكرن يعطى ان اهل البيت نساؤه وعلى قول الجمهور هي ابتداء مخاطبة والحكمة السنة فقوله واذكرن يحتمل مقصدين كلاهما موعظة احدهما ان يريد تذكرنه واقدرنه قدره وفكرن فى ان من هذه حاله ينبغى ان تحسن افعاله والثانى ان يريد اذكرن بمعنى احفظن واقرأن والزمنه السنتكن (ت) ويحتمل ان يراد باذكرن افشاؤه ونشره للناس والله اعلم وهذا هو الذى فهمه ابن العربي من الآية فانه قال امر الله ازواج رسوله ان يخبرن بما ينزل من القرءان فى بيوتهن وبما يرين من افعال النبي صلى الله عليه وسلم واقواله حتى يبلغ ذلك الى الناس فيعملوا بما فيه ويقتدوا به انتهى وهو حسن وهو ظاهر الآية وقد تقدم له نحو هذا فى قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الآية ذكره فى احكام القرءان * وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية روي فى سببها ان ام سلمة قالت يارسول الله يذكر الله تعالى الرجال فى كتابه فى كل شيئ ولايذكرنا فنزلت الآية فى ذلك والفاظ الآية فى غاية البيان * وقوله سبحانه والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الآية وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول

الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم واللفظ له والترمذي وعنده قالوا يارسول الله وما المفردون قال المستهترون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا قال عياض والمفردون ضبطناه على متقني شيوخنا بفتح الفاء وكسر الراء وقال ابن الاعرابي فرّد الرجل اذا تفقه واعتزل الناس وخلا لمراعاة الامر والنهي وقال الا زهري هم المتخلون من الناس بذكر الله تعالى وقوله المستهترون (١) فى ذكر الله هو بفتح التاءين المثناتين يعنى الذين اولعوا بذكر الله يقال استُهترفلان بكذ اي اولع به انتهى من سلاح المومن * وقوله سبحانه وما كان لمومن ولامومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة الآية قوله وما كان لفظه النفي ومعناه الحظر والمنع والخيرة مصدر بمعنى التخير قال ابن زيد نزلت هذه الآية بسبب ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها فنزلت الآية بسبب ذلك فاجابا الى ترويج زيد وقيل غير هذا والعصيان هنا يعم الكفر فما دون وفى حديث الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سعادة ابن ءادم رضاه بما قضاه الله ومن شقاوة ابن ءادم

---

(١) عبارة المجد فى قاموسه « وهم المهتزون بذكر الله تعالى » قال الشيخ نصر الهوريني فى تعليقه قوله المهتزون هكذا بالزاي فى النسخ المطبوعة ولعلها رواية وفى نسخة الشارح المهترون بالراء وكتب عليها كما جاء فى رواية نصها قال والذين أهتروا فى ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا اه قلت اهتر الرجل فقد عقله من الكبر اوالمرض اوالحزن فهو مهتر بفتح التاء واهتِر فلان مجهولا اولع بالقول فى الشيء فهو مهتَر « واهتِروا فى ذكرالله » اي خرفوا وهم يذكرون الله اه مصححه

سخطه بما قضاه الله له انتهى * وقوله تعالى واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه الآية ذهب جماعة من المتأولين الى ان الآية لا كبير عتب فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فروي عن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله اياها له فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الادب والوصية اتق الله اي فى قولك وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه سيفارقها وهذا هو الذى اخفى صلى الله عليه وسلم فى نفسه ولم يرد ان يامره بالطلاق لما علم من انه سيتزوجها وخشي صلى الله عليه وسلم ان يلحقه قول من الناس فى ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر من ان خشي الناس فى شيء قد اباحه الله تعالى له قال عياض وتاويل علي بن الحسين احسن التاويلات واصحها وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه انتهى * وقوله انعم الله عليه يعنى بالاسلام وغير ذلك وانعمت عليه يعنى بالعتق وهو زيد بن حارثة وزينب هي بنت جحش بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم تعالى نبيه انه زوجها منه لما قضى زيد وطره منها لتكون سنة للمسلمين فى ازواج ادعيائهم وليبين انها ليست كحرمة البنوة والوطر الحاجة والبغية * وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا فيه حذف مضاف تقديره وكان حكم امر الله او مضمن امر الله والا فالامر قديم لا يوصف بانه مفعول ويحتمل ان يكون الامر واحد الامور التى شأنها ان تفعل وعبارة الواحدي وكان امر الله مفعولا اي كائنا لامحالة وكان قد قضى فى زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * وقوله تعالى ما كان على النبيء من حرج فيما فرض الله له الآية هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة

اعلمهم انه لاحرج على نبيه فى نيل ما فرض الله له واباحه من تزويجه لزينب
بعد زيد ثم اعلم ان هذا ونحوه هو السنن الاقدم فى الانبياء من ان ينالوا ما
احله الله لهم وعبارة الواحدي ما كان على النبيء من حرج فيما فرض الله له
اي احل الله له من النساء سنة الله فى الذين خلوا من قبل يقول هذه سنة
قد مضت لغيرك يعنى كثرة ازواج داود وسليمان عليهما السلام وكان امر الله
قدرا مقدورا قضاء مقضيا الذين يبلغون رسالات الله من نعت قوله فى الذين
خلوا من قبل انتهى * وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الى
قوله كريما اذهب الله بهذه الآية ماوقع فى نفوس المنافقين وغيرهم لانهم
استعظموا ان تزوج زوجة ابنه فنفى القرءان تلك البنوة وقوله ابا احد من
رجالكم يعنى المعاصرين له وباقى الآية بين ثم امر سبحانه عباده بان يذكروه ذكرا
كثيرا وجعل تعالى ذلك دون حد ولاتقدير لسهولته على العبد ولعظم الاجرفيه
قال ابن عباس لم يعذر احد فى ترك ذكر الله عز وجل الا من غلب على
عقله وقال الذكر الكثير ان لاتنساه ابدا وروى ابو سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون (ت) وهذا الحديث
خرجه ابن حبان فى صحيحه * وقوله وسبحوه بكرة واصيلا اراد فى كل الاوقات
فحدد الزمن بطرفي نهاره وليله والاصيل من العصر الى الليل وعن ابن ابى اوفى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس
والقمر والاظلة لذكر الله رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح *
وقوله سبحانه هو الذى يصلي عليكم وملائكته الآية صلاة الله على العبد هي
رحمته له وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمومنين ثم اخبر تعالى برحمته بالمومنين
تانيسالهم * وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قيل يوم القيامة تحي الملائكة
المومنين بالسلام ومعناه السلامة من كل مكروه وقال قتادة يوم دخولهم الجنه

يحي بعضهم بعضا بالسلام والاجر الكريم جنة الخلد فى جوار الله تبارك وتعالى * وقوله تعالى ياايها النبي. انا ارسلناك شاهدا ومبشرا الآية هذه الآية فيها تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين وتكريم لجميعهم * وقوله وداعيا الى الله باذنه اي بامره وسراجا منيرا استعارة للنور الذى تضمنه شرعه * وقوله تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قال (ع) قال لنا ابى رحمه الله هذه الآية من ارجى ءاية عندى فى كتاب الله عز وجل قال ابو بكر بن الخطيب اخبرنا ابو نعيم الحافظ ثم ذكر سنده الى ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انزلت علي ءاية ياايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قال شاهدا على امتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى شهادة ان لااله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا بالقرءان انتهى من تاريخ بغداد له من ترجمة محمد بن نصر * وقوله تعالى ودع اذاهم يحتمل ان يريد ان يامره تعالى بترك ان يوذيهم هو ويعاقبهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ويحتمل ان يريد اعرض عن اقوالهم وما يوذونك به فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد وباقى الآية بين * وقوله تعالى ياايها النبيء انا احللنالك ازواجك الآية ذهب ابن زيد والضحاك فى تفسير هذه الآية الى ان الله تعالى احل لنبيه ان يتزوج كل امرأة يوتيها مهرها واباح له كل النساء بهذا الوجه وانما خصص هؤلاء بالذكر تشريفا لهن فالآية على هذا التاويل فيها اباحة مطلقة فى جميع النساء حاشى ذوات المحارم المذكور حكمهن فى غير هذه الآية ثم قال بعد هذا ترجى من تشاء منهن اي من هذه الاصناف كلها ثم تجرى الضمائر بعد ذلك على العموم الى قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فيجيء هذا الضمير مقطوعا من الاول عائدا على ازواجه التسع فقط على الخلاف فى ذلك وتأول غيرابن زيد فى قوله احللنالك ازواجك من فى عصمته ممن تزوجها

بمهر وان ملك اليمين بعـد حلال له وان الله اباح له مع المذكورات بنات عمـه وعماته وخاله وخالاته ممن هاجر معـه والواهبات خاصة فيجيء الامر على هذا التاويل اضيق على النبي عليه السلام ويؤيـد هذا التاويل ما قاله ابن عباس كان النبي صلى الله عليـه وسلم يتزوج فى اي النساء شاء وكان ذلك يشق على نسائـه فلما نزلت هـذه الآيـة وحرم عليه بهـا النساء الا من سمي سرنساؤه بذلك * وقوله سبحانه وامرأة مومنـة ان وهبت نفسها للنبي الآيـة قال السهيلي ذكر البخاري عن عائشة انهـا قالت كانت خولة بنت حكيم مـن اللاتى وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على انهن كن غير واحدة انتهى * وقوله خالصـة لك اي هبة النساء انـفسهن خاصـة بك دون امتك قال (ع) ويظهر من لفظ ابي بن كعب ان معنى قوله خالصـة لك يراد بـه جميع هـذه الاباحـة لان المومنين لم يبح لهم الزيادة على اربع * وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم يريـد هو كون النكاح بالولي والشاهدين والمهر والاقتصار على اربع قاله قتادة ومجاهد * وقوله لكي لا اي بينا هذا البيان لكي لا يكون عليك حرج ويظن بك انك قد اثمت عنـد ربك * وقوله تعالى ترجى من تشاء منهن الآية ترجى معناه تؤخر وتـئوى معناه تضم وتقرب ومعنى هذه الآيـة ان الله تعالى فسح لنبيـه فيما يفعله فى جهة النساء والضمير فى منهن عائد على من تـقـدم ذكره من الاصنـاف حسب الخلاف المذكور فى ذلك وهذا الارجاء والايواء يحتمل معاني منها ان المعنى فى القسم اي تقرب مـن شئت فى القسمة لها من نـفسك وتؤخر عنك من شئت وتكثر لمن شئت وتقل لمن شئت لا حرج عليك فى ذلك فاذا علمن هن ان هذا هو حكم الله لك رضين وقرت اعينهن وهـذا تاويل مجاهـد وقتادة والضحاك قال (ع) لان سبب هذه الآية تغاير وقع بين زوجات النبي

صلى الله عليه وسلم تأذى به وقال ابن عباس المعنى فى طلاق من شاء وامساك
من شاء وقال الحسن بن ابى الحسن المعنى فى تزوج من شاء وترك من شاء
قال (ع) وعلى كل معنى فالآية معناها التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم
والاباحة له وذهب هبة الله فى الناسخ والمنسوخ له الى ان قوله ترجى من تشاء
الآية ناسخ لقوله لايحل لك النساء من بعد الآية * وقوله تعالى ومن ابتغيت
ممن عزلت يحتمل معاني احدها ان تكون من للتبعيض اي من اردت وطلبته
نفسك ممن كنت قد عزلته واخرته فلاجناح عليك فى رده الى نفسك
وايوائه اليك ووجه ثان وهو ان يكون مقويا وموكدا لقوله ترجى من تشاء
وتؤى مَن تشاء فيقول بعد ومن ابتغيت ومن عزلت فذلك سواء لاجناح
عليك فى رده الى نفسك وايوائه اليك * وقوله ويرضين بما ءاتيتهن اي من
نفسك ومالك واتفقت الروايات على انه عليه السلام مع ما جعل الله له من
ذلك كان يسوى بينهن فى القسم تطييبا لنفوسهن واخذا بالفضل وما خصه
الله من الخلق العظيم صلى الله عليه وعلى ءاله غير ان سودة وهبت يومها لعائشة
تقمنا لمسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى لايحل لك النساء
من بعد قيل كما قدمنا انها حظرت عليه النساء الا التسع وما عطف عليهن على
ما تقدم لابن عباس وغيره قال ابن عباس وقتادة جازاهن الله بذلك لما اخترن
الله ورسوله ومن قال بان الاباحة كانت له مطلقة قال هنا لايحل لك النساء
معناه لايحل لك اليهوديات ولا النصرانيات ولاينبغى ان يكنّ امهات المومنين
وروي هذا عن مجاهد وكذلك قدر ولا ان تبدل اليهوديات والنصرانيات
بالمسلمات وهو قول ابى رزين وابن جبير وفيه بعد * وقوله تعالى ياايها الذين
ءامنوا لاتدخلوا بيوت النبيء الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه هذه
الآية تضمنت قصتين احداهما الادب فى امر الطعام والجلوس والثانية امر

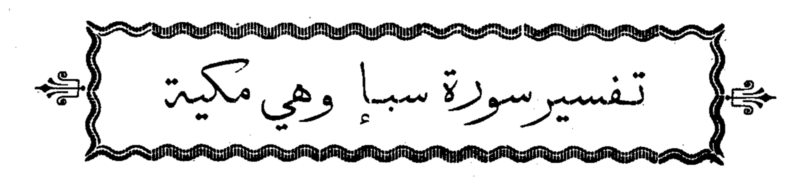
الحجاب قال الجمهور سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش اولم عليها ودعا الناس فلما طعموا قعد نفر فى طائفة من البيت يتحدثون فثقل على النبي صلى الله عليه وسلم مكانهم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم فى مكانهم وزينب فى البيت معهم فلما دخل وراهم انصرف فخرجوا عند ذلك قال انس بن مالك فاعلم او اعلمته بانصرافهم فجاء فلما وصل الحجرة ارخى الستر بيني وبينه ودخل ونزلت ءاية الحجاب بسبب ذلك قال اسماعيل بن ابى حكيم هذا ادب ادب الله به الثقلاء وقالت عائشة وجماعة سبب الحجاب كلام عمر للنبي صلى الله عليه وسلم مرارا فى ان يحجب نساءه وناظرين معناه منتظرين واناه مصدرانى الشيء يانى انى اذا فرغ وحان ولفظ البخاري يقال اناه ادراكه انى يانى اناءة انتهى * وقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق معناه لا يقع منه ترك الحق ولما كان ذلك يقع من البشر لعلة الاستحياء نفى عنه تعالى العلة الموجبة لذلك فى البشر وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يحل لاحد ان يفعلهن لايؤم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فان فعل فقد خانهم ولا ينظر فى قعر بيت قبل ان يستاذن فان فعل فقد خان ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف رواه ابو داود واللفظ له وابن ماجه والترمذي وقال الترمذي حديث حسن ورواه ابو داود ايضا من حديث ابى هريرة انتهى من السلاح * وقوله تعالى واذا سألتموهن متاعا الآية هي ءاية الحجاب والمتاع عام فى جميع ما يمكن ان يطلب من المواعين وسائر المرافق وباقى الآية بين وقد تقدم فى سورة النور طرف من بيانه فاغنى عن اعادته * وقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبيء الآية تضمنت شرف النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند الله تعالى قالت فرقة تقدير الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون فالضمير فى قوله يصلون للملائكة فقط

وقالت فرقة بل الضمير فى يصلون لله والملائكة وهذا قول من الله تعالى شرف به ملائكته فلا يرد عليه الاعتراض الذى جاء فى قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضل فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيس الخطيب انت وهذا القدر كاف هنا وصلاة الله تعالى رحمة منه وبركة وصلاة الملائكة دعاء وصلاة المومنين دعاء وتعظيم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى كل حين من الواجبات وجوب السنن الموكدة التى لا يسع تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه وفى حديث ابن عباس انه لما نزلت هذه الاية قال قوم من الصحابة هذا السلام عليك يارسول الله قد عرفناه فكيف نصلى عليك الحديث (ت) ولفظ البخاري عن كعب بن عجرة قال قيل يارسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى ءال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ءال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد انتهى وفيه طرق يزيد فيها بعض الرواة على بعض وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي الحديث رواه ابو داود والنساءي وابن ماجه واللفظ لابى داود ورواه الحاكم فى المستدرك من حديث ابى مسعود الانصاري وقال صحيح الاسناد.وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحى حتى ارد عليه السلام وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم رواهما ابو داود وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بى يوم القيامة اكثرهم علي صلاة رواه الترمذي وابن حبان فى صحيحه ولفظهما سواء وقال الترمذي حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله سبحانه يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اكبر من

الحمار وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه الحمار واختلف فى صورة ادنائه فقال ابن عباس وغيره ذلك ان تلويه المرأة حتى لا يظهر منها الا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس ايضا وقتادة ذلك ان تلويـه عل الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عينـاها لكنـه يستر الصدر ومعظم الوجـه * وقوله ذلك ادنى ان يعرفن اي حتى لا يختلطن بالاماء فاذا عرفن لم يقابلن با ذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرائر وليس المعنى ان تعرف المرأة حتى يعلم من هي وكان عمر اذا رأى امة قد تقنعت قنعها بالدرة محافظة على زي الحرائر * وقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون الآية اللام فى قوله لئن هي الموذنة بمجيء القسم واللام فى لنغرينك هي لام القسم (ت) وروى الترمذي عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يامعشر من قد اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا توذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله الحديث اه ورواه ابو داود فى سننـه مـن طريق ابى برزة الاسلمي عن النبي صل الله عليه وسلم وتوعد الله سبحانه هذه الاصناف فى هذه الآيـة * وقوله سبحانـه والذين فى قلوبهم مرض المرض هنـاهو الغزل وحب الزنا قاله عكرمة والمرجفون فى المدينـة هم قوم كانوا يتحدثون بغزو العرب المدينـة ونحو هذا مما يرجفون به نفوس المومنين فيحتمـل ان تكون هـذه الفرق داخلة فى جملة المنافقين ويحتمل ان تكون متباينة ونغرينك معناه نحضك عليهم بعد تعيينهم لك وفى البخاري وقال ابن عباس لنغرينك لنسلطنك انتهى * وقوله تعالى ثم لا يجاورونك اي بعد الاغراء لانك تنفيهم بالاخافة والقتل * وقوله الا قليلا يحتمل ان يريد الا جوارا قليلا او وقتا قليلا او عـددا قليلا كانـه قال الا اقلاء وثقفوا معناه حصروا وقدر عليهم واخذوا معناه اسروا والاخيذ الاسير والذين

خلوا هم منافقوا الامم وباقى الآية متضح المعنى والسبيلا مفعول ثان لأن اضل متمد بالهمزة وهي سبيل الايمان والهدى والذين ءاذوا موسى هم قوم من بنى اسراءيل قال ابن عباس وابو هريرة وجماعة الاشارة الى ما تضمنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم من ان بنى اسراءيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى رجلا ستيرا حييا لا يكاد يرى من جسده شئ فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ءادر اوبه برص فذهب يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فلج موسى فى اثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر فمر بهم فنظروا اليه فقالوا والله ما بموسى من باس الحديث خرجه البخاري وغيره وقيل فى اذايتهم غير هذا فبرأه الله مما قالوا والوجيه المكرم الوجه والقول السديد يعم جميع الخيرات وقال عكرمة اراد لا اله الا الله وباقى الآية بين * وقوله سبحانه انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية ذهب الجمهور الى ان الامانة كل شيء يؤتمن الانسان عليه من امر ونهي وشأن دين ودنيا فالشرع كله امانة ومعنى الآية انا عرضنا على هذه المخلوقات العظام ان تحمل الاوامر والنواهي ولها الثواب ان احسنت والعقاب ان اساءت فابت هذه المخلوقات واشفقت فيحتمل ان يكون هذا بادراك يخلقه الله لها ويحتمل ان يكون هذا العرض على من فيها من الملائكة وحمل الانسان الامانة اي التزم القيام بحقها وهو فى ذلك ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه وهذا هو تاويل ابن عباس وابن جبير قال ابن عباس واصحابه والانسان ءادم تحمل الامانة فما تم له يوم حتى وقع فى امر الشجرة وقال بعضهم الانسان النوع كله فعلى تاويل الجمهور يكون قولها فى الآية الاخرى اتينا طائعين اجابة لامر امرت به وتكون هذه الآية اباية واشفاقا من امر عرض عليها وخيرت فيه * وقوله تعالى ليعذب اللام لام العاقبة وكذا قال ابو حيان اللام فى ليعذب للصيرورة لانه لم يحمل الامانة

ليعذب ولكن ءال امره الى ذلك (ص) ابو البقاء اللام تتعلق بحملها وقرأ الاعمش ويتوب بالرفع على الاستيناف والله اعلم انتهى وباقى الآية بين



تفسير سورة سبإ وهي مكية

واختلف فى قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الآية فقيل ذلك مكي وقيل مدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الالف واللام فى الحمد لاستغراق جنس المحامد اي الحمد على تنوعه هو لله تعالى من جميع جهات الفكرة ويلج معناه يدخل ويعرج معناه يصعد * قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة روي ان قائل هذه المقالة هو ابو سفيان ابن حرب واللام من قوله ليجزي يصح ان تكون متعلقة بقوله لتاتينكم والذين معطوف على الذين الاولى اي وليجزي الذين سعوا ومعاجزين معناه محاولين تعجيز قدرة الله فيهم ثم اخبر تعالى بان الذين اوتوا العلم يرون الوحي المنزل على محمد عليه السلام حقا والذين اوتوا العلم قيل هم من اسلم من اهل الكتاب وقال قتادة هم امة محمد المومنون به ثم حكى الله تعالى عن الكفار مقالتهم التى قالوها على جهة التعجب والهزء واستبعاد البعث هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق بالبلى وتقطع الاوصال فى القبور وغيرها وجديد بمعنى مجدد وقولهم افترى

على الله كـذبا هو ايضا من قول بعضهم لبعض ثم اضرب عن قولهم فقال بل الذين لايومنون بالآخرة فى العذاب يريد عذاب الآخرة لانهم صائرون اليه ويحتمل ان يريد عذاب الدنيا ايضا والضمير فى قوله افلم يروا لهؤلاء الذين لا يومنون بالآخرة وقفهم الله على قدرته وخوفهم من احاطتها بهم والمعنى اليس يرون امامهم ووراءهم سماءى وارضى وباقى الآية بين ثم ذكر الله تعالى نعمته على داود وسليمان احتجاجا على ما منح محمدا واوبى معناه رجعى معه قال ابن عباس وغيره معناه ياجبال سبحى معه اي يسبح هو وترجع هي معه التسبيح اي ترددة بالذكر وقال مؤرج اوبى سبحى بلغة الحبشة وقرأ عاصم والطير بالرفع عطفا على لفظ قوله ياجبال وقرأ نافع وابن كثير والطير بالنصب قال سيبويه عطف على موضع قوله ياجبال لان موضع المنادى المفرد نصب وقيل نصبها باضمار فعل تقديره وسخرنا الطير والنا له الحديد معناه جعلناه لينا وروى قتادة وغيره ان الحديد كان له كالشمع لايحتاج فى عمله الى نار والسابغات الدروع الكاسيات ذوات الفضول * وقوله تعالى وقدر فى السرد قال ابن زيد الذى امر به هو فى قدر الحلقة اي لاتعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع ولاتعملها كبيرة فينال لابسها من خلالها وقال ابن عباس التقدير الذى امر به هو فى المسمار وذكر البخاري فى صحيحه ذلك فقال المعنى لاتدق المسمار فيتسلل ولاتغلظه فينقصم بالقاف وبالفاء ايضا رواية (ت) قال الهروي قوله تعالى وقدر فى السرد السرد متابعة حلق الدرع شيأ بعد شيء حتى يتناسق يقال فلان يسرد الحديث سردا اي يتابعه انتهى * وقوله تعالى ولسليمان الريح المعنى ولسليمان سخرنا الريح وغدوها شهر ورواحها شهر قال قتادة معناه انها كانت تقطع به فى الغدو الي قرب الزوال مسيرة شهر ونقطع فى الرواح من بعد الزوال

الى الغروب مسيرة شهر وكان سليمان اذا اراد قوما لم يشعروا حتى يظلهم فى جو السماء * وقوله تعالى واسلنا له عين القطر قال ابن عباس وغيره كانت تسيل له باليمن عين جارية من نحاس يصنع له منها جميع ما احب والقطر النحاس ويزغ معناه يمل اي ينحرف عاصيا وقال عن امرنا ولم يقل عن ارادتنا لانه لايقع فى العالم شيء يخالف ارادته سبحانه ويقع مايخالف الامر * وقوله من عذاب السعير قيل عذاب الآخرة وقيل بل كان قد وكل بهم ملك بيده سوط من نار السعير فمن عصى ضربه فاحرقه والمحاريب الابنية العالية الشريفة قال قتادة القصور والمساجد والتماثيل قيل كانت من زجاج ونحاس تماثيل اشياء ليست بحيوان والجوابى جمع جابية وهي البركة التى يجبى اليها الماء وراسيات معناه ثابتات لكبرها ليست مما ينقل اويحمل ولا يستطيع على عمله الاالجن ثم امروا مع هذه النعم بان يعملوا بالطاعات وشكرا يحتمل نصبه على الحال اوعلى جهة المفعول اي اعملوا عملا هو الشكر كأن العبادات كلها هي نفس الشكر وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فتلا هذه الآية ثم قال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي العمل شكرا العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الفقر والغنى وخشية الله فى السر والعلانية وهكذا نقل ابن العربي هذا الحديث فى احكامه وعبارة الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ على المنبر اعملوا ءال داود شكرا وقال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ءال داود العدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى وذكر الله فى السر والعلانية قال القرطبي الشكر تقوى الله والعمل بطاعته انتهى قال ثابت روي ان داود كان قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتى ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلى يتناوبون دائما وكان سليمان عليه

السلام فيما روي يأكل الشعير ويطعم أهله الخشكار ويطعم المساكين الدرمك وروي انه ما شبع قط فقيل له فى ذلك فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجياع * وقوله تعالى وقليل من عبادي الشكور يحتمل ان تكون مخاطبة لآل داود ويحتمل ان تكون مخاطبة لنبينا محمد عليه السلام وعلى كل وجه ففيها تحريض وتنبيه قال ابن عطاء الله فى الحكم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها وقال صاحب الكلم الفارقية لاتغفل عن شكر الصنائع وسرعة استرجاع الودائع وقال ايضا ياميتا نشر من قبر العدم بحكم الجود والكرم لاتنس سوالف العهود والذمم اذكر عهد الايجاد وذمة الاحسان والارفاد وحال الاصدار والايراد وفاتحة المبدإ وخاتمة المعاد وقال رحمه الله ياداثم الغفلة عن عظمة ربه اين النظر فى عجائب صنعه والتفكر فى غرائب حكمته اين شكر ما افاض عليك من ملابس احسانه ونعمه ياذا الفطنة اغتنم نعمة المهلة وفرصة المكنة وخلسة السلامة قبل حلول الحسرة والندامة انتهى * قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية روي عن ابن عباس وابن مسعود فى قصص هذه الآية كلام طويل حاصله ان سليمان عليه السلام لما احس بقرب اجله اجتهد عليه السلام وجد فى العبادة وجاءه ملك الموت واخبره انه امر بقبض روحه وانه لم يبق له الامدة يسيرة قال الثعلبي وقال سليمان عند ذلك اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الانس ان الجن لايعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء وانهم يعلمون ما فى غد ولما اعلمه ملك الموت بقرب الاجل امر حينئذ الجن فصنعت له قبة من زجاج تشف ودخل فيها يتعبد ولم يجعل لها بابا وتوكأ على عصاه على وضع يتماسك معه وان مات ثم توفي عليه السلام على تلك الحالة فلما مضى لموته سنة خر عن عصاه والعصا

قد اكلتها الارضة وهي الدودة التي تاكل العود فرأت الجن انخراره فتوهمت موته والمنساة العصا وقرأ الجمهور تبينت الجن باسناد الفعل اليها اي بان امرها كانه قال افتضحت الجن اي للانس هذا تاويل ويحتمل ان يكون قوله تبينت الجن بمعنى علمت الجن وتحققت ويريد بالجن جمهورهم والخدمة منهم ويريد بالضمير فى كانوا رؤساءهم وكبارهم لانهم هم الذين يدعون علم الغيب لاتباعهم من الجن والانس وقرأ يعقوب تبينت الجن على بناء الفعل للمفعول اي تبينها الناس والعذاب المهين ما هم فيه من الخدمة والتسخير وغير ذلك والمعنى ان الجن لو كانت تعلم الغيب لما خفي عليها موت سليمان وقد ظهر انه حفي عليها بدوامها فى الخدمة الصعبة وهو ميت فالمهين المذل من الهوان وحكى الثعلبي ان الشياطين قالت للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام والشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت شكرا لها انتهى * وقوله تعالى لقد كان لسبإ فى مساكنهم ءاية الآية هذا مثل لقريش بقوم انعم الله عليهم فلم يشكروا فانتقم منهم اي فانتم ايها القوم مثلهم وسبأ هنا يراد به القبيل واختلف لم سمي القبيل بذلك فقالت فرقة هو اسم امرأة وقيل اسم موضع سمي به القبيل وقال الجمهور هو اسم رجل هو ابو القبيل كله وفيه حديث فروة بن مسيك المتقدم فى سورة النمل خرجه الترمذي وءاية معناه عبرة وعلامة على فضل الله وقدرته وجنتان مبتدأ وخبره عن يمين وشمال اوخبر مبتدإ محذوف تقديره هي جنتان وقيل جنتان بدل من آية وضعف وروي فى قصصهم انه كان فى ناحية اليمن واد عظيم بين جبلين وكانت جنبتا الوادى فواكه وزروعا وكان قد بني فى رأس الوادى عند اول الجبلين جسر عظيم من حجارة من الجبل الى الجبل فاحتبس الماء فيه وصار بحيرة عظيمة واخذ الماء من جنبتيها فمشى مرتفعا يسقى

جنات كثيرة جنبتي الوادى قيل بنته بلقيس وقيل بناه حمير ابو القبائل اليمانية كلها وكانوا بهذه الحال فى ارغد عيش وكانت لهم بعدذلك قرى ظاهرة متصلة من اليمن الى الشام وكانوا ارباب تلك البلاد فى ذلك الزمان (ت) وقول (ع) وكان قدبني فى رأس الوادى عند اول الجبلين صوابه وكان قدبني فى اسفل الوادى عند اخر الجبلين وكلوا فيه حذف معناه قيل لهم كلوا وطيبة معناه كريمة التربة حسنة الهواء وروي ان هذه المقالة من الامر بالاكل والشكر والتوقيف على طيب البلدة وغفران الرب مع الايمان به هي من قول الانبياء لهم وبعث اليهم فيما روي ثلاثة عشرنبيا فكفروا بهم واعرضوا فبعث الله على ذلك السد جرذا اعمى توالد فيه وخرقه شيأ بعد شيء فانخرق السد وفاض الماء على اموالهم وجناتهم فغرّقها واهلك كثيرا من الناس ممن لم يمكنه الفرار واختلف فى العرم فقال المغيرة بن حكيم وابو ميسرة هو كل ما بني اوسنم ليمسك الماء وقال ابن عباس وغيره العرم اسم وادى ذلك الماء بعينه الذى كان السد بني له وقال ابن عباس ايضا العرم الشديد قال (ع) فكانه صفة للسيل من العرامة والاضافة الى الصفة مبالغة وهي كثيرة فى كلام العرب وقيل العرم صفة للمطر الشديد الذى كان عنه ذلك السيل * وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين فيه تجوز واستعارة وذلك ان البدل من الخمط والاثل لم يكن جنات لكن هذا كما تقول لمن جرد ثوبا جيدا وضرب ظهره هذا الضرب ثوب صالح لك ونحو هذا والخمط شجر الاراك قاله ابن عباس وغيره وقيل الخمط كل شجر له شوك وثمرته كريهة الطعم بمرارة او حموضة اونحوه ومنه تخمط اللبن اذا تغيرطعمه والاثل ضرب من الطرفاء هذا هوالصحيح والسدر معروف وهوله نبق شبه العناب لكنه دونه فى الطعم بكثير وللخمط ثمرغث هو البرير وللاثل ثمر قليل الغناء غيرحسن الطعم وقرأ نافع وابن كثير اكل بضم الهمزة وسكون الكاف والباقون بضمهما

وهما بمعنى الجنى والثمرة ومنه توتى اكلها كل حين اي جناها وقرأ ابو عمرو اكل خمط باضافة اكل الى خمط * وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما اجراه عليهم * وقوله وهل يجازى اي يناقش ويقارض بمثل فعله قدرا بقدر لان جزاء المومن انما هو بتفضل وتضعيف ثواب واما الذى لايزاد ولا ينقص فهو الكافر وقرأ حمزة والكسائي وهل نجازى بالنون وكسر الزاي الكفور بالنصب * وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى الآية هذه الآية وما بعدها وصف حالهم قبل مجيء السيل وهي ان الله تعالى مع ما كان منحهم من الجنتين والنعمة الخاصة بهم كان قد اصلح لهم البلاد المتصلة وعمرها وجعلهم اربابها وقدر السير بان قرب القرى بعضها من بعض حتى كان المسافر من مأرِب الى الشام يبيت فى قرية ويقيل فى قرية فلا يحتاج الى حمل زاد والقرى المدن والقرى التى بورك فيها هي بلاد الشام باجماع المفسرين والقرى الظاهرة هي التى بين الشام ومأرب وهي اسم بلدهم قال ابن عباس وغيره هي قرى عربية بين المدينة والشام واختلف فى معنى ظاهرة فقالت فرقة معناه مستعلية مرتفعة فى الآكام وهي اشرف القرى وقالت فرقة معناه يظهر بعضها من بعض فهي ابدا فى قبضة عين المسافر لا يخلو عن رؤية شيء منها قال (ع) والذى يظهر لى ان معنى ظاهرة خارجة عن المدن فهي عبارة عن القرى الصغار التى هي فى ظواهر المدن والله اعلم وءامنين اى من الخوف والجوع والعطش وءافات السفر ثم حكى سبحانه عنهم مقالة قالوها على جهة البطر والاشر وهي طلب البعد بين الاسفار كانهم ملوا النعمة فى القرب وطلبوا استبدال الذى هو ادنى بالذى هو خير وظلموا انفسهم ففرق الله شملهم وخرب بلادهم وجعلهم احاديث ومنه المثل السائر تفرقوا ايادي سبا وايدي سبا يقال المثل بالوجهين وهذا هو تمزيقهم كل ممزق فتيامن منهم ستة قبائل وتشاءمت منهم اربعة حسبما فى

الحديث ثم اخبر تعالى محمدا عليه السلام وامته على جهة التنبيه بان هذا القصص فيه ءايات وعبر لكل مومن متصف بالصبر والشكر * وقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه الآية قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ولقد صدق بتخفيف الدال وقرأ حمزة والكساءي صدق بتشديدها فالظن على هذه القراءة مفعول بصدق ومعنى الآية ان ابليس ظن فيهم ظنا حيث قال ولا تجد اكثرهم شاكرين وغير ذلك فصدق ظنه فيهم واخبر تعالى انهم اتبعوه وهو اتباع فى كفر لانه فى قصة قوم كفار * وقوله ممن هو منها فى شك يدل على ذلك ومن فى قوله من المومنين لبيان الجنس لا للتبعيض * وقوله وما كان له عليهم من سلطان اي من حجة قال الحسن والله ما كان له سيف ولا سوط و لكنه استمالهم فمالوا بتزيينه * وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله يريد الاصنام والملائكة وذلك ان منهم من كان يعبد الملائكة وهذه ءاية تعجيز واقامة حجة ويروى ان الآية نزلت عند الجوع الذى اصاب قريشا ثم جاء بصفة هؤلاء الذين يدعونهم ءالهة انهم لا يملكون ملك اختراع مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض وانهم لا شرك لهم فيهما وهذان نوعا الملك اما استبداد واما مشاركة فنفى عنهم جميع ذلك ونفى ان يكون منهم لله تعالى معين فى شيء والظهير المعين ثم قرر فى الآية بعدُ ان الذين يظنون انهم يشفعون لهم عند الله لا تصح منهم شفاعة لهم اذ هؤلاء كفرة ولا ياذن الله فى الشفاعة فى كافر وقرأ حمزة والكساءي وابو عمرو اذن بضم الهمزة * وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية الضمير فى قلوبهم عائد على الملائكة الذين دعوهم ءالهة قال (ع) وتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية اعنى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي فى الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل اوالامر يامر الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك

تعظيما وهيبة لله تبارك وتعالى وقيل خوفا ان تقوم الساعة فاذا فرغ ذلك فزع
عن قلوبهم اي اطير الفزع عنها وكشف فيقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال
ربكم فيقول المسئولون قال الحق وهو العلي الكبير (ت) ولفظ الحديث من
طريق ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا فى السماء
ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير انتهى وقرأ الجمهور فزع
بضم الفاء ومعناه اطير الفزع عنهم وقولهم وهو العلي الكبير تمجيد وتحميد ثم امر
الله نبيه صلى الله عليه وسلم على جهة الاحتجاج واقامة الدليل على الرازق لهم
من السموات والارض من هو ثم امره ان يقتضب الاحتجاج بان ياتي بجواب
السؤال اذهم فى بهتة ووجمة من السؤال واذ لا جواب لهم الا ان يقولوا هو
الله وهذه السبيل فى كل سؤال جوابه فى غاية الوضوح لان المحتج يريد ان
يقتضب ويتجاوز الى حجة اخرى يوردها ونظائرها فى القرءان كثير * وقوله
وانا او اياكم تلطف فى الدعوة والمحاورة والمعنى كما تقول لمن خالفك فى مسئلة
احدنا مخطئى اي تثبت وتنبه والمفهوم من كلامك ان مخالفك هو المخطئى
فكذلك هذا معناه وانا لعلى هدى او فى ضلال مبين وانكم لعلى هدى او فى
ضلال مبين فتنبهوا والمقصد ان الضلال فى حيزهم وحذف احد الخبرين
لدلالة الباقى عليه * وقوله قل لا تسئلون الآية مهادنة ومتاركة منسوخة *
وقوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا اخبار بالبعث ويفتح معناه يحكم والفتاح
القاضى وهو مشهور فى لغة اليمن واروني هي رؤية قلب وهذا هو الصحيح
اي اروني بالحجة والدليل * وقوله كلا رد لما تقرر من مذهبهم فى الاشراك *
وقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس الآية اعلام من الله تعالى بانه بعث
محمدا عليه السلام الى جميع العالم وهي احدى خصائصه التي خص بها من

بين سائر الانبياء وباقى الآيـة بين قال ابو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى وخولف فى هذا والذى عليه الناس ان الوعـد اذا اطلق فنى الخير والوعيد فى المكروه والميعاد يقع لهذا ولهذا * وقوله تعالى وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القرءان ولا بالذى بين يديه هذه المقالة قالها بعض قريش وهي انهم لا يومنون بالقرءان ولا بالذى بين يديه من التوراة والانجيل والزبور فكانهم كذبوا بجميع كتب الله عز وجل وانما فعلوا هـذا لما وقع الاحتجاج عليهم بما فى التوراة من امر محمد عليه السلام قال الواحدي قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول اي فى التلاوم انتهى وباقى الآيـة بين وقولهم بل مكر الليل والنهار المعنى بل كفرنا بمكركم بنا فى الليل والنهار واضاف المكر الى الليل والنهار من حيث هو فيهما ولتدل هذه الاضافة على الدءوب والدوام والضمير فى اسروا عام لجميعهم من المستضعفين والمستكبرين * وقوله تعالى وما ارسلنا فى قريـة من نـذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عـن فـعل قريش وقولها اي هـذه يامحمد سيرة الامم فلايهمنك امر قومك والقرية المدينـة والمترف الغني المنعم القليل تعب النفس والبدن فعادتهم المبادرة بالتكذيب * وقوله وقولوا نحن اكثر اموالا الآية يحتمل ان يعود الضمير فى قالوا على المترفين ويحتمل ان يكون لقريش ويكون كلام المترفين قدتم قبله وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا ينـظر الى صوركم واموالكم ولكن ينـظر الى قلوبكم واعمالكم انتهى واعلم ان المال الزائد على قدر الحاجة قل ان يسلم صاحبه من الآفات الا من عصمه الله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض وقد جاء فى صحيح البخاري وغيره من رواية ابى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاكثرون مالا هم الاقلون يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا واشار ابن شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم اه

وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن ابى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قال لن ينجو منى الغنيى من احدى ثلاث اما ان ازين ماله فى عينيه فيمنعه من حقه واما ان اسهل له سبيله فينفقه فى غير حقه واما ان احببه فيكسبه بغير حقه انتهى والزلفى مصدر بمعنى القرب * وقوله الا من آمن استثناء منقطع وقرأ الجمهور جزاء الضعف بالاضافة والضعف هنا اسم جنس اي بالتضعيف اذ بعضهم يجازى الى عشرة وبعضهم اكثر صاعدا الى سبع مائة بحسب الاعمال ومشيئة الله فيها * وقوله تعالى والذين يسعون فى ءاياتنا معاجزين تقدم تفسيره ومحضرون من الاحضار والاعداد ثم كرر القول ببسط الرزق لا على المعنى الاول بل هذا هنا على جهة الوعظ والتزهيد فى الدنيا والحض على النفقة فى الطاعات ثم وعد بالخلف فى ذلك اما فى الدنيا واما فى الآخرة وفى البخاري ان ملكا ينادى كل يوم اللهم اعط منفقا خلفا ويقول ملك ءاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروى الترمذي عن ابى كبشة الانصاري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث اقسم عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر او كلمة نحوها الحديث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله تعالى ويوم نحشرهم الآية تقدم تفسير نظيرها مكررا وفى القرءان ءايات يظهر منها ان الجن عبدت فى سورة الانعام وغيرها ثم قال تعالى فاليوم اي يقال لمن عبد ومن عبد اليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا * وقوله تعالى وما ءاتيناهم من كتب يدرسونها الآية المعني ان هؤلاء الكفرة

يقولون بآرائهم فى كتاب الله فيقول بعضهم سحر وبعضهم افتراء وذلك منهم تسور لايستندون فيه الى اثارة علم فانا ماءاتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يباشرهم ويشافههم فيمكنهم ان يسندوا دعواهم اليه * وقوله تعالى وما بلغوا معشار ماءاتيناهم الضمير فى بلغوا يعود على قريش وفى ءاتيناهم على الامم الذين من قبلهم والمعنى من القوة والنعم والظهور فى الدنيا قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد والمعشار العشر ولم يات هذا البناء الافى العشرة والاربعة فقالوا مرباع ومعشار والنكير مصدر كالانكار فى المعنى وكالعذير فى الوزن وكيف تعظيم للامر وليست استفهاما مجردا وفى هذا تهديد لقريش اي انهم متعرضون لنكير مثله ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يدعوهم الى عبادة الله تعالى والنظر فى حقيقة نبوته هو ويعظهم بامر مقرب للافهام فقوله بواحدة معناد بقضية واحدة ايجازا لكم وتقريبا عليكم وهو ان تقوموا لله اي لاجل الله او لوجه الله مثنى اي اثنين اثنين متناظرين وفرادى اي واحدا واحدا ثم تتفكروا هل بصاحبكم جنة او هو بريء من ذلك والوقف عند ابى حاتم تتفكروا فيجيء مابصاحبكم نفيا مستانفا وهو عند سيبويه جواب ما تنزل منزلة القسم وقيل فى الآية غير هذ انما هو بعيد من الفاظها فتعين تركه * وقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم معنى الآية بين واضح لايفتقر الى بيان * وقوله يقذف بالحق يريد بالوحي وءايات القرءان واستعار له القذف من حيث كان الكفار يرمون بئاياته وحكمه * وقوله سبحانه قل جاء الحق يريد الشرع بجملته وما يبدئ الباطل وما يعيد قالت فرقة الباطل غير الحق من الكذب والكفر ونحوه استعار له الابداء والاعادة ونفاهما عنه كانه قال وما يصنع الباطل شيئا * وقوله فبما يوحى يحتمل ان تكون ما بمعنى الذي اومصدرية * وقوله

تعالى ولو ترى اذ فزعوا الآية قال الحسن بن ابى الحسن ذلك فى الكفار عند خروجهم من القبور فى القيامة قال (ع) وهو ارجح الاقوال هنا واما معنى الآية فهو التعجيب من حالهم اذا فزعوا من اخذ الله اياهم ولم يتمكن لهم ان يفوت منهم احد واخذوا من مكان قريب اي ان الاخذ يجيئهم من قرب فى طمانينتهم وبعقبها بينما الكافر يؤمل ويترجى اذ غشيه الاخذ ومن غشيه اخذ من قريب فلا حيلة له ولاروية وقالوا ءامنا به الضمير فى به عائد على الله تعالى وقيل على محمد وشرعه والقرءان وقرأ نافع وعامة القراء التناوش دون همز ومعناه التناول من قولهم ناش ينوش اذا تناول وعبارة الواحدي وانى لهم التناوش اي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم انتهى وقرأ ابو عمرو وحمزة والكساءي التناؤش بالهمز فيحتمل ان يكون تفسيره كالقراءة الاولى ويحتمل ان يكون من الطلب تقول انتأشت الخير اذا طلبته من بعد (ت) وقال البخاري التناوش الرد من الآخرة الى الدنيا انتهى ويقذفون بالغيب اي يرجمون بظنونهم ويرمون بها الرسول وكتاب الله وذلك غيب عنهم فى قولهم سحر وافتراء وغير ذلك قاله مجاهد وقال قتادة قذفهم بالغيب هو قولهم لا بعث ولا جنة ولا نار * وقوله سبحانه وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال الحسن معناه من الايمان والتوبة والرجوع الى الانابة والعمل الصالح وذلك انهم اشتهوه فى وقت لا تنفع فيه التوبة وقاله ايضا قتادة وقال مجاهد معناه وحيل بينهم وبين نعيم الدنيا وقيل معناه حيل بينهم وبين الجنة ونعيمها كما فعل باشياعهم من قبل والاشياع الفرق المتشابهة فاشياع هؤلاء هم الكفرة من كل امة (ص) قال ابو حيان ومريب اسم فاعل من اراب اي اتى بريبة وارتبه اوقعته فى ريبة ونسبة الارابة الى الشك مجاز قال (ع) والشك المريب اقوى ما يكون من الشك واشده اظلاما انتهى

تفسير سورة فاطر وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة الآية رسلا معناه بالوحي وغير ذلك من اوامره سبحانه كجبريل وميكائيل وعزرائيل رسل والملائكة المتعاقبون رسل وغير ذلك ومثنى وثلاث ورباع الفاظ معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة عدلت فى حالة التنكير فتعرفت بالعدل فهي لا تنصرف للعدل والتعريف وقيل للعدل والصفة وفائدة العدل الدلالة على التكرار لان مثنى بمنزلة قولك اثنين اثنين قال قتادة ان انواع الملائكة هم هكذا منها ماله جناحان ومنها ماله ثلاثة ومنها ماله اربعة ويشذ منها ماله اكثر من ذلك وروي ان لجبريل عليه السلام ست مائة جناح منها اثنان يبلغان من المشرق الى المغرب * وقوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء تقرير لما يقع فى النفوس من التعجب عند الخبر بالملائكة اولى الاجنحة اي ليس هذا ببدع فى قدرة الله تعالى فانه يزيد فى الخلق ما يشاء وروي عن الحسن وابن شهاب انهما قالا المزيد هو حسن الصوت قال الهيثم الفارسي رأيت النبي صلى الله عليه سلم فى النوم فقال لى انت الهيثم الذى تزين القرءان بصوتك جزاك الله خيرا وقيل من الاقوال فى الزيادة غير هذا وذلك على جهة المثال لان المقصد هي فقط * وقوله تعالى ما يفتح الله ما شرط ويفتح مجزوم بالشرط * وقوله من رحمة عام فى كل خير يعطيه الله تعالى لعباده * وقوله من بعده فيه حذف مضاف اي من بعد امساكه ومن هذه الآية

سمت الصوفية ما تعطاه من الاموال والمطاعم وغير ذلك الفتوحات * وقوله تعالى ياايها الناس خطاب لقريش وهو متوجه لكل كافر * وقوله سبحانه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا (ت) هذه الآية معناها بين قال ابن عطاء الله ينبغى للعبد ان يقلل الدخول فى اسباب الدنيا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قليل الدنيا يلهى عن كثير الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ما طلعت شمس الا وبجنبيها ملكان يناديان ياايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى انتهى من لطائف المنن وقرأ جمهور الناس الغرور بفتح الغين وهو الشيطان قاله ابن عباس * وقوله ان الشيطان لكم عدو الآية يقوى قراءة الجمهور فاتخذوه عدوا اي بالمباينة والمقاطعة والمخالفة له باتباع الشرع * وقوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرءاه حسنا توقيف وجوابه محذوف يمكن ان يقدر كمن اهتدى ونحو هذا من التقدير واحسن التقدير ما دل اللفظ بعدُ عليه وقرأ الجمهور فلا تذهب بفتح التاء والهاء نفسك بالرفع وقرأ قتادة وغيره تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك بالنصب ورويت عن نافع والحسرة هم النفس على فوات امر وهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن كفر قومه ووجب التسليم لله عز وجل فى اضلال من شاء وهداية من شاء * وقوله سبحانه والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت هذه ءاية احتجاج عل الكفرة فى انكارهم البعث من القبور * وقوله تعالى من كان يريد العزة يحتمل ان يريد من كان يريد العزة بمغالبة فلله العزة اى ليست لغيره ولا تتم الا به ونحا اليه مجاهد وقال من كان يريد العزة بعبادة الاوثان قال (ع) وهذا تمسك بقوله تعالى واتخذوا من دون الله ءالهة ليكونوا لهم عزا ويحتمل ان يريد من كان يريد العزة وطريقها القويم ويحب نيلها على وجهها فلله العزة اي به وعن اوامره لا تنال عزته الا بطاعته ونحا اليه قتادة * وقوله تعالى اليه يصعد

الكلم الطيب اي التوحيد والتحميد وذكر الله ونحوه * وقوله والعمل الصالح يرفعه قيل المعنى يرفعه الله وهذا ارجح الاقوال وقال ابن عباس وغيره ان العمل الصالح هو الرافع للكلم وهذا التاويل انما يستقيم بان يتأول على معنى انه يزيد فى رفعه وحسن موقعه (ت) وعن ابن مسعود قال اذا حدثناكم بحديث اتيناكم بتصديق ذلك فى كتاب الله سبحانه ان العبد اذا قال سبحان الله والحمد لله والله اكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعدبهن لايمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجاء بهن وجه الرحمن سبحانه ثم تلا عبد الله بن مسعود اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح ويمكرون السيئات اي المكرات السيئات ويبور معناه يفسد ويبقى لا نفع فيه * وقوله تعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية قيل معنى الازواج هنا الانواع وقيل اراد ترويج الرجال النساء والضمير فى عمره قال ابن عباس وغيره ما مقتضاه انه عائد على معمر الذى هو اسم جنس والمراد غير الذى يعمر وقال ابن جبير وغيره بل المراد شخص واحد وعليه يعود الضمير اي ما يعمر انسان ولا ينقص من عمره بان يحصى ما مضى منه اذا مر حول كتب ما مضى منه فاذا مر حول آخر كتب ذلك ثم حول ثم حول فهذا هو النقص قال ابن جبير فما مضى من عمره فهو النقص وما يستقبل فهو الذى يعمره * وقوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون تقدم تفسير نظير هذه الآية * وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى الآية الاجل المسمى هو قيام

الساعــة وقيل ءاماد الليل وءاماد النهار والقطمير القشرة الرقيقة التى على نوى التمرة وقال الضحاك وغيره القطمير القمع الذى فى رأس التمرة والاول اشهـر واصوب ثم بين تعالى بطلان الاصنام بثلاثة اشياء اولها انها لاتسمع ان دعيت والثانى انها لاتجيب ان لو سمعت وانما جاء بهذه لان القائل متعسف ان يقول عساها تسمع والثالث انها تتبرأ يوم القيامــة مــن الكــفرة * وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير قال المفسرون الخبير هنا هو الله سبحانــه فهو الخبير الصادق الخبر ونبأ بهذا فلا شك فى وقوعه * وقوله تعالى ياايها الناس انتم الفقراء الى الله الآيــة ءاية وعظ وتذكـير والانسان فـقير الى الله تعالى فى دقائـق الامور وجلائلها لا يستغنى عنــه طرفــة عين وهو بــه مستغن عــن كل احد والله هو الغني الحميد اي المحمود بالاطلاق * وقوله بعزيز اي بممتنع وتزر معناه تحمل وهذه الآيــة فى الذنوب وانثت وازرة لانــه ذهب بها مذهب النفس وعلى ذلك اجريت مثقلة واسم كان مضمــر تــقديره ولوكان الداعى ثم اخبر تعــالى نبيه انه انما ينذر اهل الخشية ثم حض على التزكى بان رجى عليه غاية الترجية ثم توعد بعد ذلك بــقــوله والى الله المصير قال (ع) وكل عبارة فهى مقصرة عن تفسير هــذه الآيــة وكــذلك كــتاب الله كله ولكن يــظهر الامر لنــا نحن فى مواضع اكـثر منه فى مواضع بحسب تــقصيرنا * وقوله سبحانــه وما يستوى الاعمى والبصير الآيــة مضمن هذه الآيــة الطعن على الكــفرة وتمثيلهم بالعمي والظلمات وتمثيل المومنين بازائهم بالبصراء والانوار والحرور شدة الحر قال الفراء وغيره ان السموم يختــص بالنهار والحرور يقال فى حر الليل وحر النهر وتــأول قوم الظل فى هذه الآية الجنة والحرور جهنم وشبــه المومنين بالاحياء والكــفرة بالاموات من حيث لا يفهمون الذكر ولا يقبلون عليه * وقوله سبحانه وما انت بمسمع من فى القبور تمثيل بما يحسه البشر ويعهده جميعا من ان الميت الشخص

الذى فى القبر لا يسمع واما الارواح فلا نقول انها فى القبر بل تتضمن الاحاديث ان ارواح المومنين فى شجر عند العرش وفى قناديل وغير ذلك وان ارواح الكفرة فى سجين ويجوز فى بعض الاحيان ان تكون الارواح عند القبور فربما سمعت وكذلك اهل قليب بدر انما سمعت ارواحهم فلا تعارض بين الآية وحديث القليب * وقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير معناه ان دعوة الله تعالى قد عمت جميع الخلق وان كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته لان آدم بعث الى بنيه ثم لم تنقطع النذارة الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم والبينات والزبر والكتاب المنير شيء واحد لكنه اكد اوصاف بعضها ببعض * وقوله تعالى ومن الجبال جدد الآية جمع جدة وهي الطريقة تكون من الارض والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولا وحكى ابو عبيدة فى بعض كتبه انه يقال جدد فى جمع جديد ولا معنى لمدخل الجديد فى هذه الآية وقال الثعلبي وقيل الجدد القطع جددت الشيء اذا قطعته انتهى * وقوله وغرابيب سود لفظان لمعنى واحد وقدم الوصف الابلغ وكان حقه ان يتأخر وكذلك هو فى المعنى لكن كلام العرب الفصيح ياتى كثيرا على هذا النحو والمعنى ومنها اي من الجبال سود غرابيب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يبغض الشيخ الغربيب يعني الذى يخضب بالسواد ومن الناس والدواب والانعام اي خلق مختلف الوانه * وقوله تعالى كذلك يحتمل ان يكون من الكلام الاول فيجيء الوقف عليه حسنا والى هذا ذهب كثير من المفسرين ويحتمل ان يكون من الكلام الثانى خرج مخرج السبب كانه قال كما جاءت القدرة فى هذا كله كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء اي المحصلون لهذه العبر الناظرون فيها وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اعلمكم بالله اشدكم له خشية وقال صلى الله عليه وسلم رأس

الحكمة مخافـة الله وقال الربيع بن انس مـن لم يخش الله فليس بعالم وقال ابن عباس فى تفسير هذه الآيـة كـفى بالزهـد علما وقال ان فاتحـة الزبور رأس الحكمة خشيـة الله وقال ابن مسعود كـفى بخشيـة الله علما وبالاغترار به جهلا وقال مجاهد والشعبي انما العالم من يخشى الله وانما فى هذه الآية تحضيض للعلماء لا للحصر قال ابن عطاء الله فى الحكم العلم النافع هو الذى ينبسط فى الصدر شعاعه ويكشف به عن القلب قناعه خير العلم ما كانت الخشية معه والعلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك وقال فى التنوير اعلم ان العلم حيث ما تـكرر فى الكتاب العزيز او فى السنة فانما المراد به العلم النافع الذى تقارنـه الخشيـة وتكـتنفـه المخافة قال تعالى انما يخشى الله مـن عباده العلماء فبين سبحانـه ان الخشيـة تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية انتهى قال ابن عبـاد فى شرح الحكم واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم الذى يؤدى صاحبـه الى الخوف والخشيـة وملازمـة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان الى ما يتبع ذلك من بـغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الآخرة عليها ولزوم الادب بين يـدي الله تعالى الى غير ذلك مـن الصفـات العليـة والمناحى السنيـة انتهى وهذه المعانى كلها محصلة فى كـتب الغزالي وغيره رضي الله عن جميعهم ونفعنا ببركاتهم قال صاحب الكلم الفارقيـة والحكم الحقيقيـة العلم النـافع مـا زهـدك فى دنيـاك ورغبك فى اخراك وزاد فى خوفـك وتقواك وبعثك على طاعة مولاك وصفاك من كدر هواك وقال رحمه الله العلوم النافعة ما كانت للهمم رافعة وللاهواء قامعة وللشكوك صارفة دافعة انتهى * وقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم الآية قال مطرف بن عبد الله بن الشخير هذه اية القراء قال (ع) وهذا على ان يتلون بمعنى يقرءون وان جعلناه بمعنى يتبعون صح معنى الآية وكانت فى القراء وغيرهم

ممن اتصف باوصاف الآية وكتاب الله هو القرءان واقامة الصلاة اي بجميع شروطها والنفقة هي فى الصدقات ووجوه البر ولن تبور معناه لن تكسد ويزيدهم من فضله قالت فرقة هو تضعيف الحسنات وقالت فرقة هو اما النظر الى وجه الله عز وجل واما ان يجعلهم شافعين فى غيرهم كما قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة (ت) وقد خرج ابو نعيم باسناده عن الثوري عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال اجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليه المعروف فى الدنيا وخرج ابن ماجه فى سننه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الناس صفوفا وقال ابن نمير اهل الجنة فيمر الرجل من اهل النار على الرجل من اهل الجنة فيقول يافلان اما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة قال فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول اما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له قال ابن نمير ويقول يافلان اما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له وخرجه الطحاوي وابن وضاح بمعناه انتهى من التذكرة * وقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الآية اورثنا معناه اعطيناه فرقة بعد موت فرقة والكتاب هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه واحكامه وعقائده فكأن الله تعالى لما اعطى امة محمد القرءان وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة قبله فكانه ورث امة محمد الكتاب الذى كان فى الامم قبلها قال ابن عطاء الله فى التنوير قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى اكرم المومنين وان كانوا عصاة فاسقين وامرهم بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم فلو كشف عن نور المومن العاصي لطبق السماء والارض فما ظنك بنور المومن المطيع ويكفيك فى تعظيم المومنين وان كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين ثم اورثنا الكتاب

الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف اثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم واعلم انه لابد فى مملكته من عبادٍ هم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة انتهى والذين اصطفينا يريد بهم امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره واصطفينا معناه اخترنا وفضلنا والعباد عام فى جميع العالم واختلف فى عود الضمير من قوله فمنهم فقال ابن عباس وغيره ما مقتضاه ان الضمير عائد على الذين اصطفينا وان الاصناف الثلاثة هي كلها فى امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصى المسرف والمقتصد متقى الكبائر وهم جمهور الامة والسابق المتقى على الاطلاق وقالت هذه الفرقة الاصناف الثلاثة فى الجنة وقاله ابو سعيد الخدري والضمير فى يدخلونها عائد على الاصناف الثلاثة قالت عائشة وكعب دخلوها كلهم ورب الكعبة وقال ابو اسحاق السبيعي اما الذى سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج وقال ابن مسعود هذه الامة يوم القيامة اثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يجيئون بذنوب عظام فيقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو اعلم بهم فتقول الملائكة هم مذنبون الا انهم لم يشركوا فيقول عز وجل ادخلوهم فى سعة رحمتى وروى اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال كلهم فى الجنة وقرأ عمر هذه الآية ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقال عكرمة والحسن وقتادة ما مقتضاه ان الضمير فى منهم عائد على العباد فالظالم لنفسه الكافر والمقتصد المومن العاصى والسابق التقي على الاطلاق وقالوا هذه الآية نظير قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة الآية والضمير فى يدخلونها على هذا التاويل خاص بالمقتصد والسابق وباقى الآية بين والحزن فى هذه الآية عام فى جميع انواع الاحزان

وقولهم ان ربنا لغفور شكور وصفوه سبحانه بانه يغفر الذنوب ويجازى على القليل من الاعمال بالكثير من الثواب وهذا هو شكره لارب سواه ودار المقامة الجنة والمقامة الاقامـــة والنصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن * وقوله سبحانه والذين كفروا لهم نار جهنم هذه الآية تؤيد التاويل الاول مـــن ان الثلاثـــة الاصناف هي كلها فى الجنـــة لان ذكر الكافرين افرد هاهنا * وقوله لايقضى عليهم اي لا يجهز عليهم * وقولهم ربنا اخرجنا اي يقولون هذه المقالة فيقال لهم عل جهة التوبيخ اولم نعمركم الآية واختلف فى المدة التى هي حد للتذكر فقال الحسن بن ابى الحسن البلوغ يريد انه اول حال التذكر وقال ابن عباس اربعون سنة وهذا قول حسن ورويت فيه ءاثار وروي ان العبد اذا بلغ اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان على وجهه وقال بابى وجــه لا يفلح وقيل الستين وفيه حديث (ت) وفى البخاري من بلغ ستين سنـــة فقد اعذر الله اليه لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعنى الشيب ثم اسند عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله امرءا اخّر اجله حتى بلغ ستين سنـــة انتهى والنذير فى قول الجمهور الانبياء قال الطبري وقيل النذير الشيب وهذا ايضا قول حسن * وقوله فعليه كفره اي وبال كفره والمقت احتقارك الانسان من اجل معصيته والخسار مصدر خسر يخسر وارأيتم تتنزل عند سيبويه منزلة اخبرونى ولذلك لاتحتاج الى مفعولين والرؤية فى قوله ارونى رؤية بصر (ت) قال ابن هشام قوله من الارض من مرادفـــة فى ثم قال والظاهر انها لبيان الجنس مثلها ما ننسخ من آية انتهى ثم اضرب سبحانه عنهم بقوله بل ان يعد اي بل انما يـعـدون انـفسهم غرورا * وقوله ان تزولا اي ليلا تزولا ومعنى الزوال هنا التنقل من مكانها والسقوط من علوها وعـن ابن مسعود ان السماء لاتدور وانما تجرى فيها الكواكب * وقوله تعالى ولئن زالتا

قيل اراد يوم القيامة * وقوله تعالى ان امسكهما من احد من بعده اي من بعد تركه الامساك قال (ص) ان امسكهما ان نافية بمعنى ما وامسك جواب القسم المقدر قبل اللام الموطئة فى لئن وهو بمعنى يمسك لدخول ان الشرطية كقوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل ءاية ما تبعوا قبلتك اي ما يتبعون وكقوله ولئن ارسلنا ريحا الآية الى قوله لظلوا من بعده اي ليظلون وحذف جواب ان فى هذه المواضع لدلالة جواب القسم عليه * وقوله من احد من زائدة لتاكيد الاستغراق انتهى * وقوله تعالى واقسموا بالله يعنى قريشا لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم الآية وذلك انه روي ان كفار قريش كانت قبل الاسلام تنكر على اليهود والنصارى وتاخذ عليهم فى تكذيب بعضهم بعضا وتقول لو جاءنا نحن رسول لكنا اهدى من هؤلاء واحدى الامم يريدون اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم الا نفورا وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا ويحيق معناه يحيط ويحل وينزل ولا يستعمل الا فى المكروه وينظرون معنه ينتظرون والسنة الطريقة والعادة * وقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا اي لتعذيبه الكفرة المكذبين وفى هذا وعيد بين * وقوله تعالى اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الارض لما توعدهم سبحانه بسنة الاولين وقفهم فى هذه الآية على رؤيتهم لما رأوا من ذلك فى طريق الشام وغيره كديار ثمود ونحوها ويعجزه معناه يفوته ويفلته * وقوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة الآية قوله من دابة مبالغة والمراد بنو ءادم لانهم المجازون وقيل المراد الانس والجن وقيل المراد كل مادب من الحيوان واكثره انما هو لمنفعة ابن ءادم وبسببه والضمير فى ظهرها عائد على الارض والاجل المسمى القيامة *

وقوله تعالى فان الله كان بعباده بصيرا وعيد وفيه للمتقين وعد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله على ما انعم

انتهى الجزء الثالث من الجواهر الحسان * فى تفسير القرءان * ويليه الجزء الرابع منه واوله سورة يس

فهرست الجزء الثالث من كتاب الجواهر الحسان
فى تفسير القرءان